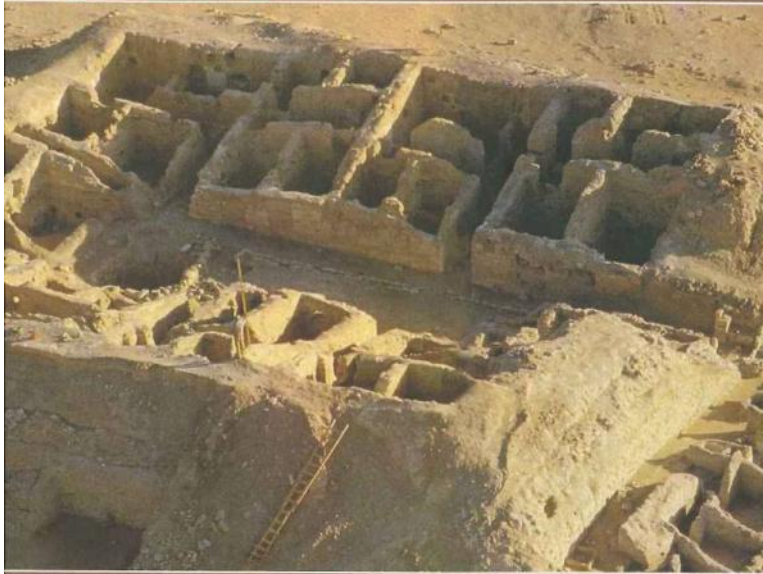


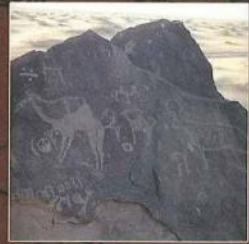
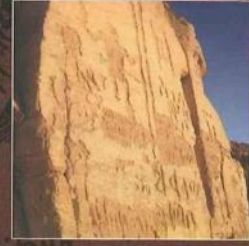
منطقة الرياض

التاريخ السياسي والحضاري القديم

سليمان بن عبد الرحمن الذبيب



إدارة منطقة الرياض



منطقة الرياض

التاريخ السياسي والحضاري القديم

سليمان بن عبد الرحمن الذيب

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

أمانة منطقة الرياض، ١٤٢٦

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الذبيب ، سليمان بن عبد الرحمن

منطقة الرياض التاريخ السياسي والحضاري القديم.

سليمان بن عبد الرحمن الذبيب - الرياض، ١٤٢٦

١٦٤ ص: ٢٦×٢٠ سم

ردمك: ٩٩٦٠-٤٩-٣٧٠-٩

١- الرياض - تاريخ ٢- السعودية - تاريخ أ.

العنوان ديوي ٩٥٣.١١ ١٤٢٦/٥٠٦٥

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٠٦٥

ردمك: ٩٩٦٠-٤٩-٣٧٠-٩

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز إعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه أو
تضمينه في جهاز للاسترجاع، أو نقله، بأي صورة أو وسيلة سواء أكانت إلكترونية
أم ميكانيكية أم بالتصوير الضوئي أم بالتسجيل أو بغير ذلك، دون الإذن المسبق
من الناشر.

تمت أعمال الإعداد والتصميم والطباعة بالتعاون مع مؤسسة التراث
المملكة العربية السعودية ص.ب: ٦٨٢٠٠ الرياض ١١٥٢٧

هاتف: ٤٨٠٧٧١٠ فاكس: ٤٨٠٧٧٠٨

بريد الإلكتروني: al-turath.com

الموقع على الإنترنت: www.al-turath.com



التراث

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٨١	الفصل الرابع:	٥	تقديم
٨٣	المنشآت المعمارية	٧	بين يدي الكتاب
٩١	أولاً: المساكن	٩	المقدمة
١٠٤	ثانياً: العمارة الدينية والمعابدات		الفصل الأول:
	ثالثاً: المدافن		الاستيطان
	الفصل الخامس:	١٥	العصر الحجري القديم
١١٥	المظاهر الحضارية	٢٣	العصر الحجري الحديث
١١٧	أولاً: الصناعات الحجرية	٢٦	الممالك العربية
١٢٢	ثانياً: الصناعات المعدنية		الفصل الثاني:
١٢٣	ثالثاً: الصناعات الخشبية		الممالك القديمة: التاريخ السياسي
١٢٤	رابعاً: الصناعات الجلدية	٣٣	أولاً: طسم
١٢٥	خامساً: صناعة المنسوجات	٣٥	ثانياً: جديس
١٢٦	سادساً: الصناعات الفخارية والطينية	٣٩	ثالثاً: كندة
١٢٨	سابعاً: الزينة والحلي	٤٢	رابعاً: معد
١٣٤	ثامناً: الرعي		الفصل الثالث:
١٤٢	تاسعاً: الزراعة		النظام الإداري والسلطات
١٤٧	عاشراً: الألعاب والنشاطات الترفيهية	٥٩	النظام الإداري
١٥٠	حادي عشر: الكتابات	٦١	السلطة السياسية
١٥٠	١١/١: الكتابات العربية الجنوبية	٦٣	السلطة الدينية
١٥٤	١١/٢: الكتابات الثمودية	٦٥	السلطة العسكرية
١٥٥	١١/٣: الكتابات النبطية	٦٥	العلاقات الخارجية
١٥٧	المصادر والمراجع:	٧٣	
١٥٩	- المصادر العربية		
١٧١	- المصادر الأجنبية		



تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

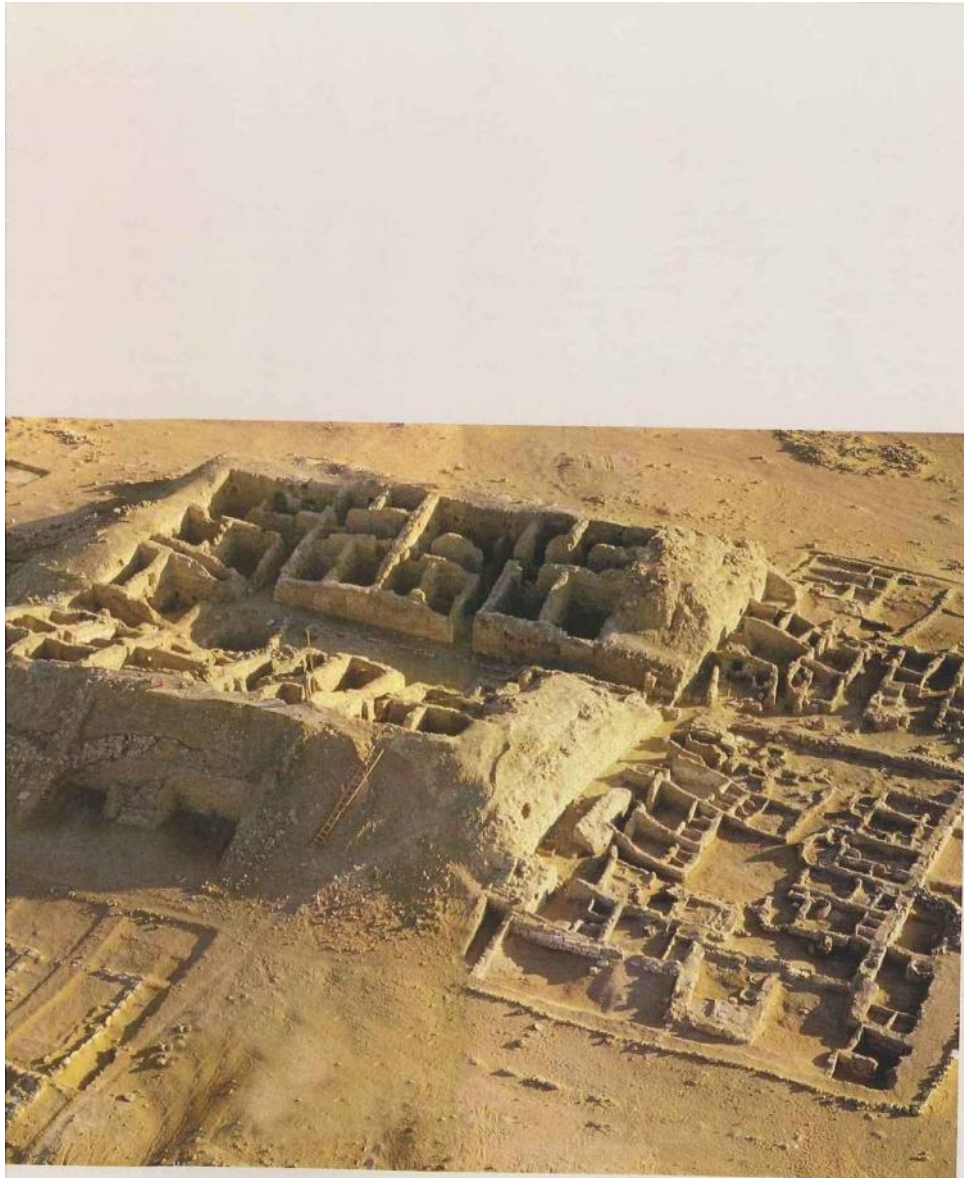
فقد كانت الرياض في الماضي والحاضر هي منطلق نسيج وحدة هذه البلاد المباركة، وقد كانت لها الكلمة الفصل في قيام ووحدة الدولة السعودية الحديثة، التي أرسى دعائمها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله، وهي لا تزال تؤدي دورها الحضاري بكل ثقة واقتدار على الصعيد المحلي، والعربي، والإسلامي. ويقدم هذا الكتاب الذي بين أيدينا دراسة شاملة للتاريخ السياسي والحضاري لمنطقة الرياض في العصور القديمة مدلولاً على أن التاريخ المجيد والحضارة العريقة لا تصنعهما إلا السواعد الفتية التي لا يفت من عضدها الكلال أو الملل.

وقد أشار الكتاب إلى مختلف أوجه تطور التاريخ السياسي والحضاري لهذه المنطقة في الأزمان الغابرة، منها قيام الممالك العربية القديمة التي تأسس بعضها بإرادة داخلية محلية، والبعض الآخر بدعم وتأثير وخارجي، وعلى الرغم من صراع الإرادات، فقد كانت تلك الممالك تتمتع بنظام إداري متطور، وكانت بيدها الكثير من السلطات السياسية، والعسكرية، والدينية مما أعانها على إقامة علاقات خارجية متوازنة مع عدد من الممالك المجاورة لها. وقد أشار الكتاب إلى التاريخ السياسي للممالك القديمة، مثل: طسم، وجريس وكندة، ومعد، كما ألقى الضوء أيضاً على موضوعات أخرى متعلقة بالمساكن، والعمارة الدينية، والمدافن، إضافة إلى المظاهر الحضارية التي كانت سائدة في تلك الحقبة الزمنية، مثل: الصناعات الحجرية، والمعدنية، والخشبية، والجلدية، والفخارية، والطينية، وغيرها من الصناعات، وكان للأنشطة الزراعية، والرعية، والترفيهية نصيب في هذا الكتاب، فضلاً عن الإبداعات في مجالات الكتابات القديمة، مثل: الكتابات العربية القديمة، والتمودية، والنبطية.

ولما لهذا الكتاب من فوائد في إبراز التاريخ السياسي والحضاري القديم لمنطقة الرياض، وانطلاقاً من مسؤوليتها المجتمعية، رأت أمانة منطقة الرياض طباعته ونشره راجية أن يتحقق به النفع وتحصل به الفائدة لجميع الباحثين، والمؤرخين والمهتمين بهذا الميدان المعرفي العميق بمضامينه والغني بأسراره.

أمين منطقة الرياض

عبد العزيز بن محمد بن عياف آل مقرن



بين يدي الكتاب

الرياض المدينة أو المنطقة لها مكانة في قلوب الكثير من الناس، فكم من محب لهذه المدينة المهمة، التي احتضنت أحدث وحدة سياسية في العصر الحديث قادها بنجاح صقر الجزيرة العربية عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود: فقد مكنتها هذا النجاح من أن تؤدي دوراً ونشاطاً واضحين في السعي لتحقيق مصالح الأمتين العربية والإسلامية؛ وما من كاره لها إلا بسبب هذا الدور والنشاط الذي تقوم به.

وقديماً ومن هذه المنطقة نجحت كندة في توحيد قبائل شبه الجزيرة العربية حتى امتد نفوذها إلى الحيرة شمالاً ووادي الدوامر جنوباً ومن الخليج العربي شرقاً إلى الحجاز غرباً؛ ومن الرياض أيضاً نجح عبدالعزيز آل سعود بتوحيد هذه المساحة منها لتصبح ما نعرفه اليوم بالمملكة العربية السعودية. وقد كان لزاماً عليّ -لما لهذه المدينة من دور كبير- أن أشارك بكتابة هذه الدراسة المتواضعة التي أمل أن ألقى بعضاً من الضوء على تاريخها وحضارتها. ومن نافذة القول أنه لولا الله سبحانه وتعالى أولاً ثم تشجيع ثلاثة من الإخوة لما وفقت في المشاركة بهذه الدراسة: فالآخ عبدالله آل عبد الجبار أستاذ التاريخ القديم المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دفعني دفعاً، وحرصني تحريضاً على المشاركة في كتابة جزء يسير من تاريخ هذه المنطقة لصالح موسوعة المملكة العربية السعودية، وبعد تردد مني وإلحاح وتشجيع منه وجدت لزاماً عليّ المشاركة، وثاني هؤلاء الثلاثة زميلي الوفي الدكتور عبدالعزيز بن سعود الغزي أستاذ الآثار القديمة المشارك، في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، الذي وضع في متناول يدي جميع الأبحاث والدراسات المنشورة منها وغير المنشورة، فقد شرفني بقراءة بحثه "الانتشار الجغرافي لكندة"، فلولاً كرمه ومساعدته لما تمكنت بحق من إعطاء الموضوع حقه. وآخر هؤلاء الزميل العزيز سعيد بن فايز السعيد أستاذ الكتابات العربية القديمة، في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، الذي لم يبخل عليّ بالمشورة والرأي السديدين؛ فلهم مني خالص الشكر والتقدير.

لقد تعمدت -عندما عزم على إعداد هذه الدراسة- ألا أتناول الأحداث التاريخية التي عرفت عند المؤرخين باسم "أيام العرب"، مخالفاً بذلك اقتراح الأخوين عبدالله المنيف وعبد الرحمن الشقير، لسببين، أولهما أن هذه الأحداث قد تم تناولها ودراستها بالتمحيص والتدقيق من المؤرخين قديماً وحديثاً؛ وثانيهما رغبتني الشخصية في تحاشي الاعتماد على ما قدمته لنا المصادر الإخبارية، التي أجدها في الغالب غير مريحة، بل إنها تصل في أحيان كثيرة إلى حد التناقض. وهكذا فضلتُ حصر الموضوع بمحاولة متواضعة

لاستطلاع المخلفات واللقى الأثرية التي خلفها سكان هذه المنطقة القدماء، في فترة تمتد من العصور الحجرية القديمة إلى حدود القرن الخامس الميلادي. وهي حقبة طويلة، لكن ما ساعدنا على تغطيتها هو قلة البحوث والدراسات العلمية الأثرية عن هذه المنطقة، والتي انحصرت في الجهد الواضح لووكالة الآثار والمتاحف، خصوصاً إبان تولي الشخصية المتميزة عبدالله حسن المصري إدارتها، وبعض الجهود الفردية الأخرى للإخوة الغزي، والصنداح، والشارخ، والسعود، إضافة إلى جهود قسم الآثار والمتاحف المتمثلة بعفريات موقع قرية الفاو تحت إشراف مباشر من عبدالرحمن الطيب الأنصاري.

وأتوجه بجزيل الشكر والتقدير لجميع الإخوة الأعزاء الذين خدموني بقراءة هذه الدراسة المتواضعة وأتحنوني بتصائبهم العلمية واللغوية وآرائهم المثمرة، وهم: عبدالعزيز الهلابي، وأحمد حامدة، وعمر العتيبي، الأساتذة بقسم التاريخ، وأحمد محمود عيسى، والعباس سيد علي، ويوسف مختار الأمين، وعبدالله بن محمد نصيف، وسالم بن أحمد طيران، وسامر بن أحمد سحلة، ومحمد بن سلطان العتيبي، وفهد بن سليمان السليم، وأحمد بن محمد العبودي، وفهد بن علي الحسين الأساتذة بقسم الآثار والمتاحف، وفهد بن محمد الكلبي الأستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب، جامعة الملك سعود، والدكتور عبدالعزيز بن ناصر الخريف والأستاذ الدكتور ريتشارد مورتيل الأستاذين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والأخ راشد آل عساكر، وأخص بالشكر منهم أخي وزميلي العزيز الذي رافقني بقراءته وتصحيحاته وآرائه محمد الهواري أستاذ اللغة العربية، قسم اللغة العربية، فمعرفتي به تعود إلى ما يزيد عن عقدين من الزمن.

أخيراً، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا، وأن يجعله مفيداً للقارئ الراغب في معرفة المزيد عن تاريخ جزء عزيز علينا من شبه الجزيرة العربية، إنه سميع مجيب الدعاء.

سليمان بن عبدالرحمن الذيب

الرياض

١٤٢٦/٣/٢٠ هـ

المقدمة

تقع منطقة الرياض في قلب شبه الجزيرة العربية، وتشترك في حدودها مع عدد من المناطق الإدارية التي تحيط بها، وهي: مكة المكرمة، والقصيم، وعسير، ونجران، والشرقية. ومسمى الرياض المعاصر يشمل في مؤلفات التراث والموروث العربي، إقليمي نجد واليمامة، فيحسب الحدود التي ذكرها الجغرافيون المسلمون، فإن منطقة الرياض تشمل جل منطقة اليمامة، وجزءاً من عالية نجد (للأراء المتعددة عن تحديد إقليم نجد عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، انظر عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٦٣-١٧٢؛ العتيبي، ١٩٨٨م، ص ١٤٤-١٥٢)، إذ إنها تتفق مع حدود اليمامة من جهتي الشرق والجنوب، وتزيد عنها قليلاً من جهة الشمال، أما من جهة الغرب فإن حدود منطقة الرياض الإدارية تتجاوز الحد الغربي لليمامة، فهي تدخل في إقليم عالية نجد حتى تصل من الشرق إلى مكة المكرمة على مقربة من الطائف المقر الصيفي للحكومة السعودية المعاصرة (عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ٩٦٣، هامش رقم ١).



موقع الرياض بالنسبة للمملكة العربية السعودية
هيئة المساحة الجيولوجية

وقد حظيت الرياض المدينة والمنطقة بإشارات عدد من البلدانيين، لعل أبرزهم إبراهيم أبو إسحاق الحربي، والحسن ابن عبد الله الأصفهاني، والحسن ابن أحمد بن يعقوب الهمداني، في حين زارها في العصر الحديث عدد من الرحالة والباحثين بلغ عددهم ثلاثة عشر، ثلاثة منهم كانت زياراتهم ورحلاتهم خلال القرن التاسع عشر الميلادي، من هؤلاء الثلاثة عشر، ثلاثة مسلمين، أحدهم أوروبي (للمزيد عن هؤلاء انظر الغزي، ١٤١٩هـ، ص ١٨؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٤-١٠).

وبالنسبة للدراسات المتعلقة بالآثار مباشرة فقد بلغت -حتى الآن- عشرة أبحاث لأعمال ميدانية، قام بها منسوبو وكالة الآثار والمتاحف بالمملكة، استمرت لأكثر من عقدين من العمل الجاد، وتحديدًا بين عامي ١٩٧٨-١٩٩٩م. وجميع هذه البحوث عبارة عن نتائج دراسات ميدانية مسحية، فيما عدا العمل الثاني من موسم ١٩٨٢م، وموسم ١٩٨٣م، فقد قام الفريق الأثاري في البحث الأول بالتنقيب في أحد مواقع صفاقة (هويلن وآخرون، ١٩٨٣م، ص ٩-١٩)، وكانت الحفريات الثانية في مواقع آخر من مواقع صفاقة الأثرية (هويلن وعلي، ١٩٨٤م، ص ٩-٢٣).



إحدى حفريات إدارة الآثار في موقع ٢٠٦-٢٧
أطلال ٧، ١٩٨٣م، لوحة ٧

وكان للرياض نصيب من الرسائل العلمية، فقد أجيّزت عن آثارها ومواقعها القديمة أربع رسائل علمية متخصصة، اثنتان تناولتا موضوعات في العصور الحجرية، الأولى أعدها الأمريكي هارالد ماكلور (Mc Clure, 1971)، والثانية تضمنت دراسة لمواقع في مدينة الرياض وتحديدًا في شمالها الشرقي (al-Sharekh, 1995). أما الدراستان الأخريان فتناولتا دراسة لموقعين يعودان للعصر التاريخي، الأولى هي دراسة علمية لنتائج حفريات في مستوطنة البنة بمحافظة الخرج (al-Ghazzi, 1990). أما الثانية -وهي الوحيدة التي تم نشرها من بين رسائل السعوديين الثلاث التي تناولت هذا الموضوع- فكانت دراسة علمية لنتائج حفريات لمستوطنة السيح بمحافظة الأفلاج (al-Saud, 1997). أما الدراسات

البحثية الأخرى وهي لمواقع أثرية قديمة، فهي تسعة أبحاث، اثنان منها صدرا على هيئة كتاب؛ أولهما تضمن تعريفاً مبدئياً للنتائج المذهلة لحفريات قسم الآثار والمتاحف في موقع الفاو عن المواسم الستة الأولى (انظر الأنصاري، ١٩٨٢م)؛ وثانيهما دراسة علمية لنتائج مسح أثري قام به الغزي، عن منطقة الخرج (الغزي، ١٩٩٦م).

أما الأبحاث السبعة الأخرى فكانت مقالات ودراسات جميعها جاءت باللغة العربية، ثلاثة منها تعود للأنصاري هي: الأنصاري، ٩٣-١٣٩٤هـ، ص ٢٧-٧٠؛ الأنصاري، ١٩٧٧م، ص ٩٨-١٠٩؛ الأنصاري، ١٩٨٤م، ص ١١-٢٤. والمقالان الأخيران يمثلان دراسة علمية لعدد من النقوش العربية المبكرة عُثر عليها في موقع الفاو الأثري. وأربع مقالات علمية تعود لثلاث منها للغزي هي: الغزي، ١٩٩٢م، ص ٧١-١٩٣؛ الغزي، ١٤١٣هـ، ص ٩-٢٧؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٢٧-٤٢. في حين تناولت الأخيرة وهي للشارخ، ٢٠٠٤م، ص ٧-٣٢، دراسة أولية لحفريات في موقع الثمامة قام بها المؤلف بمشاركة الزميلين العباس محمد علي ويوسف الأمين.

وقبل أن نعدد المعنى اللغوي للاسم الحديث: الرياض علينا أن نعود إلى اسمي الإقليمين المرتبطين بمنطقة "الرياض"، وهما نجد واليمامة، فالأول جاء علماً لمكان في النقوش الصفوية (Harding, 1971, p.581)، وأحد هذه النصوص من منطقة جنوب الأردن (الجراح، ١٩٩٣م، ص ٥٧؛ CIS 381)، ويقرأ على النحو الآتي:

ل أ س ب ن ي ص ح ج و ص ي د ع ر م ن ن ج د

بواسطة أوس بن يصاح، و(الذي) صاد حماراً (وحشياً) من (منطقة) نجد

وقد عُرف اسماً مذكراً بصيغة ن ج د ي، أي "قادني"، في النقوش الآرامية القديمة (إسماعيل، ١٩٩٧م، السفيرة ٣: ١٠)، وبصيغة ناجيد، أي "قائد، زعيم، أمير، الذي في المقدمة" في العهد القديم (Brown and others, 1906, p.617)، وبصيغة نجوداً، أي "دليل، قائد" في السريانية (Costaz, 1963, p.196). أما في الآرامية التوراتية، فقد ورد ظرف مكان بصيغة نجد، بمعنى "في المقدمة" (Holladay, 1988, p.226)، وفي العربية يقال: رجل نجد ونجد أي "شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره" (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٣، ص ٤١٧). وعن تحديد إقليم نجد يقول الهمداني: "فالنجد ما أنجد منها عن السراة وظهر بين رؤوسها ذاهباً إلى الشرق في استواء دون ما ينحدر إلى العروض" (الهمداني، ١٣٩٧هـ، ص ٢٦١-٢٦٢).

أما اليمامة (للآراء المتعددة والمتضاربة أحياناً انظر عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٧٤-١٧٨)، فهو علم أطلق في الجاهلية على اسمها القديم "جو" بفتح أوله وتشديد ثانيه، من قبل الملك الحميري

تُبَعِّعَ أَسْعَدَ قِيَات، بعد إعدامه المرأة التي عُرفت باسم اليمامة، وهي بنت سهم بن طسم. وقال الملك الحميري (الأندلسي، ١٩٨٣م، مج ١، ص ٤٠٧):

وسرنا وقتلنا لا نُريد إقامة
وقلنا قَسَمَوهَا اليمامة باسمها

والواقع أن م م ت، علم لمكان جاء في أحد النقوش الصفوية (الجراح، ١٩٩٣م، ص ٦٢: Litmann, 1943, 1211)، ويقرأ على النحو الآتي:

(أن) ه أ ت ب د د ع ي ت و ز ر ه ب ن ي س ب ح ي م م ت ي د ف ع

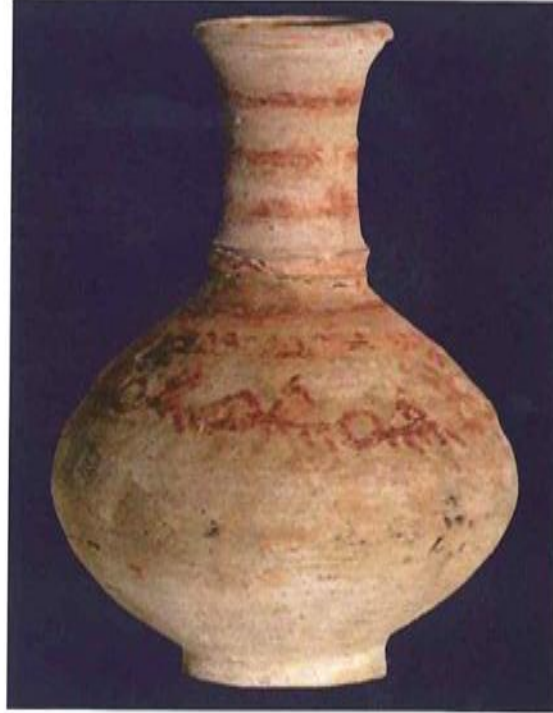
.... أتى دُعَاية وزار هذا المبنى، مسافر من اليمامة يدفع الأخطار....^(١)

واشتقاق اليمامة إما من اليمام وواحدته يمامة، وهو اسم طائر من الحمام البري، وقال بعضهم: يمامة كل شيء قطبه، يقال: الحق بيمامتك. كما عُرفت المنطقة باسم عارض اليمامة، الذي يطلق في الوقت الحالي على جزء يسير من المنطقة، وهي المنطقة الواقعة ما بين الشعيب شمالاً والخرج جنوباً. ونعود الآن إلى الاسم: الرياض، الذي يظهر أنه اسم حديث، عُرف كما ذكر الجاسر، في القرن الثاني عشر الهجري، "أطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من حجر وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق تتخلل مدينة الحجر، وتوجد بمختلف النباتات في زمن الربيع؛ ولهذا صارت تدعى الرياض" (الجاسر، ١٣٨٦هـ، ص ٩٤).

وتخترق منطقة الرياض سلسلة جبال طويق، التي تمتد من الجنوب إلى الشمال على هيئة قوس ينحدر بشدة نحو الغرب، ويبلغ طول هذه السلسلة تسعمئة كيلاً، ويتراوح متوسط ارتفاعها ما بين ٨٠٠ - ١٠٩٦ متراً عن سطح البحر. بينما يزيد عرضها عن خمسة وعشرين كيلاً. ويعرف جبل طويق باسم جبل عارض اليمامة، وجبل العارض ممتد الطول يقسم اليمامة قسمين من بدايته إلى نهايته، وانحداره شديد نحو الغرب، وحالياً يسمى جبل العارض بثلاثة أسماء، الجهة الشمالية منه تسمى طويق، والجهة الوسطى غرب مدينة الرياض تسمى العارض، والجهة الجنوبية تسمى عويريض. وإلى جانب هذه السلسلة من الجبال هناك مرتفعات "وسط نجد"، التي تنحصر ما بين سلسلة جبال طويق وعالية نجد غرباً. ولعل أبرز مدن هذه المنطقة التي تتكون من "١٩" تسع عشرة محافظة، هي مدينة الرياض التي تقع في وسط شبه الجزيرة العربية على دائرة عرض ٢٤° ٣٧' ٥٧"، وخط طول ٤٦° ٤٢' ٥٠". وقد قامت الرياض مكان حجر اليمامة، استناداً إلى ما أكده ياقوت الحموي عند حديثه عن منفوحة بقوله "بالعرض من اليمامة واد يشقها من أعلاها إلى أسفلها وإلى جانبه قرية مشهورة من نواحي اليمامة كان يسكنها الأعشى" (ياقوت، ١٩٨٦م، مج ٥، ص ٢١٤).

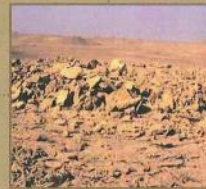
(١) نظراً لأن هذه التوعية من النقوش العربية المبكرة تحتمل عدة قراءات، فقد يقرأ النص على النحو الآتي: أنا أنيد دُعَيْتُ وَزِدْتُ بني سباح يوم مات يدفع. لكننا ننضل على الأقل في الوقت الحاضر القراءة المعطاة أعلاه.

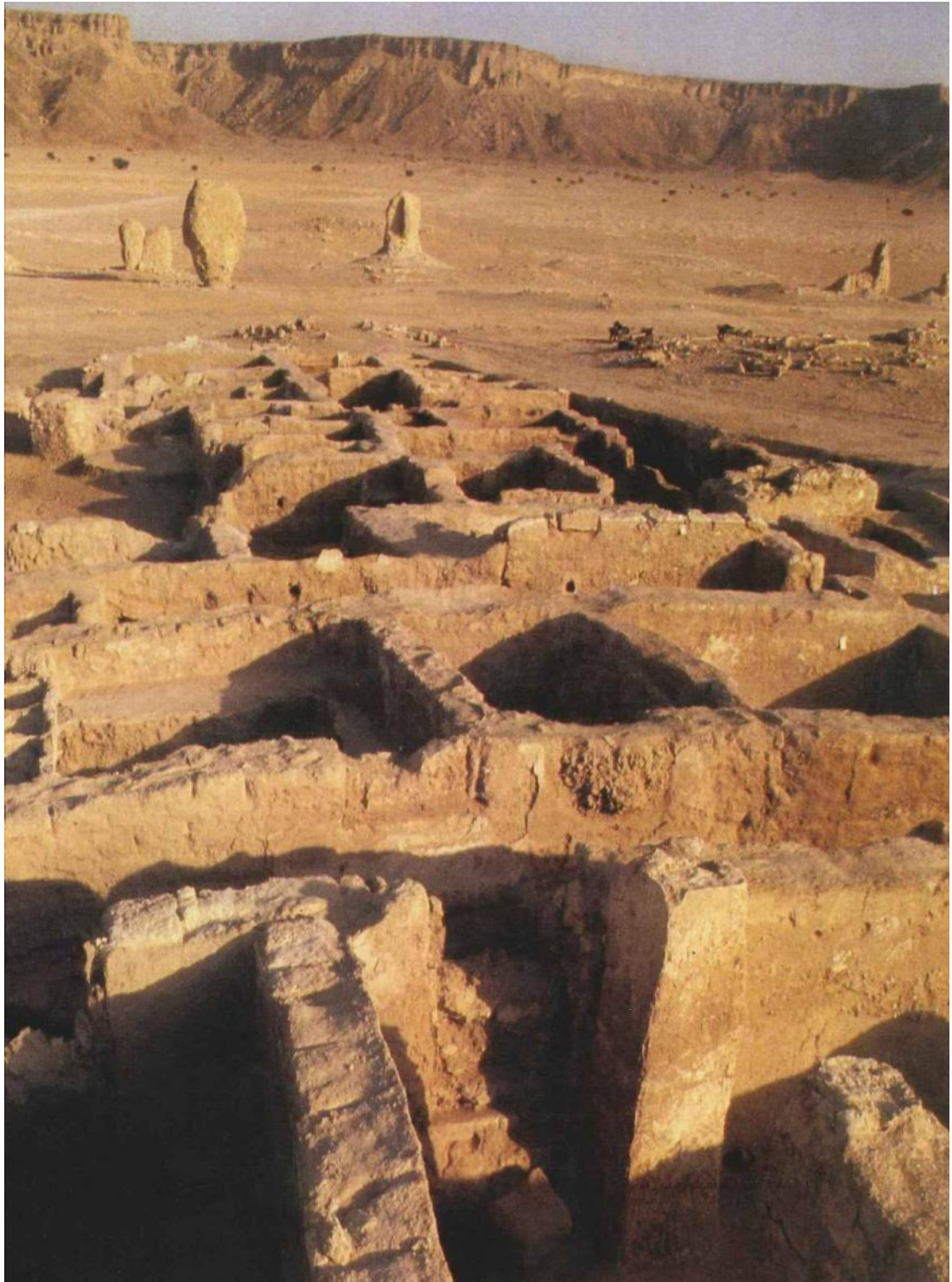
فضلاً عن ذلك؛ فقد عُرفت الرياض باسم "القرية الخضراء" (خضراء حَجَر) (ياقوت، ١٩٨٦م، مج ١، ص ٢٢١-٢٢٣)؛ وتحديداً بعد أن نزل بها بنو حنيفة، ولنزولهم بهذه المنطقة قصة رواها عدد من المؤرخين (على سبيل المثال انظر الأندلسي ١٩٨٣م، مج ١-٢، ص ٨٣-٨٥؛ ياقوت ١٩٨٦م، مج ٢، ص ٢٢١)؛ ومفادها أن القبيلة خرجت لغزو اليمامة بقيادة كبيرهم عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن الدول من حنيفة، وذلك من موطنها الأصلي الذي يقع - كما يذكر الجاسر (١٣٨٦هـ، ص ٣٨) - في عالية نجد وأطراف الحجاز، وأثناء ذلك أقامت في موقع "مَارَات الحُبَل" لعدة أيام، وهي المعروفة حالياً بالمفرزات شمال حجر اليمامة بنحو ثلاثين كيلاً. ونتيجة لما ذكر أحد الرعاة، المدعو الزبيدي، التابعين لعبيد بن ثعلبة عن مشاهدته لأطام وأشجار ذات ثمار طيب المذاق، قام عبيد بزيارة الموقع، وهناك احتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة. وبعد ذلك توالى فولول بني حنيفة للسكن حول وادي العرض الذي سمي لاحقاً باسم وادي حنيفة. ومن المعلوم أنهم يعودون إلى حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (القلقشندي، ١٩٨٤م، ص ٢٣٩).





الفصل الأول
الاستيطان





تُعد منطقة الرياض من مواقع شبه الجزيرة العربية الجغرافية التي استقطبت الإنسان منذ القدم للاستيطان فيها، وقد تعدد عوامل الجذب الاستيطاني تبعاً للعامل الجغرافي، والاقتصادي، ولعل من أهمها موقعها المتوسط في قلب شبه الجزيرة العربية، فالمسافر من شمالها إلى جنوبها أو العكس، أو من شرقها إلى غربها أو العكس، يلزمه إن أراد الوصول إلى وجهته أن يأخذ طريقه عبر هذه المنطقة المهمة. فعلى سبيل المثال يمر المسافر من مأرب إلى اليمن إلى الجرها على الخليج العربي بنجران فوادي الدواسر، والأفلاج والخرج، ثم يتجه شرقاً عبر الدهناء إلى الأحساء، فالجرهاء على الخليج العربي، أما المسافر من الجرها إلى تيماء (شمالي غرب المملكة العربية السعودية حالياً) مفتاح الشام بالنسبة لشبه الجزيرة العربية، فعليه المرور عبر وادي حنيفة إلى حجر (الرياض) فعنيزة، وبريدة ثم حائل منتهياً بتيماء (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٧؛ وعن هذه الطرق التجارية انظر، Brice, 1984, pp.177-81، السعود، ١٩٩٦م، ص ٩٩-١٠٣؛ النعيم، ١٩٩٢م، ص ٢١١-٢١٨). أما السبب الثاني، فهو التنوع الواضح في الطبيعة؛ إذ إن جزءاًها الغربي يقع في منطقة الدرع العربي ذي تكوين ناري، بينما جاء جزؤها الشرقي من منطقة الرفع الغربي، فمنطقة الرياض تقع جزؤها الأعظم في الهضبة العربية ذات التكوين الرسوبي؛ في حين أن أطرافها الغربية تدخل في الدرع العربي (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٢٥).



خارطة لطرق التجارة القديمة الرئيسية
في شبه الجزيرة العربية
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ٦٧

وثالث هذه الأسباب أنها ربما كانت، كما رأى مؤرخو الهجرات القديمة (انظر مثلاً: ظاظا، ١٩٧١م، ص ٥-٢٥؛ أحمد، ١٩٨٨م) الموطن الأصلي للعديد من القبائل والشعوب، وتحديدًا تلك التي كانت في بداياتها تحمل الثقافة الصحراوية مثل: الأكاديين والأشوريين، والآراميين والأموريين ... إلخ، في حين أن الغالبية منهم يرون أن القبائل الفينيقية قد هاجرت من سواحل الخليج العربي (الذبيب، ٢٠٠٤م، ص ٤٧-٥١؛ السعيد، ٢٠٠٤م، ص ٩٧)، فيما يظل تحديد الموطن الأصلي لشعوب وقبائل جنوب شبه الجزيرة العربية محل نقاش بين المؤرخين.

ولهذا فإن نجدًا بطبيعتها وبيئتها وتضاريسها كانت الرحم الذي يتكاثر فيه البشر لكنهم وجدوا تدريجيًا ضيقًا في الحياة، مما دفع غالبيتهم إلى الهجرة وشد الرحال شمالًا إلى حائل فالجوف ومنها يحددون مسارهم التالي، إما إلى الشمال الشرقي ومنه إلى وادي الرافدين أو إلى الشمال الغربي ومنه إلى بلاد الشام ومصر. وهكذا كانت الهجرات، وهكذا امتزجت الشعوب وقامت الاتصالات بين الشعوب القديمة في المنطقة.

لكن عندما نقرر بأن هذه الشعوب والقبائل جاءت من هذه المنطقة، فماذا نقول في شأن المنطقة نفسها؟ هل خلفوا ما يدل على وجودهم واستيطانهم؟ وهل ذهب غالبيتهم في حين بقي القلة، إما لعدم رغبتهم في الرحيل والهجرة أو لأنهم فضلوا أن يكونوا خط رجعة للمهاجرين؟ والواقع يقول أن الدارس لأثار هذه المنطقة -خصوصًا في عصورها الحجرية- يجد معلومات ليست هينة، فهناك جهد بذل من القائمين في الوكالة العامة للآثار والمتاحف في المملكة خلال العقدين الأخيرين من القرن الميلادي المنصرم، فالمنطقة لم تكن رحماً للقبائل والشعوب السامية فقط، بل كانت مكاناً نجح الإنسان القديم في التعامل مع بيئته فاستوطنته. وأعادت الدراسات الحديثة استيطان الإنسان في منطقة الرياض إلى فترات زمنية موزعة في القدم: يصعب في ظل الدراسات الأثرية القليلة تحديد تاريخ مقبول لبدء استيطان الإنسان لمنطقة الرياض؛ لكنها لا تتجاوز المليون سنة قبل الآن، وهذا يرجع تاريخ الاستيطان في منطقة الرياض إلى زمن مبكر جدًا في حياة الشعوب، بل والحضارات. فمن المعلوم عند المتخصصين أن الفترة الزمنية للعصور الحجرية تتراوح حول الثلاثة ملايين سنة في شرق أفريقيا، ولكي يكون الأمر واضحًا وجليًا بالنسبة للقارئ، نجد من المناسب توضيح التعريفات والاصطلاحات -بإيجاز- التي توصل إليها علماء وباحثون متميزون، وتم تبنيها من بقية المهتمين، فلدينا تعريفان أو اسمان رئيسيان هما: عصر ما قبل التاريخ، والعصر التاريخي، الأول استمر حتى معرفة الإنسان القديم أو اختراعه للكتابة، وذلك في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد على يد السومريين، نحو ٣٢٠٠ ق.م، وموطنهم جنوبي بلاد الرافدين، ثم لحق بهم بعد فترة وجيزة أو عاصرهم في هذه المعرفة المصريون القدماء، وهكذا نرى أن الإنسان عاش فترة قصيرة من عمره في الأرض خلال

العصر التاريخي الذي لا يزيد إلا قليلاً عن خمسة آلاف سنة، وتحديداً من ٣٢٠٠ - ٣١٠٠ ق.م. حتى الآن، في حين أنه عاش في العصور الحجرية لمدة تصل إلى ثلاثة ملايين سنة. ونحن في دراستنا هذه، عصر ما قبل التاريخ، لن نتطرق إلى تقسيمات العصر التاريخي وتفرعاته، ولن نتطرق حتى إلى التقسيمات الفرعية للعصور الحجرية، بل سنكتفي بالتقسيمات والأسماء الرئيسية فقط، ولتكن بدايتنا الإشارة إلى تاريخ ظهور هذه الأسماء، إذ يذكر علي (٢٠٠٠م، ص ٧١)، أن تعريف العصر الحجري أو اصطلاحه ظهر لأول مرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديداً في عام ١٨٣٣م، بواسطة الفرنسي "تورنال" أمين عام متحف "ناربون"، وبعد عقدين من الزمن وجد هذا الاصطلاح طريقه إلى القبول والتأييد من البريطانيين، وذلك في عام ١٨٥١م عندما استخدمه البريطاني "دانيال ولسون". واستمر هذا الوضع - كما يقول علي (٢٠٠٠م، ص ٧٢) - حتى عام ١٨٦٥م عندما لاحظ البريطاني "جون لويك" التباين الواضح في حجم وشكل تقنية الأدوات الحجرية التي تعود إلى ذلك العصر، فاقترح تقسيمه إلى عصرين هما: الحجري القديم، والحجري الحديث. وبالرغم من صحة ما فكر فيه واقترحه هذا البريطاني، إلا أن عثور الباحثين على أدوات حجرية تبدو من خلال تقنياتها وأحجامها وأشكالها سابقة على أدوات العصر الحجري المصنف بالحديث، ولاحقة لتقنيات أدوات العصر المصنف بالحجري القديم - دفع الإسكندنافي "هودر فستروب" عام ١٨٧٢م إلى اقتراح عصر حضاري يأتي قبل العصر الحديث وبعد القديم، اسماء العصر الحجري الوسيط. إذا كان العصر الحجري الوسيط يمتد من الألف العاشر قبل الميلاد وحتى بداية العصر الحجري الحديث الذي يبدأ من الألف الثامن تقريباً إلى الرابع قبل الميلاد، فإن العصر الحجري القديم، الذي يمثل تقريباً ٩٥٪ من عمر الإنسان على الأرض، تصل فترته إلى ما يزيد على المليون ونصف من السنين، ورغم هذه الفترة الزمنية الطويلة فمن الملاحظ أن التقدم والتطور التقني في هذا العصر كان بطيئاً جداً، فهو أقل بكثير في سرعة تطوره من سير السلحفاة؛ لكن تزايد الاكتشافات الأثرية في مختلف بقاع العالم، جعل بعض المتعاملين مع هذه النوعية من الأدوات يلاحظون اختلافات تقنية وتبايناً بينها. وهذا الاختلاف والتباين دفع الفرنسيين "لارتيه"، و"مورتييل"، و"كرستي" إلى تقسيم العصر الحجري القديم إلى ثلاث حقبة، هي العصر الحجري القديم الأسفل، والقديم الأوسط، والقديم الأعلى (علي، ٢٠٠٠م، ص ٧٣)، أما العصر الحجري القديم الأسفل فيبدأ منذ نحو ثلاثة مليون سنة، وينتهي قبل ١٢٠,٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر، ليبدأ العصر الحجري القديم الأوسط وينتهي في نحو ٣٥٠٠٠ من الوقت الحاضر. ثم يبدأ العصر الحجري القديم الأعلى، ويستمر حتى نهاية العصر الجليدي نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد لقي هذا التقسيم كغيره من الاقتراحات الأخرى القبول والتأييد، بل والتبني من غالبية المهتمين والمختصين، مع ملاحظة أن بداية ونهاية هذه العصور تتفاوت من منطقة إلى أخرى.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أنه في الوقت الذي كان المهتمون بالإرث الحضاري والمادي للإنسان القديم على هذه البسيطة، يجرون دراساتهم وأبحاثهم المضنية حتى توصلوا إلى الاقتراحات التي ذكرناها أعلاه، فقد كان هناك علماء وباحثون يدرسون المسرح الذي ترك الممثل (الإنسان) فيه أدواته، وهي الأرض وما جرى عليها من تغييرات جيولوجية وبيئية خلال هذه الفترة الزمنية، حيث توصلوا نتيجة لهذه الدراسات إلى تسمية عصريين مهمين؛ أولهما عصر البلايستوسين (Pleistocene) أو العصري الجليدي، ويمتد من نحو مليونين ونصف وحتى الألف العاشر قبل الميلاد، وهكذا فهو يماثل حضارياً نشاطات الإنسان فيما عرّفناه بالعصرين الحجريين القديم والأوسط، ثانيهما هو عصر الهولوسين (العصر المطير، Holocene)، الذي يبدأ من نحو الألف العاشر قبل الميلاد، أي أنه يتوافق مع بداية العصر الحجري الحديث (انظر بهذا الخصوص الصويان، ١٩٩١م، ص ٧-٨). وهكذا اتفق الجيولوجيون وعلماء الإرث الحضاري (المؤرخون والآثاريون) في تزامن التغيرات الجيولوجية والبيئية في الأرض (المسرح) مع نشاطات الإنسان (الممثل). فقد وجد أن هناك علاقة ارتباط واضحة بين الفترات المطيرة المتتالية في عصر البلايستوسين وبين المواقع الأثرية، خصوصاً قرب مصاطب الأنهار وأحواضها وفي المغارات والكهوف.

وإذا كنا في الأسطر السابقة قد تحدثنا عن أبحاث العلماء حول نشاطات الممثل (الإنسان) وأبحاثهم عن مسرحه (الأرض)، فماذا قالوا عن الإنسان (الممثل) نفسه؛ والإجابة عن هذا السؤال كانت من خلال علماء وباحثين تركّزت دراساتهم وأبحاثهم على التطور الفسيولوجي للإنسان، ونشروا العديد من الآراء والنظريات عن الأشكال والأنواع الأدمية، التي تعود لملايين السنين، ويجب التنويه إلى أننا لن ندخل في التفاصيل الدقيقة، (انظر بهذا الخصوص محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ٢٥-٥٠)، إذ أنني سأتوقف عند تعريفات ثلاثة للإنسان، هي الإنسان المنتصب القامة (هومو إركتوس Homo erectus)، وإنسان النياندرتال (Neanderthal)، والإنسان العاقل (هومو سايننس)؛ لأنني لا أرى للتعريفات والتصنيفات الأخرى، مثل الأوسترالوبيتك (Australopithecus) والهومو هابيل (Homohabilis)، أساساً علمياً مقبولاً، إذ إن الأدلة والاستشهادات الدالة على النوعين الأخيرين قليلة جداً لا تعدى أصابع اليد الواحدة، وجميعها جاء من أفريقيا؛ ولنضرب مثلاً بسيطاً قد يكون مفيداً لمثل هذه التعريفات، فلو قدّر مثلاً لعائلة ما أن تمضي وقتاً معيناً، ولنقل عطلة صيفية، في غابة أو صحراء؛ وأثناء هذه العطلة قدّ ولدها البالغ من العمر أقل من ثلاث سنوات، ثم أخذه نوع من الحيوانات -مثل قصة ذلك الطفل الهندي الذي عاش فترة من الزمن مع الذئاب- أو قبيلة ذات مفاهيم ثقافية واجتماعية معينة، فسوف نرى أن هذا الطفل قد اكتسب عاداته وتقاليده ومفاهيمه، بل حتى فسيولوجيته من هذه البيئة التي عاش فيها، فطريقة مشيه وأكله ونومه بل مستوى ذكائه ... إلخ، هي مثل مشيتهم وأكلهم ونومهم ومستوى ذكائهم. لذا نرى

- في ضوء الأدلة التي بين أيدينا - أن تطوراً جرى للإنسان حتى وصل إلى هيئته الحالية يحتاج إلى أدلة أكثر صلابة وإقناعاً.

وبعد هذا لنعد لتعريفات الإنسان الأخرى، وأولها الإنسان المعروف بالمنصب القائمة، الذي ظهر على وجه البسيطة قبل نحو المليون ونصف المليون سنة قبل الآن، فقد عُثر على عظامه في حوض نهر سولو بجزيرة جاوا الأندونيسية (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ٤٢). وهو الإنسان الذي اهتدى إلى الأكواخ البسيطة، وعرف النار مبكراً، في حين كانت ملابسه من أوراق الشجر والنبات وجلود الحيوانات (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ٤٣). ويعتقد أن صناعته لأدواته وأسلحته كانت أكثر فعالية مثل الفؤوس اليدوية بتقنية جديدة اعتمدت على زيادة مساحة التشطيف حتى صارت النواة تُشطف وتُسوى من الجهتين (الصويان، ١٩٩١ م، ص ١٢). لكننا نعتقد أن أهم ما يعود إلى هذا الإنسان هو توصله إلى تكوين الأسرة التي تعتمد على الأب والأم، والأولاد (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ٤٤). الثاني هو إنسان النياتدرتال، ويعود ظهوره على ظهر البسيطة قبل نحو ٢٠٠,٠٠٠ ألف سنة ق. م. (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ٤٤)؛ وله يعود الفضل في إتيان صناعة ودباغة الجلود وارتدائها، وتطويره استخدام النار عن طريق الحك والقذح، بل إنه طور صناعاته الحجرية، فصنع السكاكين والمقايح، والمخارز، لكن أبرز ما يميزه عن الإنسان السابق ممارسته للمعتقدات الدينية، ومواراته لموتاه في التراب أحياناً مع أسلحته وأطعمته التي يستعين بها المتوفى (الصويان، ١٩٩١ م، ص ١٢). ويؤكد حقيقة أن الإنسان لم يعرف دفن موتاه منذ بداية ظهوره على الأرض الآية الحادية والثلاثون من سورة المائدة، قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثُ سُوءَ آجِيهِ قَالَ يَؤَيِّلُوهُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ هَكَذَا الْغُرَابُ فَأُورَثُ سُوءَ آجِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ فتدل هذه الآية على أن الإنسان قبل حادثة هابيل وقابيل لم يكن يعرف الدفن ومواراة موتاه. وثالث هذه الأنواع، هو الإنسان العاقل (Homo sapiens) الذي ظهر على الأرض في نحو ٤٠,٠٠٠ أو ٣٠,٠٠٠ سنة ق. م. (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ٤٨). وقد عُثر على عظامه في فرنسا، وحدث في فترته تطور كبير في جميع مناحي الحياة سواء الفكرية والحضارية أو الفسيولوجية.

وقد كنتُ شخصياً من المشككين، ولنقل المترددين، في قبول العديد من دراسات المتعاملين مع العصر الحجري القديم وأبحاثهم. وبالتحديد في أمرين: المدة الزمنية الطويلة لهذه العصور التي تصل إلى أكثر من مليوني سنة، والتقسيمات التي كانت معتمدة على التباين والاختلاف في تقنية الصناعات الحجرية. إلا أننا عندما نربط بين أمر الله سبحانه وتعالى، رحمة منه، لأبينا آدم وأمنا حواء بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض بسبب انقيادهما لإغواءات إبليس -لعنه الله- لهما بالأكل من الشجرة فيقول جل وعلا: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)؛

نجد أن الخالق سبحانه وتعالى قدم للإنسان الأرض ببيئتها وتضاريسها وتغيراتها الجوية ليمارس فيها العبادة والإعمار، وكانت الأرض، بحجمها الذي نعرفه، تحت تصرف شخصين فقط، آدم وحواء؛ ومن خلال تزاوج أبناهما الذكور بيناتهما الإناث واقتراهم بدأ التزايد السكاني، ولنا أن نتصور كم أخذ هذا النمط من زمن، حتى انتشرت البشرية في مختلف أنحاء المعمورة، فلو افترضنا أن أمنا حواء كانت تحمل في البطن الواحد سبعة بين إناث وذكور فالأمر يحتاج إلى خمسة عشر عاماً للذكر حتى يبدأ بالاقتران بواحدة من أخواته. وهكذا -كما يظهر- فإن الأمر احتاج إلى مئات الآلاف من السنين حتى تمكن الإنسان من الانتشار في المعمورة. ونحن -المسلمون- نختلف مع التوجيه الديني اليهودي الذي يحدد بدء البشرية من الألف الرابع قبل الميلاد، بمعنى أنهم يلغون تماماً فترة أو عصر ما قبل التاريخ. وفترة العصر الحجري القديم بأقسامه المختلفة والتي هي -في تصورنا- الفترة التي عاشها أبونا آدم ثم أولاده وأحفاده، وللتدليل على صحة دراسات الباحثين في العصر الحجري القديم في بقاء التطور التقني والفكري للإنسان، نضرب مثلاً من القرآن الكريم، وهو قصة نوح عليه السلام الذي أمضى في مجال دعوته للإيمان بالله وعبادته على الوجه الصحيح تزيد على تسعمئة سنة، فيقول سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت، الآية ١٤: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾. ونلاحظ من هذه الآية أمرين مهمين أولهما استمرار الغالبية في غيهم وطفيانهم فلم يؤمن بدعوة نوح عليه السلام إلا عدد محدد من البشر، وثانيهما عدم ظهور دليل على زيادة سكانية ملحوظة خلال التسعمئة سنة هذه.

ونحن نرى أن عهد نوح عليه السلام يعود لفترة متأخرة في العصر الحجري القديم الأوسط (١٧,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ سنة ق. م)، أو بداية العصر الحجري الحديث، وتحديدًا في الألفين العاشر والتاسع قبل الميلاد، وذلك لأن حادثة الطوفان الواردة في القرآن الكريم، في الآية المذكورة أعلاه، تتفق مع ما جاء في الكتابات والأساطير الرافدية القديمة عن الطوفان الذي حدث في بلاد الرافدين، والذي لا بد وأن يكون قريباً من الفترة التاريخية، وهي الألف الرابع قبل الميلاد. إضافة إلى أننا نعتقد أن طوفان نوح عليه السلام كان نقطة تحول رئيسة في كل شيء في المسرح (الأرض)، والممثل (الإنسان)، وأدوات الإنسان (الإعمار)، فأسرعت وتيرة التطور وتفاعل الإنسان مع بيئته ومحيطه تفاعلاً واضحاً، وانتشر أولاد نوح عليه السلام في مختلف أنحاء المعمورة، فذهب حام إلى أفريقيا، ويافت إلى شرق آسيا؛ في حين فضل سام البقاء مع والده نوح في الشرق الأدنى. ولاتفاق ذكر الأساطير الرافدية والحورية والحثية، بل حتى الهندية للطوفان؛ فإننا نفهم من الآية ١٤ في سورة العنكبوت، والآية ١٣٣ من سورة الأعراف التي تتحدث عن قوم فرعون ونصها: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ إِنِّي مُمِضٌّ كَرِيمٌ﴾، أن هناك نوعين من العقوبات ومنها الطوفان العام، وهو الذي حدث في عهد نوح عليه السلام، والطوفان الخاص

الذي يصيب أمة مجرمة على نحو ما حدث مع قوم فرعون، أو العقوبات الخاصة الأخرى التي أرسلها الله لقوم لوط وقوم ثمود ... إلخ.

وهكذا أرجو أن أكون قد وفقتُ فيما ذهبتُ إليه عندما أكدت على صحة نتائج الدارسين للعصور الحجرية في بقاء الانتشار السكاني البشري والتطور التقني والفكري.

وبعد هذا الإيضاح الموجز عن العصور الحجرية القديمة، علينا أن نطبق هذه التعريفات على منطقة الرياض (نجد) وإنسانها، مبتدئين على النحو الآتي:

العصر الحجري القديم:

إذا كان أقدم أثر للإنسان على هذه المعمورة يعود إلى ثلاثة ملايين سنة تقريباً، استناداً لاكتشافات في شرق أفريقيا، فإن أقدم موقع استيطان للإنسان معروف -حتى الآن- في منطقة الرياض يعود إلى العصر الأشولي المتوسط (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ١٥؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ١٣)، في حين أن معلوماتنا عن الاستيطان البشري في شبه الجزيرة العربية قد يعود إلى حدود المليون سنة، وذلك من خلال المعثورات الأثرية التي عُثر عليها في موقعي الشويحية، شمال مدينة سكاكا بمنطقة الجوف، وموقع شعيب دحضة بمنطقة نجران (هويلن وآخرون، ١٩٨٩م، ص ٩٦). وهذه المعثورات الحجرية توحي بأن الإنسان -كما يذكر هويلن وآخرون، ١٩٨٩م، ص ٩٦- قد وصل إلى شبه الجزيرة العربية في طريقه إلى قارة آسيا عبر أحد هذين الطريقين، كان الأول اتخاذه الخط البري عبر شبه جزيرة سيناء بمصر، الذي قاده إلى شمال شبه الجزيرة العربية؛ والثاني كان من خلال مضيق باب المندب عبر جنوب شبه الجزيرة العربية إلى وجهته داخل جزيرة العرب أو خارجها، (انظر أيضاً الأمين، ٢٠٠٣م، ص ١٢؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ١١).

وإن صح هذا الرأي، بأن استيطان الإنسان لوسط شبه الجزيرة العربية، يعود إلى العصر الأشولي، فهو يعني أن الحضارة في هذه المنطقة قد بدأت بالإنسان المنتصب القادمة (الهومو إركتس)، الذي وصل إلى المنطقة، ولديه بعض الخبرات البيئية التي لا يستهان بها، لكن الأمين (٢٠٠٣م، ص ١٣-١٤) استناداً إلى الاكتشافات الحديثة سواء في أوروبا أو أفريقيا أو شرق آسيا -يرى أن شبه الجزيرة العربية، بما فيها المملكة العربية السعودية، مرشحة لمدنا بمواقع أثرية مبكرة أقدم بكثير من الشويحية ومثيلاتها، لتوسط شبه الجزيرة العربية بين شرق آسيا وأوروبا وأفريقيا.

ولهذا فإن معثورات هذه المنطقة (الرياض) تعود كما ذكرنا إلى الدور الثاني من العصر الحجري القديم الأسفل، وهو الدور الذي عُرف بالصناعات الحجرية المسماة "الصناعة الأشولية"

(Acheulean Technique) وسميت هذه الصناعات بالأسولية نسبة إلى الموقع الفرنسي الذي وجدت فيه هذه الفؤوس لأول مرة (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ١٠٢). وكما ذكرنا سابقاً فقد تمكن إنسان هذه المرحلة من استغلال واضح وجيد للموارد النباتية، وممارسة صيد الحيوانات المختلفة، مع الاستفادة من لحومها وعظامها وجلودها، وفي منطقة الرياض جاءت هذه النشاطات في العديد من المواقع^(١)، لعل من أبرزها المواقع التي عُثر عليها في محافظة الدوادمي، حيث تكثر مواقع هذا العصر؛ إذ عُثر على العشرات منها وأبرزها مواقع ٢-٢٠٧، ٢-٢٠٦، ٦٨-٢٠٦، ٧٦-٢٠٦، والموقع الأول يبعد إلى جنوبي شرق الدوادمي بنحو ثلاثة وعشرين كيلاً. وقد جمع منه ٣٢٥٦ أداة حجرية (زارينس وآخرون، ١٩٨٠ م، ص ١٣)، في حين عُثر في الموقع الثاني، الذي يبعد نحو ٢٠٥ كيلاً إلى الشرق من الموقع الأول، على ٣٢٧٥ أداة حجرية، منها ٦٧٦ أداة خلال موسم ١٩٨٢ م (هويلن وآخرون، ١٩٨٣ م، ص ١١)، والبقية من موسم ١٩٨٣ م، (هويلن وعلي، ١٩٨٤ م، ص ١٤).

أما في الموقع الثالث ٧٦-٢٠٦، فقد تمكن الفريق من جمع ١٢٨٣٨ أداة حجرية منها ٣١٦٤ أداة خلال موسم ١٩٨٢ م (هويلن وآخرون، ١٩٨٣ م، ص ١١)، و٣٢٥٦ أداة جاءت في موسم ١٩٧٩ م (زارينس وآخرون، ١٩٧٩ م، ص ١٢). بينما جاءت ٦٤١٨ أداة من خلال موسم عام ١٩٨٣ م، منها ١١٨٧ أداة أخذت من الخندق (هويلن وعلي، ١٩٨٤ م، ص ١٠-٢١)، والواقع أن أهمية هذا الموقع لا تكمن فقط في عدد أدواته، بل إنه، على عهدة هويلن وعلي (١٩٨٤ م، ص ١٠)، أكبر موقع أشولي في الشرق الأوسط، جاءت منه هذه الكمية من الأدوات. وبالإضافة إلى هذه المواقع الثلاثة فهناك الموقع ٢٠٦-١٥٩ الذي عدّه من الفريق الأثري أكبر هذه المواقع العائدة للعصر الأشولي الأوسط بمحافظه الدوادمي، إذ تبلغ مساحته أكثر من سبعمئة متر مربع (٢٠٣٥×٢٠) (هويلن وعلي، ١٩٨٤ م، ص ١٥-١٦).

وبطبيعة الحال كشفت الدراسات الأثرية استمرار النشاط السكاني في منطقة الرياض خلال العصرين التاليين الحجري القديم الأوسط، والأعلى، فقد تميز العصر الحجري القديم الأوسط بأدواته الحجرية التي تُعرف باللفالوازية والموستيرية (الصويان، ١٩٩١ م، ص ٥١). وهما أيضاً ما ميز أدوات

(١) ذكرنا في المقدمة أن هذا العمل يهدف إلى إلقاء الضوء على تاريخ المنطقة وحضارتها، لذا فإننا نلتزم بنوع الأسلوب الذي يؤدي إلى رصد للدراسات المسحية ونتائجها، لكننا سنكتفي فقط بما نرى أنه يدعم وجهة النظر التاريخية والحضارية لنشاطات إنسان هذه المنطقة. وللمزيد عن هذه الدراسات المسحية والعلمية انظر: زارينس وآخرون، ١٩٧٩ م، ص ١٩-٢٩؛ زارينس وآخرون، ١٩٨٠ م، ص ٩-٣٥؛ زارينس وآخرون، ١٩٨٢ م، ص ٢٢-٣٥؛ هويلن وآخرون، ١٩٨٣ م، ص ٩-٢٠؛ هويلن وعلي، ١٩٨٤ م، ص ٩-٢٥؛ الغزي، ١٤١٢ هـ، ص ٩-٢٣؛ الغزي، ١٩٩٦ م؛ الغزي، ١٩٩٦ م، ص ٣٧-٤٢؛ الغزي، ١٩٩٨ م، ص ١٩٢-٢١١؛ الشويش وآخرون، ٢٠٠٩ م، ص ٧٥-٩٨؛ الحمود وآخرون، ٢٠٠٠ م، ص ١٢٥-١٨٥؛ الرسيبي وآخرون، ٢٠٠١ م، ص ١٩٩-٢٥١؛ الرسيبي وآخرون، ٢٠٠٢ م، ص ١١٩-١٤٢؛ الأمين، ٢٠٠٢ م، ص ٧-٤٠؛ الشارخ، ٢٠٠٤ م، ص ٧-٢٤؛ وللمزيد من الدراسات انظر أيضاً الغزي، ٢٠٠٦ م، ص ٤-١٠.



موقع صفافة، الدوامي
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ٣٢

هذا العصر في منطقة الرياض، فيما عدا أن بعض الباحثين، زارينس وآخرون (١٩٨٢م، ص ٢٧) أضافوا ميزة أخرى لأدوات وسط شبه الجزيرة العربية، وهي ظهور فوارق بيضاء في نسب أغشية العتق بينها وبين مجموعات العصر الحجري الحديث. وحسب دراسات المختصين نلاحظ أمرين:

الأول: الانتشار الواسع لأدوات هذا العصر في منطقة الرياض (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٤-٣٦؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ١٧).

الثاني: الأحوال الرطبة التي مرت بها هذه المنطقة خلال هذا العصر (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٨؛ زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ١٨-١٩؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٢٩-٣٤؛ الأمين، ٢٠٠٣م، ص ٢٢؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ١٧-١٨).

ومثل هذه المرحلة الكثير من المواقع منها على سبيل المثال لا الحصر مواقع حضبة العرمة (٢٠٧-٧٤، ٧٧: ٢٠٧-٩١) (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٨)؛ إضافة إلى الثلاثة والعشرين موقعاً العائدة لهذه الفترة، والتي عُثر عليها في الجزء الجنوبي الغربي لمنطقة الرياض، وتحديدًا خلال مسح عام ١٩٧٩م (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ١٢). أما العصر الحجري القديم الأعلى، فتظنُّرًا لقلة المعثورات التي يمكن عدّها عائدة لهذا العصر (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٩-٢٢)؛ فإن البعض افترض خلوشبه الجزيرة العربية من النشاط السكاني خلال الجزء المتأخر من العصر الحجري القديم الأعلى، مثل زارينس وآخرون (١٩٨٠م، ص ١٥) الذي اعتبرها مختفية تمامًا في منطقة حضرموت^(٢)، لذلك اعتبر البعض، مثل زارينس وآخرون (١٩٨٠م، ص ١٥) احتمال استمرار الصناعات الموسستيرية داخل حدود شبه الجزيرة العربية إلى قرابة العصر الحجري الحديث، بشكل يشابه ما حصل في وادي النيل، حيث استمرت الصناعة الموسستيرية خلال فترة كبيرة من انقطاع هذه الصناعة في الشام (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ١٤). لهذا تشير الدلائل الأثرية (انظر مثلاً زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ١٠؛ الأمين، ٢٠٠٣م، ص ٢٤-٢٦) إلى خطأ افتراض أن شبه الجزيرة العربية كانت خالية من النشاط السكاني (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ١٨؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٦؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٠).

العصر الحجري الحديث^(٣) :

وهو الذي يعاصر زمنياً عصر الهولوسين، وهو عصر حضاري مهم، إذ بدأ إنسانه مرحلة إنتاج القوت، والزراعة، واستئناس الحيوان، وصنع الفخار، وظهر فيه تفوقه التقني في مجالات عدة، منها الأدوات المصقولة، كما ظهر تطور واضح لفتونه معتقداته وثقافته. إضافة إلى هذا كله اتضحت الزيادة المطردة والواضحة في عداد السكان (علي، ٢٠٠٠م، ص ٧٢؛ الأمين، ٢٠٠٣م، ص ٢٦)، وبدأ ارتباط هذا الإنسان بالمكان، وتشكيل مجموعات بشرية ذات مصالح واهتمامات مشتركة، فظهرت الزعامة بشكلها البدائي (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٩). وتزامن هذا العصر مع انحسار فترة الجفاف وتساقط الأمطار، فبدأ تزايد النشاط السكاني في منطقة الرياض، فالأبحاث والدراسات الأثرية الحديثة دلت على غنى المنطقة

(٢) «توقع أن الدراسات الحديثة كشفت عن مواقع تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر في منطقة حضرموت، (بهذا الخصوص انظر علي، ١٤٢١هـ، ص ١٠٧).

(٣) يلحظ أننا لم نقرّد عنواناً للعصر الحجري المتوسط، نظراً لعدم اكتشافه على الأقل حتى الآن. السات الحضاري لهذا العصر ليس فقط في منطقة الرياض بل شبه الجزيرة العربية كلها، وخصوصاً وأن التسمية كما يذكر علي، ١٤٢١هـ، ص ١٠٩، جاءت أصلاً لتصف مجموعة حضارات ترقفها شمال أوروبا في أعقاب نهاية البليستوسين.

وثنائها بالمواقع العائدة لهذا العصر (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٩-٥٥: الأمين، ٢٠٠٣م، ص ٢٩-٣١: الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٧٢-٧٣: الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٣-٢٣). ومن العلوم عند المختصين أن العصر الحجري الحديث يبدأ بوجه عام منذ نحو الألف الثامن قبل الميلاد ويستمر حتى نهايات الألف الرابع قبل الميلاد. وهي فترة ظهور الكتابة، لكن الأدلة الأثرية التي بين أيدينا عن منطقة الرياض لا تمكننا من تحديد بدء العصر التاريخي فيها بشكل واضح، فما لدينا من أدلة كتابية تشير إلى أن أقدم النصوص العربية القديمة تعود إلى بدايات الألف الأول قبل الميلاد، فهل يعني هذا أن العصر الحجري الحديث استمر في شبه الجزيرة العربية حتى نهايات الألف الثاني قبل الميلاد بخلاف بقية أجزاء الشرق الأدنى القديم، التي بدأ فيها العصر التاريخي في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد؟ لم لا؟ لكننا نحتاج إلى المزيد من الأبحاث الأثرية في المنطقة، وتحديدًا تنقيبات واسعة؛ كي نحصل على إجابة أكثر دقة.

على كل حال، حدد زارينس وآخرون (١٩٨٢م، ص ٢٨) دخول المنطقة للعصر الحجري الحديث من الناحية الأثرية على أساس معايير ثلاثة، هي استعمال حجر الشيرت أو الصوان من حيث المادة، واستخدام تكنولوجيا الشطر بواسطة الضغط، إضافة إلى ظهور الأشكال الورقية مثل المكاشط، المناقش، ورؤوس السهام كنتاج صناعي. وإذا نحن طبقنا هذه المعايير فإننا نجد -كما يقول الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٩- أن منطقة الرياض كانت مأهولة بالنشاط السكاني إبان ذلك العصر بدرجة واضحة، فهناك العديد من المواقع التي عُثر عليها في محافظة السليل، ولعل أهمها الموقعان ٢١١-٤، و ٢١٢-٤٤، وقد ثبت باستخدام الكربون ١٤ وجود ترسبات سبخية وأصداف حلزونية على أولهما، ووجود أصداف على ثانيهما، مما يشير إلى أنهما يعودان إلى الألف السادس قبل الميلاد. وتحديدًا ٥٧٢٦-٥٧٢٥ ق.م للموقع الأول، و ٥٧٢٧ ق.م للموقع الثاني (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٥). وإضافة إلى هذين الموقعين فهناك موقعان مهمان: الأول مستوطنة الضلع، والثاني موقع ٢١١-١٦، فمستوطنة الضلع تمثل أحد أهم مواقع المدافن الركامية في منطقة الرياض (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٤١٣). أما الموقع الثاني (٢١١-١٦)، الذي يقع في الخماسين في وادي الدواسر جنوب الرياض فتكمن أهميته في احتوائه على "١٤" وحدة معمارية (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٥-٢٢٦). ولعل ما ميز هذا العصر في هذه المنطقة أمران: أولهما: تعاصر بعض الرسوم الصخرية مع المعثورات الأثرية في بعض المواقع مثل موقعي ٢١١-١٠؛ ٢١١-١١، بوادي الدواسر (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٦: الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٥). ثانيهما: تعاصر المعثورات الأثرية مع المنشآت المعمارية مثل المنشآت المذيلة، كما في موقعي ٢٠٦-٦٠، و ٢٠٦-٧٧ في صفراء الحقل.

الممالك العربية :

يعود الفضل في طرح هذا المصطلح، الموفق إلى حد كبير، إلى ما يقرب من ثلاثة عقود عندما افترضه عبد الله المصري (١٩٧٧م، ص ١٥) وجعلها تبدأ من الألف الأول قبل الميلاد. وهي -في تصورنا- الفترة التي كان فيها لمنطقة الرياض تفاعل حضاري واضح مع شعوب المناطق المجاورة، وبدء المدنية بمفهومها الواسع بوضوح أكثر مما كان في العصور السابقة لها.

ولعل ما ميز هذه الفترة التاريخية هو ظهور المستوطنات الكبيرة التي تحولت أحياناً إلى ممالك، مثل مستوطنة البنية (٢٠٧-٢٠)، والتي استوطنت لفترة تزيد على الألف عام، فالبدائية -كما دلت معثوراتها- كانت من بداية الألف الأول قبل الميلاد حتى ما قبل الإسلام، فكان بها منازل مشيدة بالطوب اللبن ومسقوفة بالأخشاب وأغصان الأشجار، ويحتوي المنزل على غرف مربعة الشكل (الغزي، ١٩٩٦م، ص ١٣-١٤). ومستوطنة حزم عقيلة (٢٠٧-٢٦)، التي يبلغ طولها كيلاً واحداً، وعرضها نصف كيل. وتدل معثوراتها ومخلفاتها الأثرية على أنها من المواقع التي تعود لبدايات الألف الأول قبل الميلاد (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ١٨٧). وكانت وحداتها المعمارية، التي كُشف عنها أثرياً مشيدة من الطوب الرمادي المجفف تحت الشمس بجدران يبلغ سمكها أحياناً نحو المتر الواحد، مسقوفة بالأخشاب وأغصان الأشجار المغطاة بالطين الذائب، في حين كانت جدرانها وأرضيتها مبطنة بطبقة ملاط جصية (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٢٨). وموقع العيون بالأفلاج، وهو على بُعد نحو ثمانية عشر كيلاً من مدينة ليلى بالاتجاه الغربي (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٢)، وجد فيه عشرة مواقع، ستة منها عبارة عن مستوطنات كبيرة هي: ٢١٢-٢١٢، ٥٧-٢١٢، ٦٠-٢١٢، ٢١٢-٦٣، ٢١٢-٦٤، ٢١٢-٦٦، ٢١٢-٦٩، ٧٠-٢١٢، ٧٤-٢١٢، وأهمها موقع السبيح (٢١٢-٦٠). وموقع ٢١٢-٦٣، والثاني كان محاطاً بشبكة ري كبيرة (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٤). ومستوطنة الرغيب (٢٠٧-٧٥)، وجد فيها بقايا جدران ومبنى عَدَد الغزي (١٩٩٦م، ص ١٥-١٦) إما قلعة أو حصناً. وهناك عشرة مواقع في الخماسين بوادي الدواسر هي: ٢١١-٢-١، ٢١١-٦-٧، ٢١١-١٥، ٢١١-٢٢، ٢١٢-٢-٢١٢، ٢١٢-٩، ٢١٢-٢١، ٢١٢-٢٣)، أعادها زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٤، استناداً إلى معثوراتها وحجمها، إلى فترة الممالك العربية (الفترة الهيلينية). وأخيراً موقع قرية الفاو الذي كان حاضرة لمملكة كندة من القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الرابع أو الثالث الميلادي، وهو موقع كبير مقارنة بغيره من المواقع الأخرى، فقد احتوى على جميع مقومات المدينة الراقية مثل: المعابد، والأسواق، والطرق، والأزقة، والحمامات العامة، وغرف الضيافة، والمساكن لجميع طبقات المجتمع والمدافن ... إلخ. وهو أغنى المواقع من حيث المعثورات؛ نظراً لأنه الموقع الوحيد -بخلاف موقع الريدة- الذي استمر التقيب فيه لمدة تزيد على سبعة وعشرين عاماً، وسنلاحظ انعكاس نتائج هذه الحفريات في ثانياً البحث.

- وبعد هذا العرض الموجز أجد من الضروري الإشارة إلى البيئات التي جاءت فيها هذه المواقع من العصر الحجري القديم إلى عصر الممالك العربية، وكانت على النحو الآتي:
- ١ - مصاطب الأودية المنخفضة، وتمثلها مواقع ٢٠٧-٧٢، ٢٠٧-٨٢، ٢٠٧-٩٥، ٢٠٧-١٠٤، ٢٠٧-١١٠، ٢٠٧-١١١، (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٩؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٧).
 - ٢ - شواطئ البحيرات القديمة، وانتشر هذا النوع في مواقع الخماسين جنوب مدينة الرياض، وتمثله المواقع الآتية: ٢٠٧-٨٩، ٢٠٧-٩٠، ٢٠٧-٩٢، ٢٠٧-١١٢، (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٩؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٧).
 - ٣ - التلال الرملية، ويمثلها موقع رمال بنبان الواقعة إلى الشمال الغربي من الرياض بمواقع الآتية: ٢٠٧-٩٧، ٢٠٧-٩٨، ٢٠٧-١٠٢، ١٠٣ (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٩؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٣)، وكذلك نفود الثويرات إلى الغرب من محافظة الزلفي.
 - ٤ - مرتفعات الحجر الرملي، وتمثله المواقع التي عُثر عليها في هضبة العرمة مثل: ٢٠٧-٤٧، ٢٠٧-٧٤، ٢٠٧-٨٤، ٢٠٧-٨٨ (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٧).
 - ٥ - الكهوف والمغارات، مثل كهف جبل خنوقة إلى الشمال من الدوادمي بسبعين كيلاً، وبه رسوم صخرية (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٩)، وكهف بئر حمى (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٦٩)، وكهف القويح بحوطة بني تميم، وكهف بمحافظة حريملاء، الأول به رسومات فنية وصل عددها إلى ثلاث عشرة لوحة، والثاني به عظام حيوانية وأدمية تدل على ارتياد الإنسان له (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٧-٣٨؛ الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٦٩-٧٠).
 - ٦ - الأماكن المحاطة بجبال من إحدى جهاتها، ويمثل هذا موقع قرية الفاو، فقد جاء محاطاً بسلسلة جبل طويق من الناحية الشرقية، وذلك لتكون بمثابة ساتر من الرياح الشرقية.
- وهكذا، بعد هذا العرض الموجز، نجد أن الدراسات العلمية -على ندرتها- قد أبانت الظروف والدوافع التي شجعت الإنسان القديم على الاستيطان، وتحديدًا في الفترات المبكرة لعصور ما قبل التاريخ؛ فقد استوطن الإنسان المرتفعات الجبلية، والمناطق السهلية المنخفضة أيضًا، إضافة إلى مناطق الأودية والتجمعات المائية. ومن أبرز هذه الأودية وادي حنيفة، وهو واد يبلغ طوله ١٥٠ كيلاً، ويقع على دائرتي عرض ٢٥ - ٢٢ شمالاً، وخطي الطول ١٢ - ٤٦، ٥٣ - ٤٩ شرقاً، (الراشد، ١٤٢٠هـ، ص ٩؛ محمود، ١٩٧٧ - ١٩٧٨م، ص ٢٨). الذي انتشرت على ضفافه المواقع الدالة على استيطان الإنسان؛ فالمواقع العائدة لهذا العصر تُعد بالآلاف، أبرزها موقع صفاقة، الذي أثبتت الدراسات العلمية لمعثوراته وملقطاته السطحية أنه يعود إلى العصر الأشولي.

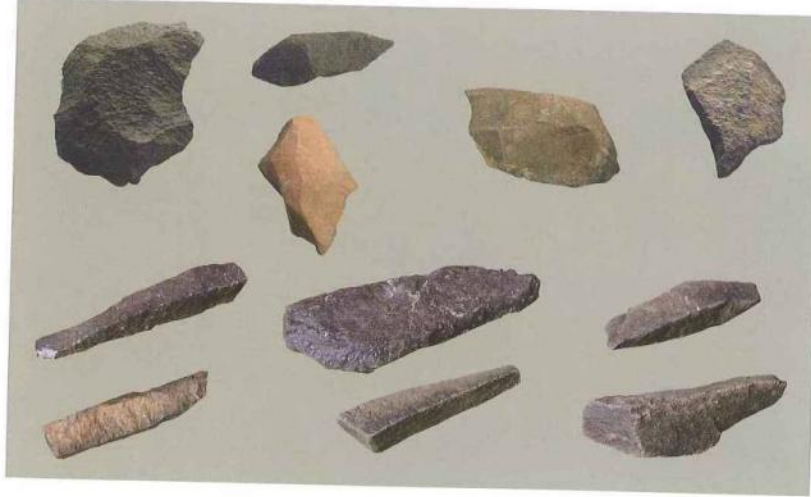
ومن المواقع التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، مواقع هضبة العرمة، ووادي حنيفة، ووادي الخرج، ووادي العتك بالقرب من مطار الملك خالد الدولي. ولعله من المفيد الإشارة إلى الموقع المعروف باسم "الطراق"، الذي يتكون من تلال صغيرة تقع على هضبة شمالي شرق الرياض، وقد احتوى على ورش لتصنيع الأدوات الحجرية، إضافة إلى ظهور الأحجار الخام المناسبة للتصنيع (al-Sharekh, 1995). وقد أظهرت معثورات هذه المواقع، التي تُعد بالمثلثات كما قلنا، أن إنسان ذلك العصر لم يكن منعزلاً عن بيئته المحيطة، فقد تفاعل معها التفاعل الذي لم يدفعه فقط إلى الاستيطان والاستقرار المؤقت، بل الدائم، فما كثرة المنشآت الحجرية مثل المقابر الركامية، والمنشآت المذيلة، والمباني الدائرية والدوائر الحجرية، التي تُعد بالآلاف، إلا دليل واضح على استقراره شبه الدائم ونجاحه في تطويع بيئته لما فيه مصلحته في ذلك العصر.

فقد عُثر على الآلاف من الأدوات الحجرية، التي جسدت نمط حياته وأنشطته واحتياجاته اليومية مثل: الصيد والتقطيع، ومعالجة الحبوب البرية، وخلافه، ومن هذه الأدوات: الفؤوس اليدوية، والسواطير، والمعاول، والمثاقب، والمناقش، والأزاميل، ورؤوس الحراب، والسهام الطويلة، والسكاكين المختلفة الأحجام... إلخ.



دوائر حجرية في أعلى التلال المطلة على الوادي بالحائر
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ٣٩

ومما خلفه لنا إنسان ذلك العصر الرسوم الصخرية، التي أظهرت فيما أظهرت تفاعله مع ظروفه المحيطة به، فها هو ينجح في استئناس العديد من الحيوانات، ويستفيد منها كل حسب وظيفته، مثل الماعز، والجمال، والبقرة، والغزلان، بل تعددت الرسوم الصخرية في تبيان نجاحه في استئناس الحيوانات، كما أنها كشفت لنا عن بعض المظاهر الاجتماعية السائدة آنذاك، مثل المناظر الراقصة التي جاءت من موقع جبل مريبخ، وكانت الحفلات ذات بُعد ديني أو اجتماعي، وكذلك المناظر التي جاءت من وادي الدواسر، وهي تصور طقوساً قديمة، لكونها مناظر تعبدية، بل إن هذا النشاط والتفاعل الإنساني أدى لاحقاً إلى استخدام إنسان هذه المنطقة الكتابة للتعبير عن رغباته وهمومه. فالنقوش الثمودية ظهرت في العديد من المواقع مثل جبل البيضتين، الواقع إلى الجنوب الغربي من الدوادمي بنحو ثلاثة عشر كيلاً، وموقعي ملهم والقرينة اللذين يقعان على بُعد سبعين كيلاً شمال مدينة الرياض، إضافة إلى العديد من الجبال الواقعة في الثمامة في شمالي شرق الرياض. وهذا ما ستكشفه لنا الصفحات الآتية.



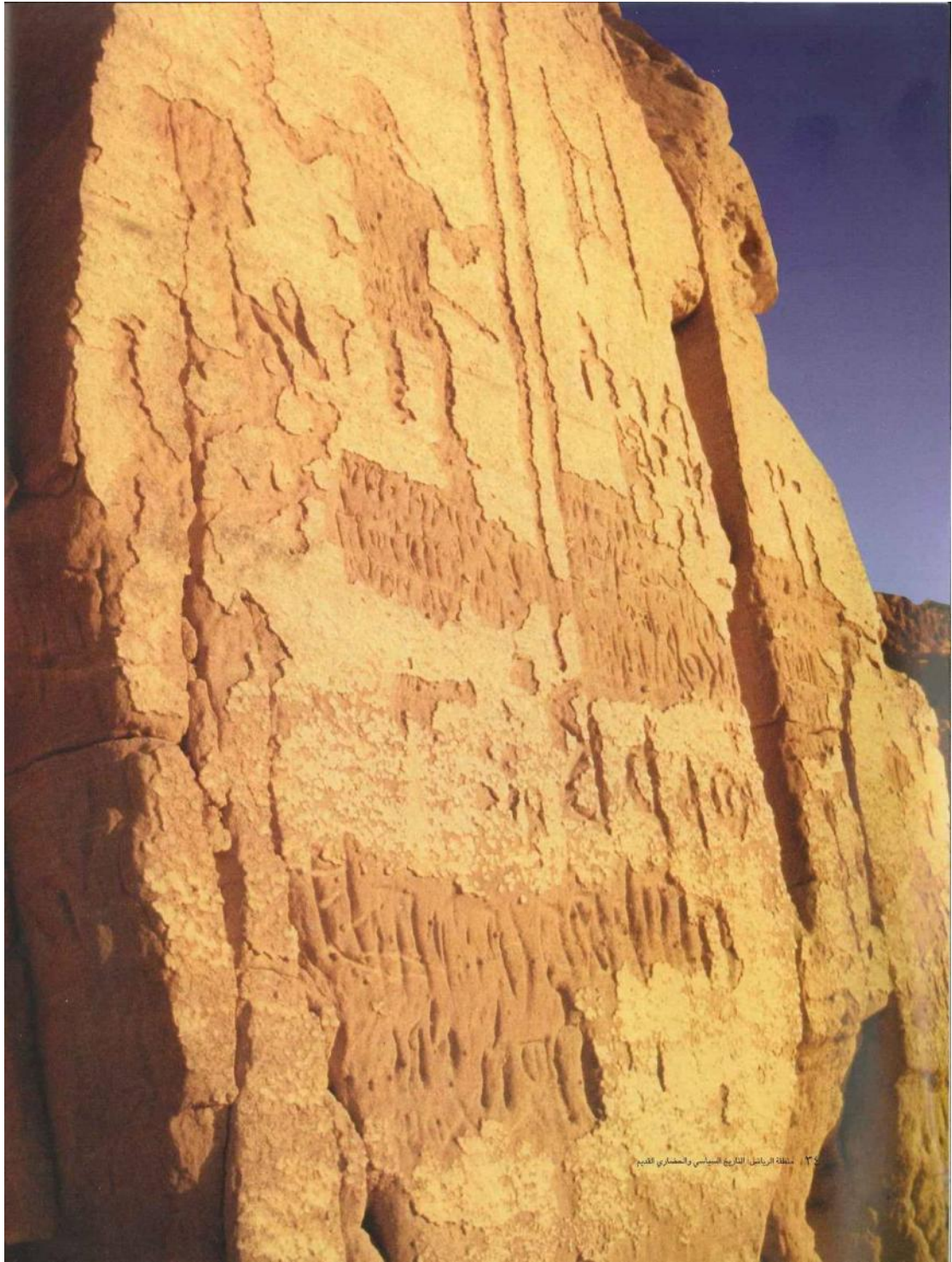
أدوات حجرية من موقع صفاقة بالدوادمي
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ٣٢-٣٣





الفصل الثاني
الممالك القديمة
التاريخ السياسي





٣٥ . منطقة الرماح، التاريخ السياسي والحضاري القديم

أولاً : طَسَم :

على الرغم من عدم اتفاق المؤرخين على تحديد زمن معين لظهور هذه القبيلة، إلا أنهم يتفقون على أنها و قبيلة جَدِيس (انظر أدناه)، أقدم قبيلتين سكنتا ما يعرف حالياً بمنطقة الرياض. فالنسابة يعدونها من القبائل البائدة (انظر على سبيل المثال المسعودي، ١٩٣٨م، ص١٥٧؛ فروخ، ١٩٨٤م، ص٤٦)، في حين -وهو أمر مستغرب- يقر بعضهم بأن زوال قبيلة طَسَم كان في القرن الخامس الميلادي (انظر على سبيل المثال، البلاذري، ١٩٥٩م، ص٧)، لكن الدراسات الأثرية التي غطت العصور الحجرية والتاريخية، وعلى وجه الخصوص موقعي قرية الفاو، والخرج، إضافة إلى الثراء الحضاري الواضح للمنطقة إبان فترة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي يؤكد موقف الصحابي ثمامة ابن أثال سيد بني حنيفة بعد لقائه الرسول ﷺ بمقاطعة الحجاز زراعياً واقتصادياً، لتؤكد استمرار الاستيطان البشري في منطقة الرياض، مما يجعل من الضروري إعادة النظر في الدراسات التاريخية لهذه المنطقة أثناء هذه الحقبة. ولعله من المفيد الإشارة إلى أن ثمامة بن أثال كان قد تقلد زمام الأمر بعد وفاة زعيمهم المسيحي الديانة الملقب بصاحب التاج هوذة بن علي بن ثمامة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعى على هوذة (عسيري، ١٤١٩هـ، ص ١٣٠)، لعدم استجابته لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم (الفريخ، ١٤١٩هـ، ص ٢٢٢)؛ المهم أن خليفته ثمامة كان أقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فوقف مسانداً وداعماً للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ضد بطش قريش، فأقنع أصحابه بني حنيفة بالامتناع عن إرسال الحنطة إلى قريش. وقد استمرت هذه المقاطعة الزراعية حتى أذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الرحيم بالناس، بوقف هذه المقاطعة ودعوته لثمامة وقومه باستمرار تدفق الحنطة إلى الحجاز.

إن هذا الغموض الذي يكتنف تاريخ هاتين القبيلتين اللتين أدتا دوراً واضحاً في الجدار التاريخي والحضاري للمنطقة، لا يمكن تجاوزه إلا بتكاتف المؤرخين والأثريين عن طريق إجراء دراسات علمية دقيقة لما ستكشفه لنا الحفريات والتنقيبات، التي نأمل أن تتبناها الجهات ذات العلاقة بالعلوم التاريخية والأثرية، فبدون الكشف عما في باطن هذه الأرض سيظل تاريخها غامضاً، بل وكما رأى بعض الإخباريين والمستشرقين من أن تاريخها أقرب إلى القصص والروايات الشعبية. وتتسبب هذه القبيلة -كما يعتقد- إلى طَسَم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام (المسعودي، ١٩٨٤م، ص١٣٥؛ الحميري، ١٩٧٤م، ص٣٦)، وقال بعضهم أنه طَسَم بن كاثر بن إرم بن سام بن نوح (ابن خلدون، د. ت، مج ٢، ص٢٤). لكن كيف كان وصول طَسَم حفيد سام بن نوح؟ الذي يقال: إنه رافق والده نوحاً عليه السلام أثناء الطوفان، إلى أرض اليمامة متخذاً ورفاقه من جزئها الشمالي مقراً ومستوطناً لهم (الهمداني، ١٣٩٧هـ، ص١٤٠)، وبالتحديد وادي الوُتْر (البلحاء)، والعرض (وادي حنيفة)، وبمعنى آخر إنهم كانوا يقطنون مدينة الرياض الحالية

(الجاسر، ١٣٨٦هـ، ص ٢٧). نقول إن كيفية وصوله إلى اليمامة لم تكن مما اهتم به الإخباريون، فيما عدا الإشارة إلى أن طَسَم قد ترك بابل مثله مثل أخويه عمليق وجديس، وأنه قد دخل فارس، فقيل إن جميع أجناس فارس من ولده (لهذه المقولة انظر عبد الحميد، ١٩٧٦م، ص ١٢٢)، وتعتبر المقولة الأخيرة من المبالغات التي اعتاد الإخباريون ذكرها عند حديثهم عن الأمم الموغلة في القدم، التي لا يعرفون عنها شيئاً.

لكن البعض بعد أن ربط بين طَسَم القبيلة، والقبيلة الواردة بصيغة لطوشيم في العهد القديم (Brown and others, 1906, p.538)، إضافة إلى إشارة التوراة بأن طَسَم هو من نسل دادان بن يقطان (علي، ١٩٨٠م، مج ٢، ص ٢٣٥)، ذكر أن موطنها هو دادان، (العلا حاليًا)، وأنها نزحت إلى اليمامة لتكون شرطي دادان في المنطقة عن طريق إشرافها وحمايتها المباشرة لطرق التجارة، التي كانت تمر بالمنطقة متجهة شمالاً وغرباً، وهي ذات أهمية قصوى بالنسبة لمملكة دادان (الأنصاري، ١٩٧٠م، ص ص ٩٠-٩١؛ مهران، ١٩٨٠م، ص ص ١٦٧-١٦٨). وهذا القول يحتاج أيضاً إلى إثباتات أكثر، إذ إن الربط بين العلمين طَسَم العربي ولطوشيم/ لقوشيم العبري، لم يكن موفقاً لاختلاف الجذر. فالأول جاء من الجذر الثلاثي "ط س م"، بينما جاء الثاني من الجذر "ل ط ش / ل ط س"، ولذلك فلا نرى أي علاقة بينهما. الأمر الثاني أن افتراض الانفلات الأمني وعدم الاستقرار السياسي في المنطقة خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، لا تدعمه الأدلة الأثرية في المنطقة؛ فالقنوات المائية الضخمة في مدينة الخرج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ص ٣٥-٣٦؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ص ٧٢-٧٣)، التي تعود إلى الفترة نفسها تدل على قدر مناسب من الاستقرار السياسي والأمني، مما ينفي الحاجة إلى إرسال مجموعة بشرية للعمل كشرطي في المنطقة. وهكذا سيظل السؤال مطروحاً حتى يتم الحصول على أدلة علمية دقيقة، وعليه فإنه في الوقت الحالي، يفترض بنا اعتبار هذه القبيلة "طَسَم" من سكان هذه المنطقة.

ويظهر أن اشتقاق هذا العلم جاء من الجذر "ط س م". وطَسَم الشيء والطريق؛ وطَسَم يَطَسِمُ طُسُومًا أي "دَرَس"، أو أن اشتقاقه من الطَسَم وهو "الظلام" (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ١٢، ص ص ٣٦٢-٣٦٣). لذا فهو قد يعني "المأحي، الطاسم"، أو "الظلام، السواد"، والمقصود الإزهاق والتخويف. الجدير بالإشارة أن هذا العلم قد ورد بصيغتي ط س م، (CIS 3490; Harding, 1971, p.387) و ط س م ن (Littmann, 1943, 702)، في النقوش الصفوية. فقد ظهر بصيغته الأولى في نص يوناني اكتشف في موقع صلخد بالعراق يعود إلى القرن الرابع الميلادي (٣٢٢م)، جاء فيه "انعم طسم" (علي، ١٩٨٠م، مج ٢، ص ٢٣٥).

ولأننا جعلنا طَسَمًا إحدى القوى السياسية في المنطقة، فإنه من الطبيعي التطرق إلى دورها السياسي وتأثيره محلياً وإقليمياً، ولكن ومع إقرارنا بالوجود السياسي لهذه القبيلة إلا أننا لا نجد إلا تاريخاً سياسياً

مضطرباً لا يشفي غليل الباحث المتشوق لمعرفة دور هذه القبيلة السياسي والحضاري. فقد أسبغت الروايات التاريخية العربية، التي دونت في زمن متأخر، الطابع الأسطوري عليها، ومع هذا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاعتماد على هذه الروايات التاريخية، التي لا تزال الغموض، ولا تساعد بأي حال من الأحوال في تكوين صورة واضحة عن دور هذه القبيلة (المملكة ١٩). ونظراً لاعتبار الإخباريين المدعو عمليق/ عملاق ملكاً، وهو عمليق بن هباس بن هيلس بن ملادس بن هرکوس ابن طسم، (ياقوت، ١٩٨٦م، ج ٥، ص ٤٤٢)؛ فالمرجح أن مملكته كانت تتبع النظام الملكي المعروف آنذاك في الأقاليم الأخرى من شبه الجزيرة العربية، وأن نفوذها شمل البحرين أيضاً إضافة إلى وسط الجزيرة العربية (ابن الفقيه، ١٩٨٨م، ص ٣٠؛ ابن الأثير، ١٩٨٢م، ص ١٨٥)، وأنها قد خضعت للتفوذ الحميري. وبالنسبة لدورها الحضاري فلا شك في وجوده: لأن البيئة التي سكنتها وسيطرت عليها كانت بيئة زراعية خصبة تساعد على الاستقرار والتحضر، وتعتبر المواقع الأثرية التي شملت منشآت معمارية ومعثورات مختلفة، التي لم يُعرف أصحابها بعد، إلا دليلاً على هذا الأثر الحضاري. ولعل من أبرز ما ذكرته روايات الإخباريين من مخلفاتهم المعمارية حصنان هما حصن القرية (سدوس)، ومُعْتَق^(١)، اللذين تفصل بين تاريخها مدة طويلة، فأولها بُني من حجر واحد، ونسبه البعض -وهو غير صحيح- إلى سليمان بن داود عليهما السلام، وعدّوه من بناء الجن؛ لأنه عمل تعجز عنه قدرة البشر (ابن الفقيه، ١٩٨٨م، ص ٣١؛ ياقوت، ١٩٨٦م، ج ٥، ص ١٨٥). أما الثاني، فهو الحصن الذي تحصن فيه عبيد بن ثعلبة الحنفي لما استولى على اليمامة بلاد طسم بعد هلاكها. وأخيراً يظهر أن مدينة الخضراء كانت قاعدة (عاصمة) طسم، وقد كان بها قصور عالية وحصون فارهة (عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٠٢).

ومما اختلف فيه المؤرخون والإخباريون النهاية السياسية لهذه القبيلة، والواقع أنه في ضوء معلوماتنا التاريخية المستقاة من المصادر الإخبارية، ودون القيام بحفريات أثرية منظمة، فستظل محاولة معرفة نهاية هذه القبيلة غير ممكنة، فالبعض يرى أن نهايتها كانت في القرن الخامس الميلادي وذلك استناداً إلى الأحداث التي جرت أثناء فترة الملك الحميري حسان بن تبع (على سبيل المثال انظر عبد الحميد، ١٩٧٦م، ص ٢٢٤-٢٢٥)، والجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يجعلون نهاية هذه القبيلة في القرن الثاني الميلادي، وتحديداً بعد ١٤٠م، (بهذا الخصوص انظر de Perceval, 1847-8, p.89)، في حين يرجع البعض نهايتها إلى أكثر من ألف سنة من هذا التاريخ. أي إلى القرن الخامس قبل الميلاد (الأنصاري، ١٩٧٠م، ص ٩١). ووفق هذه المعلومات الغامضة نسبياً يجدر القول إن نهاية هذه المملكة كانت نتيجة لما اشتهر به آخر ملوكها

(١) البلاذري ١٩٩١م، ص ١٠٣. وتجدر بنا الإشارة إلى أن البعض مثل ياقوت ١٩٨٦م، مج ٢، ص ٣٦٥، وغيره من البلدانج أوردوه باسم منق:

ويقول فيه الشاعر: أبت شرفات في شمس وممنق لدى القصر أن تضام وتضهدا.

المدعو عمليق/ عملاق من بطش وبغي وظلم (وجاءت هذه القصة عند العديد من المؤرخين مثل: الطبري، ١٩٧٩م، ص ٦٢٩-٦٣٢؛ ابن الأثير، ١٩٨٢م، ص ٣٥٠-٣٥٤؛ المسعودي، ١٩٣٨م، ص ١١١-١١٩؛ ابن خلدون، د. ت، ج ٢، ص ٢٤-٢٥. وللمزيد من هذه المصادر انظر عسيري، ١٤١٩هـ، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٩). وقد ظهر هذا البغي واضحاً في تشكيله برعاياه من قبيلة جديس، فقد وصل ظلمه وجبروته إلى حدّ ألاّ تزف بكر من جديس إلى زوجها حتى يفترعها قبل زوجها، وهذه القصة مكررة في التاريخ القديم مثل الحادثة التي جرت بين العرب واليهود، وما قام به عتودة وهو مولى أبرهة (مهران، ١٩٨٠م، ص ١٧١)، واستمرت هذه الحال حتى شقت فتاة يقال لها عفيرة أو الشموس بنت غفار الجديسي، عصا الطاعة على هذا الأسلوب المشين، الذي تعامل به هذا الملك مع غيرها من نساء قبيلة جديس، بأن تعمدت -كما يقال- الخروج على قومها بدمائها شاقة جيبها من قبلها ودبرها؛ لاستئثارهم واستنهاض مشاعرهم وهمهم، وأياً كان السبب فيظهر أنه كان لفعلهما هذا الذي أرفقته بإنشاد أبيات توبخ بها قومها على خنوعهم واستسلامهم، وقع قويٌ عليهم، فقد هاجت النخوة في رؤوسهم، ودفعت سيدهم المطاع الأسود بن غفار -وهو أخوها- إلى تبنيه الرأي القائل بالوقوف في وجه هذا الملك الطاغية عمليق/ عملاق، لكن الهممة الواضحة لطسم على جديس عدة وعدداً جعلت الأسود بن غفار يأخذ طريق الحيلة والخديعة، وتتلخص هذه الحيلة بدعوته لعمليق/ لعملاق يرافقه أشراف قومه إلى وليمة، وبالفعل حضروا جميعهم متخلين عن أسلحتهم، وعندما بدأ القوم في الطعام قام الجديسيون باستخراج سيوفهم التي خبئوها في الرمال^(٢)، فقتلوه عن بكرة أبيهم، واتبعوا هذه المجزرة بما جمعتهم طسماً في ديارهم فعاثوا في رجالهم قتلاً، وسبياً للنساء والأطفال، ونهباً للديار، وتكمل الرواية التي يصعب أخذها دون تمحيص وتدقيق، وذلك من باب التشويق إلى القول بأنه لم ينج من هذه المجزرة الكبيرة سوى رجل طسمي واحد، هو رياح بن مرة الطسمي^(٣). وهكذا تحقق المثل المتداول "بوار طسم بيدي جديس"^(٤). ولا نعلم بعد هذه الواقعة -إن صححت- أنه قامت قائمة أخرى لهذه القبيلة.

(٢) ويذكر لنا التاريخ أحداثاً مشابهة لما فعله الجديسيون بالملك عمليق ورعاياه، لعل أبرزها الحادثة التي قام بها كي -أخسار بن افراهاط ملك الماديين، نظراً لعدم تمكنه من مواجهة الأشكوزيين، الذين فرضوا سيطرتهم الكاملة على الماديين، بأن دعا زعماء الأشكوزيين إلى وليمة كبيرة، وعندما تأكد له أن المدعوين أصبحوا في حالة سكر، قام بقتلهم جميعاً، (ياقر، ١٩٧٣م، ص ٥٢٧).

(٣) تشير بعض الروايات الإخبارية إلى أن قاتل عمليق هو الأسود بن رياح، الذي هرب إلى طوس، لكن شظاعة جسمه بالنسبة لأجسام أفراد قبيلة طوس، جعلت سيدهم سامة بن لؤي يأمر ابنه الفوت بقتله، فقام الفوت بمباشرة الأسود بن رياح، فرماه بسهم قاتل، (الأسفهاني، ١٩٦٩م، مج ١، ص ٤٧، ٩٢).

(٤) ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، ج ٧، ص ١٣٣١ الأسفهاني، ١٩٦٩م، مج ٧، ص ٣٣١، ١١، ١٦٤. ومن الأمثلة الطريفة التي ينسبها الرواة إلى الطسميين، المثل القائل "سمن كلبك يأكلك"، ومفاده أن لرجل من طسم كلب كان يسقيه اللبن ويطعمه اللحم، راجعاً أن يسبب منه خيراً ليقوم بحراسته، لكن الكلب جاع يوماً فهجم على صاحبه، الذي غداه فأكله، وقيل فيه:

ككلب طسم وقد يريسه
فكل عليه يوماً بفرخه
يعله بالعليب الفليس
أن لا يلع في الدماء ينهس

بهذا الخصوص انظر: علي، ١٩٨٠م، ج ١، ٢٢٦، هامش رقم ٢.

ثانيًا: جديس:

ينسب الإخباريون جديسًا بأنه ابن عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام (المسعودي، ١٩٨٤م، مج ٢، ص ١٣٤)، وقيل في روايات أخرى إنه ابن لاوذ بن إرم بن نوح عليه السلام (ابن خلدون، د. ت، مج ٢، ص ٢٤). وهكذا -كما أشار عسيري ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ٩٧- فهو في النسب الأول أخ لثمود، في حين جاء في النسب الثاني أنه أخ لثسّم. هذا ما قاله الإخباريون في نسب قبيلة جديس. وقد ربط المؤرخون المحدثون (انظر على سبيل المثال، علي، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٣٩؛ زغلول، ١٩٧٦م، ص ٢٢؛ مهران، ١٩٨٠م، ص ١٦٨؛ زيدان، ١٩٦٨م، ص ٦٩)، بين اسم جوديسيت Jodisitac أو Jodisit، الذي جاء في جغرافية بطليموس علمًا لقبيلة تقطن شرق شبه الجزيرة العربية (Ptolemy, 1843-5, I-29)، بقبيلة جديس. ورغم أن الإخباريين يعتبرون هذه القبيلة من القبائل البائدة، فإن قبيلة جوديسيت قد عُرِفَت في القرن الثاني قبل الميلاد، وتحديدًا سنة ١٢٥ق. م. ولكن الأمر الثابت أن العلم بصيغة ج د س، ورد في النقوش اللحيانية اسم علم لشخص (Jaussen, Savignac, 1909-14, 272:2; Harding, 1971, p.155).

أما كيفية وصول هذه القبيلة إلى اليمامة، وهل كانت فترة وصولهم معاصرة لوصول ثسّم؟ فإنه يصعب إعطاء إجابة دقيقة أو حتى مرجحة، لكن بعض المصادر الإخبارية أشارت إلى أن هجرة جديس كانت من مدينة بابل استجابة لدعوة أخيه ثمود للحاق به في اليمن (المسعودي، ١٩٨٤م، مج ٢، ص ١٣٤؛ عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ٩٨)، وهي -أي الرواية السابقة- مستبعدة^(٥)، فلم يُعثر حتى يومنا هذا على ما يدل على هذا الحدث في الموروث الرافدي البابلي، سواء في أساطيره (انظر لابات، ١٩٨٨م)، أو نقوشه الكثيرة (Luckenbill, 1989)، فالأمر لا يعدو كونه من المبالغات التي يؤثرها الإخباريون عند حديثهم عن الأمم الغابرة، والمهم سواء أكانت دعوة ثمود لأخيه جديس هي سبب القدوم من بابل أو غيرها، فإن جديسًا وجماعته قد استقروا في جنوبي اليمامة (جنوب شرق نجد)، متخذين موقع الخضرمة "جو الخضارم" (ياقوت، ١٩٨٦م، مج ٢، ص ٢٢١، ٢٧٧) قاعدة لهم. وتقع هذه القاعدة في أسفل وادي الخرج في الموضع الذي تقوم فيه بلدة اليمامة شمالي شرق الخرج (الهمداني، ١٣٩٧هـ، ص ١٤٠).

(٥) ومما يقلل من مصداقية القول بأنه جاء من بابل، أن دعوة ثمود لأخيه كانت بالشعر العربي الفصيح على النحو الآتي:

أخوك لا تؤثر عليه عمكا

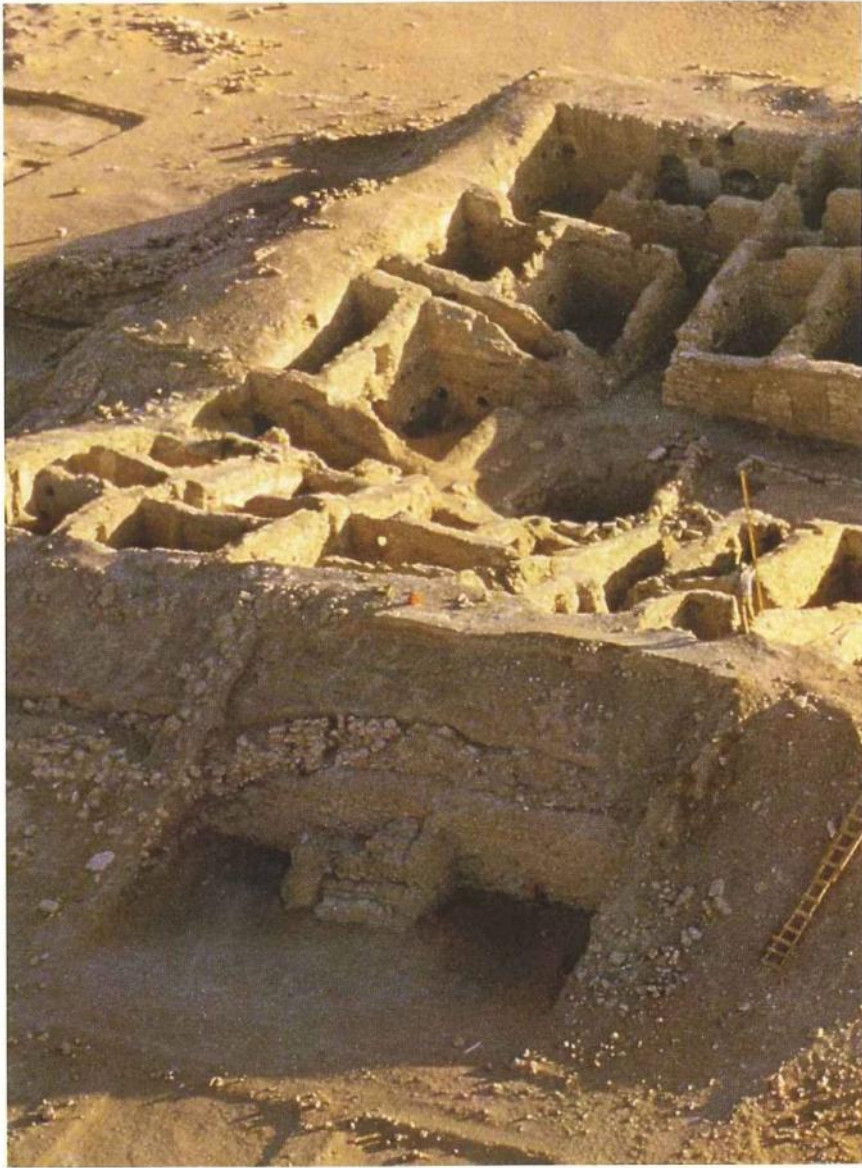
ثيا جديس يا جديس ويحك

ثم جاءت إجابة جديس على النحو الآتي:

أيا ثمود قد أجيت صونكا

وقد عرفت أن مجدي مجدكا

بهذا الخصوص انظر عبد الحميد، ١٩٧٦م، ص ١٢٠-١٢١.



ونستنتج من الروايات التاريخية أن النشاط الحضاري لهذه القبيلة كان واضحاً، فما قاله المسعودي من أن اليمامة "هي من أخصب البلاد وأكثرها خيراً فيها صنوف الشجر والأعشاب وهي حداث مليئة، وقصور معطمة" (المسعودي، ١٩٨٤م، ص ١٣٦)، ليؤكد غنى البيئة وثراءها، الذي دفع سكانها إلى التفاعل الجيد معها، كما حصل في العصور السابقة واللاحقة لفترة هذه القبيلة. ولعل هذا النشاط قد انعكس في المظاهر المعمارية التي شهدتها عاصمتها الخضرمة في جو (الخرج حالياً)، والتي تنوعت فيما بين الكثير من الحصون والقصور والبُتُل، (لهذه المظاهر المعمارية انظر السليمان، ٢٠٠٠م، ص ٤٣-٥٢)، حتى إن الخضرمة -كما قيل- نافست بقوتها وحضارتها حجراً. وقد امتازت بحصنها الشهير آنذاك باسم "الجون" (عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٠٢).

وكما عرفنا سابقاً أن نهاية طَسْم كانت على يد جديس، فمن الواضح -في حال صحة الروايات التاريخية- أن طَسْمًا كان لها أثر قوي في نهاية جديس؛ فما أن بدأت تستثمر انتصارها بانتقامها العنيف من طَسْم، حتى كان الملك الحميري حسان بن تبع المعروف عند الإخباريين بذي المعاهر، قد عزم على شن حملته على جديس، وذلك نزولاً عند طلب رباح بن مرة الطسمي، الذي حرصه على غزو جديس؛ لأنها لن تكون متعاونة مع مملكة حمير بالشكل الذي كان قائماً مع قبيلة طَسْم الحليفة لمملكته (البلاذري، ١٩٥٩، مج ١، ص ٢؛ ياقوت، ١٩٨٦م، مج ٢، ص ١٨٩) ^(٦). وهكذا يظهر أن المطامع الاقتصادية كانت هي الدافع الذي جعل حسان بن تبع يقود حملته هذه على اليمامة، خصوصاً وأن المصادر التاريخية أشارت إلى انتهاج جديس لسياسة مخالفة للسياسة التي كانت بين حمير وطَسْم، برفضها دفع الخراج لحمير؛ لذا فإننا نرى أن رباح بن مرة الطسمي وقصة إقناعه حسان بن تبع، هو من نسج خيال الإخباريين؛ فممانعة جديس دفع الخراج هي القشة التي قصمت ظهر البعير. لكن لنعد إلى الروايات الإخبارية التي أشارت إلى أن رباح بن مرة الطسمي، قد نصح جنود حسان بن تبع بأن يضعوا على رؤوسهم فروعاً من الشجر تجنباً لأن تراهم زرقاء اليمامة، وهي امرأة من طسم تزوجت رجلاً من جديس، كانت حادة البصر، اشتهر عنها أنها ترى الأشياء من على بعد مسيرة ثلاثة أيام ^(٧). ومع أن الجنود قد نفذوا نصيحة رباح

(٦) ومن الروايات المتناقضة، التي تسبب إرباكاً للدارس، الرواية التي تقول أن جذيمة الأبرش (جذيمة الوضاح) غزا طسماً وجديساً، فوجد أن حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار عليها، فعاد بمن معه (فروخ، ١٩٨٤م، ص ٤٦؛ علي، ١٩٨٠م، مج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨)، وهذا يتناقض مع الروايات التي تقول: إن طسماً قد انتهت عن بكرة أبيها.

(٧) وما زالت مثل الروايات التي تمسب إلى أشخاص لديهم حدة في البصر ممرقة ومندولة إلى وقتنا الحاضر، فهي هو الصندوق، ١٩٩٢م، ص ٣٢، يذكر شخصاً يدعى سالم الرقيبة اتخذ من برج يسمى "الرقيبة" مكاناً للمراقبة في غصيبة بمحافظة القويعة، وإحدى الحكايات المنسوبة إلى سالم، أنه رأى وهو على البرج نفود دلقان الذي يبعد عن القويعة أربعين كيلاً، وأخبر الناس أنه قد أقبل إلى المدينة ركب، وعلامة ما أقول وجود أرنب بجانب أحد الإبل؛ وقد تبين لاحقاً -كما يذكر الرواة- صحة ما قاله سالم الرقيبة.

الطسمي، إلا أن زرقاء اليمامة^(٨). تمكنت من تحديدهم ورؤيتهم، لكن الحيلة التي نصح بها رياح الطسمي جنود حسان تبع جعلت قوم زرقاء اليمامة لا يصدقونها وهي تصف فروع الشجر المتحركة عندما أخبرتهم بما رأته. وهكذا باغت جيش حسان بن تبع قبيلة جديس وسيطر عليها. أما زرقاء اليمامة فقد قام حسان بن تبع بفقء عينيها بوحشية. وهكذا كما كانت جديس هي التي قضت على طسم، فإن طسمًا، إذا أخذنا بالروايات الإخبارية عن رياح بن مرة، هي التي أنهت جديسًا.

ثالثاً: كندة؛

كفالبية الروايات التاريخية عن الأمم والشعوب القديمة في شبه الجزيرة العربية، لم يتفق المؤرخون على تحديد وطنهم الأصلي، الذي جاءوا منه إلى وسط الجزيرة العربية عندما تمكنوا من تأسيس مملكة ذات شأن لفترة امتدت من أوائل القرن الخامس إلى أواسط القرن السادس الميلاديين، فمنهم من يقول: إنها قبيلة يمنية قحطانية تنسب إلى كندة، وهو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، (الأندلسي، ١٩٨٣م، ص ٤١٩؛ ابن خلدون، د. ت، ص ٢٧٦؛ نبيه عاقل، ١٩٧٥م، ص ٢٠٥)، وهناك من يرجع أنها قبيلة عدنانية (ياقوت، ١٩٨٦م، مج ٤، ص ٢١٢؛ Olinder, 1927, p.32)، ورغم الاختلاف الواضح في هذين الرأيين، فإن الطريف في الأمر أن أصحاب الرأيين يستندان فيما يستندان إلى أبيات شعرية منسوبة إلى امرئ القيس أشار في بعضها إلى ما يفيد أن القبيلة تنسب إلى معد، بينما أشار في أبيات أخرى إلى أنه يعني المنشأ (الغزي، ٢٠٠٦م، ص ١٠-١١)، فالذين قالوا: إنها قبيلة من اليمن جعلوا موطنها حضرموت، محددين حاضرتها بمدينة دُمُون (عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١١٤)، في حين جعلها الهمداني، نقلاً عن شيخه محمد بن زغيب الصديقي، قبيلة سكنت حضرموت بعد أن أجليت من البحرين (الهمداني، ١٩٧٩م، ص ١٧٥). هذا ما أورده الإخباريون ويكرره غالبية من يكتب عن كندة في عصرنا الحاضر، ويضيف بعضهم ما أسفرت عنه الدراسات الأثرية والتاريخية الحديثة^(٩)، فقد دلت الدراسات التاريخية أن أول من ذكر قبيلة كندة من المؤلفين الكلاسيكيين كان

(٨) وسبب تسميتها باليمامة أنه مر بها سرب حمام خاطف، فأثبته نظرها، وعدته فأحسته تسماً وتسعين حمامة، ولما جاءوا الثمد الذي ورده الحمام عدوه فوجدوه كما زعمت، وقد ذكر ذلك النابغة، فقال: (بهذا الخصوص انظر ابن خميس، ١٤٠٧هـ، مج ٢، ص ٧).

وأحكم لحكم فتاة الحي إذ نظرت
فعدوه فألفوه كما زعمت
إلى حمام شرع وورد الثمد
تسماً وتسعين لم تنقص ولم تزد

(٩) لعل من أبرز هذه الدراسات الحديثة دراسة عبدالعزيز بن سعود الغزي، الانتشار الجغرافي، ٢٠٠٦م، التي اعتمد فيها على الدراسات الحديثة لعلمي الآثار والتاريخ، وتتميز هذه الدراسة -حسب تصويري الشخصي- عن غيرها من الدراسات الأخرى بما حاوله الباحث من تأصيل المخططات والبقايا الأثرية مثل الظواهر المعمارية، والفخار والنقوش... إلخ، ونسبتها إلى الكنديين، وهي محاولة جريئة نأمل أن تلقى القبول والنقاش العلمي الرصين من المختصين.

نونوسوس (نقلًا عن علي، ١٩٨٠م، مج ٢، ص ٢١٨؛ الغزي، ٢٠٠٦م أ، ص ١١-١٢)، الذي دعاهم باسم كندينيو "Kindynoi". وكان العديد من الكتاب الكلاسيكيين أمثال: بليني، وثيوفانيس، قد أشاروا بطريق مباشر أو غير مباشر إلى كندة، بل إن الجغرافي بطليموس السكندري قد ذكر اسم مدينة "ماؤوكسموس" وعدها عاصمة لكندة في القرن الثاني الميلادي، (صالح، ١٩٨٨م، ص ١٨٣، ١٩٠). ولعل أقدم النصوص العربية القديمة التي جاء فيها اسم كندة، هو النص العائد لفترة الملك السبئي شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان العائد لفترة من ٢٣٠ - ٢٥٠ ق. م. وتجدر الإشارة إلى أن التسلسل التاريخي للعديد من الملوك الجنوبيين ما زال محل خلاف كبير بين الباحثين، (انظر على سبيل المثال: Kitchen, 1994). ونحن في التسلسل التاريخي سنعمد على أحدث هذه الدراسات، وهي الدراسة التي أنجزها العتيبي (١٤٢٢هـ، ص ٢٨٢). وقد ورد فيها اسم ربيعة من آل ثور ملك كندة وقحطان (Jamme, 1962, 635)، ثم عاد وظهر اسم كندة بعد سنوات قليلة في نص يعود إلى فترة الملك إل شرح يحضب، وتحديداً في المدة المحصورة بين سنتي ٢٥٠ و ٢٢٥ ق. م، حيث ورد فيه ما يشير إلى وقوع ملك كندة مآلك في الأسر، حتى سلم رهينة مهمة إلى مأرب (Jamme, 1962, p.576). وكان علينا الانتظار ما يزيد عن خمسة عقود، وتحديداً إلى فترة ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت المدعو "ياسر يهنعم وابنه ذراً أمر أيمن"، الواقعة فيما بين سنتي ٢٩٥ و ٣٢٠م (Jamme, 1962, p.665)، ليظهر نص سبئي آخر، جاء فيه ما يدل على أن العلاقات بين الكنديين والسبئيين كانت على درجة كبيرة من القوة، وذلك بسبب مشاركة القبيلة الكندية في الجيش السبئي، ويظهر أن هذه العلاقة الحسنة استمرت تقريباً حتى بداية القرن السادس الميلادي، فقد جاء في أربعة نصوص سبئية ما يفيد استمرار هذه العلاقة الحسنة، أولها يعود إلى فترة الملك السبئي "أب كرب أسعد" (٤٠٠ - ٤٢٥م) (Ryckmans, 1953, pp.267-317)، ويعود الفضل في لفت الانتباه لهذا النقش إلى البريطاني المسلم عبد الله فيليبي (Philby, 1950, pp.311-15)، واثنان منها يعودان إلى فترة الملك "معدى كرب يعفر"، وتحديداً إلى سنة ٥١٦م (Ryckmans, 1953, PP.267-317)، وقد أعيد دراسة النص رقم: Ry 510، مرات عدة، لعل من أهمها دراسة قام بها الإيطالي جيوفاني قراييني (Garbini, 1979, pp.469-75)، أما الأخير، فيعود إلى فترة الملك "يوسف أسار" (Jamme, 1966, 1028). لكن هذه العلاقات شابها في بداية عهد "أبرهة" خلاف أدى إلى قيام الوالي الكندي المعين من قبل "أبرهة" بالثورة ضده، فأرسل "أبرهة" حملة عسكرية لإعادة الوالي "يزيد"، ومجموعته الثائرة. وكان ذلك تحديداً في عام ٥٤٢م (CIH 541). ويظهر أن هذه العلاقات عادت إلى طبيعتها بعد عشر سنوات من إرسال "أبرهة" لحملته التأديبية تلك، فيشير نص يعود إلى العام ٥٥٢م إلى مشاركة قبيلة كندة في حرب "أبرهة"، ضد قبيلة مَعَد وخاصة بني عامر (Ryckmans, 1953, p.339; Ryckmans, 1953, p.275).

ويجدر بنا، قبل الانتقال إلى نقطة أخرى، الإشارة إلى أن هذه المملكة ورد ذكرها في ثلاثة عشر نصًا جنوبيًا، (لهذه النقوش انظر الغزي، ٢٠٠٦م أ، ص ٣٩-٤٤؛ الروسان، ١٩٨٩م، ص ١١-١٤)، أقدمها يعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، وأحدثها يعود إلى منتصف القرن السادس الميلادي (٥٥٢م). ويعود أحد عشر نصًا منها إلى جهات رسمية يمنية (تحديدًا ملكية)، وهناك نص واحد منها مكتوب بواسطة وزير سبئي. أما النص الأخير، وهو في تصورنا أهمها، فيعود إلى حجر أكل المرار نفسه، (بيغوليفسكيا، ١٩٨٥م، ص ١٦٠؛ Ryckmans, 1957, 561)، يقرأ على النحو الآتي:

ح ج ر / ب ن / ع م ر م	حجر بن عمرو
م ل ك / ك د ت	مَلِك كَدْت (كندة)

والسؤال الذي يتناوله المؤرخون باهتمام هو: كيف وصل الكنديون إلى وسط شبه الجزيرة العربية؟ لقد اختلفت الروايات التاريخية حول الكيفية التي تقلد فيها الكنديون زمام الأمور في المنطقة، وتكاد تنحصر هذه الروايات في رأيين هما:

الأول: أنها تأسست بدعم وتأثير خارجي من إحدى القوى الإقليمية الكبرى، آنذاك، وهي دولة سبأ، لكن هذه الروايات التي رجحت التأثير الخارجي اختلفت بعضها عن بعض في عدد من الأمور، فمثلاً يرى بعضها أن تأسيس مملكة كندة جاء بدعم من الملك السبئي "حسان بن تبع"، الملقب بذي المعاهر، على إثر غزواته التي قام بها في وسط شبه الجزيرة العربية، وكانت حصيلتها هزيمة نهائية للقبائل المعدية فنصب عليها حجرًا أكل المرار (ابن حبيب، ١٣٦١هـ، ص ٣٦٨)، فيما أشار البعض إلى أن الذي نصب حجرًا هو تبع والد حسان (الأصفهاني، د. ت، ص ١١١). في حين ترى روايات أخرى أن الملك الذي كان وراء تنصيب حجر أكل المرار هو الملك صهبان علي (الدينوري، ١٩٨٨م، ص ٥٢).

الثاني: أن مملكة كندة تأسست بإرادة داخلية محلية، حيث أشار ابن الأثير إلى أن القبائل الشمالية هي التي طلبت من الملك اليمني أن ينصب عليها ملكًا من اختياره (ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٥١١-٥١٢)، فأرسل إليها أخاه لأمه حجر بن عمرو أكل المرار. في حين يذكر اليعقوبي أن كندة هاجرت إلى وسط شبه الجزيرة العربية لأسباب كثيرة، وأنها بعد استقرارها واندماجها في المجتمع المحلي لوسط شبه الجزيرة العربية تمكنت من تأسيس مملكة، أختير أحد أفرادها ملكًا عليها (اليعقوبي، د. ت، مج ١، ص ٢١٦).

ويصعب علينا كثيرًا، ترجيح أحد هذين الرأيين، لكن يبدو أن جميع هذه الروايات تحمل شيئًا من الحقيقة، فيظهر أن الملك الحميري وجد في تنامي قوة كندة وتزايدها في اليمن بعد دخولها في حروب مع حضرموت خطرًا عليه، فشجعها على الاستقرار في وسط شبه الجزيرة العربية مستغلًا أحد أمرين إما انتصاره العسكري على القبائل المعدية، أو طلب القبائل المحلية تدخله الشخصي لاختيار من يقودهم.

وبعد أن آلت الأمور إلى حجر أكل المرار، اتخذ من موقع بطن عاقل عاصمة له (الغزي، ٢٠٠٦م أ، ص ١٥)، وهو يقع في عالية نجد على طريق حاج البصرة، في جنوب وادي الرمة (العبودي، ١٩٧٩م، مج ٢، ص ١٥٢٤-١٥٤٨). ومن هذه العاصمة، انطلقت كندة في توسعها الجغرافي وهيمنتها السياسية حتى وصلت ذروتها في عهد الحارث بن عمرو، الذي سيطر على شرق الجزيرة العربية، وتربع على عرش الحيرة.

ملوك كندة :

يحتاج التاريخ السياسي لهذه المملكة العربية المهمة إلى مزيد من التحريص والبحث، كي يتمكن من تقديم صورة واضحة لتاريخ ملوكها. ففيما عدا ملوك ما يعرف بالعصر الكندي الثالث (انظر أدناه)، فإن معلوماتنا عن الملوك والقادة السياسيين للعصرين الأول والثاني ضئيلة جداً، إن لم تكن معدومة. لكننا سنوظف ما قدمه اليعقوبي من معلومات عن ملوك الفترة السابقة لحجر أكل المرار (اليعقوبي، د. ت، مج ١، ص ٢١٦؛ الغزي، ٢٠٠٦م أ، ص ١٥-١٦؛ عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١١٦)، والمعلومات التي قدمتها النقوش العربية القديمة، أما ملوك تلك الحقبة الزمنية المعروفين حتى الآن فهم:

- ١ - مرتع بن معاوية بن ثور حكم عشرين عاماً.
 - ٢ - ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور حكم مدة قصيرة.
 - ٣ - معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور لم تُعرف مدة حكمه.
 - ٤ - الحارث بن معاوية . . . حكم فترة تصل إلى أربعين عاماً.
 - ٥ - وهب بن الحارث بن معاوية حكم فترة تصل إلى عشرين عاماً.
 - ٦ - ربيعة (من آل ثور) ملك كندة وقحطان (فترة حكمه غير معروفة (Jamme, 1962, 576)).
 - ٧ - مالك (ملك) ملك كندة (٢٢٥) (Jamme, 1962, 665) ٢٥٠م (العتيبي ١٤٢٢هـ، ص ٢٣٥).
 - ٨ - معاوية بن ربيعة!! ملك قحطان ومذحج (الفاو) ١٩ (الأنصاري، ١٩٧٩م، ص ١: ٨).
- أما في العصر الثالث، فقد تقلد الحكم، إضافة إلى مؤسس السلالة الكندية ثلاثة ملوك: لأن امرأ القيس، لم يحكم بالشكل المعروف، لكنه ظل حتى وفاته يسعى لإعادة حكم آبائه وأجداده. ومن أسماء الملوك يتبين أن ولاية العهد تكون في الابن الأكبر للملك، فيما عدا - إن صححت الروايات التي تعتبره ملكاً - امرئ القيس، الذي كان أصغر أولاد أبيه سناً، لكنه حمل على عاتقه محاولة إعادة حكم أبيه.

١ - حجر بن عمرو: ٤٣٠ - ٤٥٠ م / ٤٤٢ - ٤٥٠ م:

كان لحجر بن عمرو الملقب بأكل المرار نشاطٌ سياسيٌّ واضحٌ في تاريخ مملكة كندة، فقد عدّه المؤرخون أول ملوك العهد الكندي الثالث، وأنه مؤسس السلالة الثالثة. وقد اختلف في نسبه، فالبعض يراه من سلالة حجر بن وهب آخر ملوك العهد الثاني (Olinder, 1927, p.35). بينما رأى البعض الآخر أنه ليس وريثاً للسلالة الكندية السابقة له (الغزي، ٢٠٠٦ م، ص ١٦).

وسواء أكان حجر بن عمرو من سلالة حجر بن وهب أم لا؛ فقد عزم على اتخاذ الإجراءات الكفيلة بإقامة تحقيق مملكة إقليمية ذات شأن، مبتدئاً بالاهتمام بالشؤون المحلية الداخلية، وذلك باتباعه الخطوات الآتية:

١ - انتهاجه سياسة مؤداها توطيد الأمن للكنديين، الذين كانوا قبله في حالة تفكك، أكل خلالها القوي الضعيف، وذلك بتوحيد رأيهم تحت قيادته.

٢ - اهتمامه البالغ بالقبائل والقوى السياسية المحلية، فأظهر الاحترام للقبائل، التي تستحق ذلك، وعقد معاهدات سياسية معها، لعل من أهمها معاهدته مع قبيلة ربيعة في الذنائب (اليعقوبي، د، ت، مج ١، ص ٢١٦).

٣ - قيامه برد اعتبار القبائل المحلية، التي تعرضت لهجوم خارجي، فشن حربه على اللخميين بهدف إعادة ما استولوا عليه، من قبيلة بكر بن وائل (ابن الأثير، ١٩٨٢ م، مج ١، ص ٢٠٩؛ علي، ١٩٨٠ م، مج ٣، ص ص ٣٢١-٣٢٢).

٤ - مصاهرته لعدد من العائلات، التي تنسب لقبائل ذات شأن في المنطقة أو بيوت عائلية تتمتع بالجاه السياسي والاجتماعي، فمثلاً زوجته أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني تنسب لقبيلة بكر بن وائل ذات المكانة المرموقة. أما زوجته الثانية، وهي هند الهنود (هند بنت ظالم) التي -بزواجه منها- ارتبط بعلاقة جيدة بالحارث الغساني؛ لأنها أخت زوجته. بينما كانت زوجته الثالثة صبا بنتاً لأبي المعاهر بن حسان بن تبع (Olinder, 1927, pp.40- 1)، وزواجه بهذه المرأة ضمن له التأييد السياسي الحميري، الذي كان له بالغ الأثر آنذاك.

وبعد أن تمكن من كسب تأييد هذه القبائل المحلية، التي رأت فيه القائد المحنك، خصوصاً أن همه في البداية انصب على إعادة الأمن والكرامة لهم، وجد من الضروري توسيع نفوذ مملكته السياسي والجغرافي، فقام بعملين مهمين هما:

١ - هجومه على منطقتي عُمان والبحرين، في مسعى واضح لتوسيع نفوذه.

٢ - مواجهته الصارمة لعدد من القوى السياسية الإقليمية، مثل مواجهته لزياد بن الهبولة السليحي، أحد

الملوك المحليين للقوى السياسية في الشام، لقيامه بمهاجمة الأراضي الكندية. وكانت هذه المواجهة لصالح حجر بن عمرو (عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١١٨؛ الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ١٨-١٩). ولعله من المفيد التوقف في مسيرة هذا الملك المؤسس أمام أمرين مهمين، أولهما أنه الملك الوحيد من ملوك كندة، بل ملوك المنطقة الوسطى في شبه الجزيرة العربية، (نجد واليمامة)، الذي يعود إليه نص كتابي، يشير فيه إلى كونه ملكاً على كندة، الذي جاء بجبل القارة الواقع بوادي يعرف باسم "نفود مسمى" (انظر بيغوليفسكيا، ١٩٨٥م، ص ١٦٠).

ثانيهما لقبه الذي اشتهر به، وهو أكل المرار، فقد تعددت عند المؤرخين الروايات حول سبب نعتة بهذا اللقب، ويمكن حصرها في ثلاث روايات هي:

- ١ - لكبر أسنانه الأمامية في فكه العلوي، لدرجة أن شفته العلوية لا تغطي هذه الأسنان.
 - ٢ - لأن امرأته هند (وقيل أنها كانت جاريته) شبهته بالجمال الذي يأكل المرار ليغضها له فأصبح ذلك لقباً عليه.
 - ٣ - لأنه أكل من شجرة المرار. أثناء جوع أصابه وجماعة معه في سفر، فلقبه أصحابه بأكل المرار (أبو الفدا، د. ت، مج ١، ص ٧٤؛ ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٢٠٧).
- وبهذه الحملات والغزوات التي قام بها حجر بن عمرو تمكن من تأسيس مملكة شملت منطقة نجد، والبحرين شرقاً، والحجاز غرباً، وأطراف العراق شمالاً (الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ١٨-١٩). إلا أنه ما من بداية إلا ولها نهاية، فبعد هذا الكفاح الطويل في سبيل تأسيس الدولة^(١٠)، توفي هراً، في عاصمته "بطن عاقل"، وفيها دفن.

٢ - عمرو بن حجر: ٤٤٢ - ٤٩٠م:

تولى عمرو الابن الأكبر لحجر أكل المرار من زوجته الأميرة الحميرية صبا الحكم بعد وفاة والده. وبعد تقلده زمام الأمور استمر في إدارة الدولة من مدينة بطن عاقل عاصمة ملكه. وعلى الرغم من أنه استمر فترة تزيد على أربعة عقود في الحكم (اليقوي، د. ت، مج ٢، ص ٢١٦؛ الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ١٩-٢٠)، إلا أننا لا نعرف الكثير عنه، فيما عدا بعض الشذرات التي خلفتها لنا المصادر التاريخية، ومنها أن عمرو بن حجر لقب بالمقصور، إما لأنه اقتصر على حكم أبيه (ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٢١٥)، فلم

(١٠) يشير البعض إلى أن تأسيس هذه المملكة تحت قيادة حجر بن عمرو، كان نتيجة لرغبة ملوك التباينة في اليمن، التي هدفت لتكوين هذه المملكة المكونة من القبائل العربية في وسط شبه الجزيرة العربية للوقوف في وجه النفوذ الفارسي المتزايد في المنطقة المتمثل في المناذرة، وهم عرب الحيرة. ورغم أننا لا نستطيع تأكيد هذا القول أو نفيه، إلا أننا نرى وجود أسباب أخرى إضافة لهذا السبب، قد تكون وراء نجاح حجر بن عمرو في تأسيس مملكته هذه.

يسع لزيادة مناطق نفوذ كندة سياسياً^(١١)؛ أو لأن ربيعة قد قصرته على حكم كندة فقط، متخلياً عن اليمامة لصالح أخيه معاوية (الكلبي، ١٩٨٦م، ص ١٦٨)^(١٢)، ولم يتوان عمرو المقصور من الاستفادة من قرابته لأمه، الأميرة الحميرية، مقوياً علاقته وتحالفه مع الحميريين حتى أنه استنجد بمرثد بن عبّد ينكف الحميري عندما حصلت اضطرابات داخلية نتيجة للثورة التي قامت بها قبيلة ربيعة ضده. إلا أنه بعد مدة طويلة في الحكم قتل، حسب إحدى الروايات، أضاء إحدى غزواته لبلاد الشام، على يد الحارث بن أبي شمر الغساني (اليقوي، د. ت، مج ١، ص ٢١٦)، وفي رواية أخرى، أنه قُتل على يد عامر الجون في معركة القناب (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٢٢٧).

٣ - الحارث بن عمرو: ٤٩٥-٥٢٤م / ٤٩٠-٥٢٨م:

يُعد الحارث بن عمرو الملقب بالحَرَّاب (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٢٢٨)، الأشهر بين ملوك كندة، عند الإخباريين؛ نظراً لأن أقصى اتساع وصلته هذه المملكة كان على يديه، الذي شمل إضافة إلى نجد واليمامة وأراضي بكر بن وائل، أراضي مملكة الحيرة نفسها. لكننا نرى أيضاً أن من أسباب شهرته، وعناية المؤرخين به، كانت علاقاته وارتباطاته بأهم الممالك الإقليمية آنذاك، وهي مملكة الحيرة، والقوى الدولية الكبرى، آنذاك الممثلة في الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية^(١٣). ولهذين السببين أعطي الحارث بن عمرو عناية خاصة من الإخباريين، فهو على الأقل الأكثر ذكراً عندهم، ومع هذا فقد اختلفوا في العديد من الأخبار المنسوبة إليه، ولعل من هذه الأمور التي اختلفوا فيها الأمرين الآتيين:

١ - فترة حكمه التي وصلت عند البعض إلى الستين عاماً (اليقوي، د. ت، مج ١، ص ٢١٦)، فيما أشار آخرون إلى أن حكمه كان من ٤٩٥-٥٢٨م، أي ثلاثة وثلاثين عاماً. وهناك آخرون اتفقوا مع أصحاب الرأي الثاني في سنة توليه الحكم، لكنهم يرون أن نهاية حكمه كانت في سنة ٥٢٤م. بينما رأى آخرون أن حكمه استمر مدة ثمان وثلاثين سنة، وتحديداً من سنة ٤٩٠م إلى سنة ٥٢٨م (لهذه الآراء المختلفة انظر مهران، ١٩٨٠م، ص ٦٠٩؛ عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٢٠؛ الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ٢٠-٢١).

(١١) قد يكون من أسباب عدم قيامه بفتوحات وتوسيع مملكته سياسياً عاملاً، داخلي وخارجي؛ الداخلي عدم تمكنه من الاستئثار بالحكم المطلق للدولة التي أسسها والده، إذ تخلى -مضطراً- عن حكم اليمامة لأخيه معاوية الملقب بالجون، وهذا الأمر قد قلل من المكانة التي يفترض أن يتمتع بها الملك عمرو بن حجر، فلم تعد القبائل تعطيه أذناً صاغية عند طلبه إمداده بالجنود المقاتلين. أما = الخارجى، فيمكن في علاقته الحسنة مع جيرانه في الجنوب، وهي الدولة الحميرية (أخواله)، وجيرانه في الشمال المناذرة في الحيرة، حتى إن ملك المناذرة الأسود بن المنذر اقترن بابنته، فولدت له التعمان ابن الأسود. ويظهر أن هذين العاملين جعلاه يكتفي بالإجازات التي حققها والده، وشارك هو شخصياً في تحقيقها.

(١٢) لا نعرف على وجه الدقة كيف استمر حكم معاوية الجون وأبنائه خلال فترات حكم أبناء وأحفاد حجر أكل المرار، حيث قد ثبت، أن الملك الكندي الذي خلف عمرو بن حجر، كان يحكم جميع المناطق التي وحدها وسيطر عليها جده حجر أكل المرار. علماً بأن أبناء معاوية توارثوا حكم هذه الولاية مع تبعيهم للعاصمة الكندية. (الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ٣٦).

(١٣) يرى عبدالعزيز صالح، ١٩٨٨م، ١٨٥، أن رغبة ملك فارس "قياد" في إيجاد منافس قوي أمام المنذر الثالث ملك الحيرة حتى لا تزيد أطماعه بعد انتصاراته الأولية على الفساسنة، هي التي جعلته يتقرب من الحارث بن عمرو، وكذلك لأن المنذر رفض اعتناق المذهب الديني الجديد الذي جاء به قياد.

٢ - المدينة التي اتخذها مقراً لحكمه، فقد أشار البعض من المؤرخين إلى اتخاذ إحدى المدينتين، إما الحيرة، أو الأنبار، عاصمة لحكمه، لكن هناك من يرى أن الحارث لم يتخذ عاصمة له، فقد فضل أن يكون سياراً في أرض العرب (لهذه الآراء انظر فرعون، ١٩٩٦م، ص ٢٣).

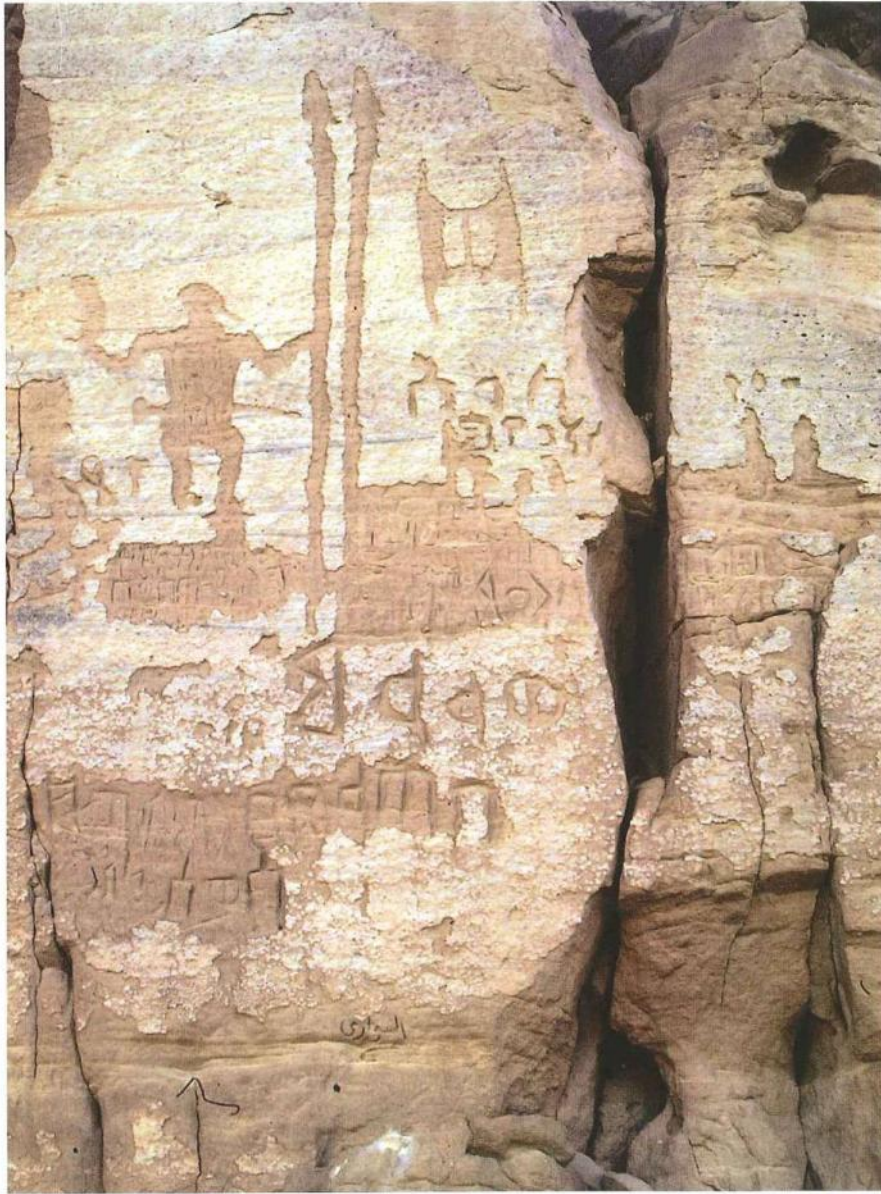
الواقع أن اختلاف الإخباريين في تحديد عاصمته، هو من الأمور الغريبة في نظرنا، فهو أمر يحتاج إلى تدقيق وتمحيص، فإن اتخاذ هذا القرار - إن ثبت - لابد وأن يكون وراءه عددٌ من العوامل والدوافع المهمة، مثل نشوء خلافات قوية داخل البلاط الملكي، أو أن اعتناقه للمذهب الفارسي الجديد (المزدكية)^(١٤)، دفعه إلى الاستقرار خارج مناطق نفوذه المعروفة، لعلّما أن هذا المذهب الإباضي لن يكون مقبولاً في المجتمع المحلي، أو أن الحارث بسبب طول فترة حكمه، لم يعد مرغوباً به بين بني جلدته.

فمن المستغرب أن يقوم الحارث باستبدال عاصمته، التي أمضى فيها جميع سنوات حكمه فيما عدا الثلاث سنوات الأخيرة، ما لم يكن هناك سبب وجيه يدفعه لذلك. أما القول بأنه كان سياراً، ولم يتخذ عاصمة له، ففيه إجحاف غير مقبول؛ لأنه - يعني - أن كندة لم تكن مملكة بالمفهوم الحقيقي للمملكة التي تعتمد على قوانين ونظم واضحة، بل كانت تدار بالأسلوب المشيخي، وهو أمر لا نرجحه، فما نراه هو أنها كانت مملكة مثلها مثل الممالك الأخرى المعاصرة، لكن الإخباريين في العصور اللاحقة تدفعهم ميولهم السياسية والتبعية في كتاباتهم، فلا نستغرب أن القول بعدم وجود عاصمة هو من باب الصراع الفكري الشمالي الجنوبي الذي كان واضحاً عند عدد من المؤرخين آنذاك.

ومن الواضح من سيرة هذا الملك، أنه سيطر في فترة حكمه الطويلة نسبياً على أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية، فقد استغل بذكاء واضح حالة الضعف التي وصلت إليها القبيلتان "بكر وتغلب"، نتيجة لحالة الحرب الطويلة بينهما التي ورد أنها استمرت أربعين عاماً - وهو زمن مبالغ فيه - في المعارك المعروفة باسم حرب "البسوس". فباستغلاله لهذا الشقاق بين هاتين القبيلتين، تمكن من بسط سيطرته الجلية على المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية. وإضافة إلى استفادته الواضحة من هذا الخلاف في بسط سيطرته داخلياً، فقد استثمر التوتر السياسي الذي نشأ بين البيزنطيين والفرس، فحقق مكاسب واضحة بسيطرته على مناطق اللخمين وعاصمتهم الحيرة^(١٥). ولعله من المفيد الإشارة إلى أعمال هذا

(١٤) المزدكية: مذهب اجتماعي ديني ينسب إلى "مزدك"، الذي تبني مبدأ مشاركة الناس بعضهم بعضاً في الأموال والبيوت، وحتى النساء، وانتشر المذهب بفصل اعتناق كسرى "قياد" له، وحمل الناس عليه، لكن ابنه "أنوشروان" الذي جاء بعده، انقلب على مزدك ومذهبه. فقتله، وأعاد الناس إلى ما كانوا عليه.

(١٥) رغم أنها خطوة جريئة من الحارث، إلا أنها لم تكن موفقة؛ فهو لم يحسب تدخله هذا حساباً سياسياً مناسباً؛ وذلك لأن التحالف والعلاقة القوية بين الفرس والفاطمة كانت علاقة تاريخية، لا يمكن قطع عراها بسهولة، ولهذا نعتقد أن الحارث حسب خطوته هذه حساب المغامر. فإن نجح في الإبقاء على الخلاف مستمراً، فإن مكاسبه وقوته ستزداد، وإن عادت العلاقة فإنه لن يخسر كثيراً. لكن الحقيقة أنه خرج خاسراً، ليس فقط حياته ونفوذه في الحيرة، بل مملكته كلها.



الملك ونشاطاته السياسية والحربية على النحو الآتي:

- ١ - مهاجمة الحدود الجنوبية للإمبراطورية البيزنطية سنة ٤٩٧م، عندما جهز حملة لهذا الغرض بقيادة ابنه "حجر"، و"جيلة" (يونس، ١٩٨٦م، ص ١٩٦).
- ٢ - مهاجمته للمرة الثانية الحدود الجنوبية للإمبراطورية البيزنطية، وذلك بعد أربع سنوات من حملته الأولى، لكن الحملة هذه المرة كانت بقيادة ابنه "معدى كرب". وكان من نتائج هذه الحملة المعاهدة التي تمت بين البيزنطيين والكنديين (يونس، ١٩٨٦م، ص ١٩٧؛ الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ٢١).
- ٣ - تحقيقه للعمل الأبرز في مسيرته السياسية، وهو سيطرته على الحيرة، بعد أن تمكن من طرد ملكها المنذر بن ماء السماء، وأعاد المهتمون بتاريخ كندة نجاح الحارث بن عمرو في الاستيلاء على الحيرة إلى أحد الأسباب الآتية، أولها: الدعم والمساندة المباشرة من ملك فارس "قباد"، الذي دعا إلى مذهب المزدكية فرفضه المنذر بن ماء السماء، واعتنقه الحارث بن عمرو ليظهر بالدعم الفارسي (ابن خلدون، د. ت، مج ٢، ص ٢٧٤؛ ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٢١٥). ثانيها: أن الحارث قَبِل دعوة عرب الحيرة له من بني بكر بن وائل، ليحكم الحيرة بعد ثورتهم على ملكها السابق المنذر ابن ماء السماء إثر الخلافات والفتن الداخلية، لهذه الروايات انظر (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٣٣-٣٣٨). ثالثها: أن الحارث استفاد من كراهية قباد ملك فارس للحروب، فهو يميل إلى حل الخلافات عن طريق المحادثات (ابن قتيبة، د. ت، مج ١، ص ٧٥)، وشن حرباً على الحيرة وملكها، واستولى عليها لمدة ثلاث سنوات ضامناً عدم تدخل الملك الفارسي "قباد" في هذه الحروب، وأياً كانت الأسباب التي ساعدت الحارث على حكم الحيرة، ولولفترة قصيرة، فالواضح أن ظروف فارس الداخلية، وهي إحدى القوى الدولية آنذاك، ساعدت الحارث في تحقيق طموحه بسبب خلافات العائلة المالكة حول مذهب مزدك الإباحي، الذي اعتنقه بشكل واضح الملك "قباد"، فيما عارضه بعض أفراد العائلة المالكة يتزعمهم أخوه "جاماسب"، إضافة إلى المعارضة الشعبية الواضحة لهذا المذهب.
- ٤ - الإصلاح الإداري، رغم أن البعض (ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٥١٣؛ علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٣٦-٣٣٧؛ Olinder, 1927, pp.70-2)، يرى أن الحارث قد عين أبناءه على القبائل، إلا أننا نتفق مع الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ٢٣، باعتبار أن هذا التعيين هو بمثابة تقسيم لمملكته إلى أربع ولايات، وعين على كل واحدة منها أحد أبنائه، وذلك على النحو الآتي:
 - أ - حجر بن الحارث: حكم بني أسد وكنانة وغطفان فيما بين المدينة والفرات، جبل طيئ.
 - ب - شرحبيل بن الحارث: حكم بكر بن وائل بأجمعها. وبني حنظلة، وبني دارم والرياب، وهم يقيمون بين الفرات والبحرين.

ج - معدي كرب بن الحارث: تولى حكم بني تغلب، والنمر بن قاسط بن زيد بن مناة، والصنائع، وهم بنو رقية، وهم يطمنون تهامة وأطراف الحجاز.

د - سلمة بن الحارث: حكم قيس عيلان في مساكنهم المعروفة (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٣٦؛ عبد الحميد، ١٩٧٦م، ص ٢٣٥؛ العلي، ١٩٨١م، ص ٨٧، وللروايات المختلفة عن أسماء القبائل، انظر عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٢٢، هامش رقم: ١).

وبعد مرور ثلاث سنوات من استيلاء الحارث على الحيرة وتنظيمه السياسي هذا، جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد تغيرت الأحوال في فارس، حيث تقلد الحكم "أنوشروان بن قباد" الذي رغب في التقرب من الغالبية العظمى من شعبه فاتخذ قراره إلغاء المذهب المزدكي، ولم يكتف بمجرد الإلغاء بل تعداه إلى مطاردة أتباع هذا المذهب والفتك بهم، ومن هؤلاء الذين صدر قرار مطاردتهم ومعاقتهم الحارث بن عمرو، فأعاد "أنوشروان" المنذر بن ماء السماء للخمى إلى حكم الحيرة (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٤١-٣٤٢). ومن ثم شجع المناذرة على قتل الحارث بن عمرو، وبهذا الضوء الأخضر جمع المنذر بن ماء السماء كل إمكاناته لينتقم من الحارث بن عمرو شر انتقام، فصارت قواته تطارد الحارث وتلاحقه أينما حل، حتى داخل أراضي شبه الجزيرة العربية، وبعد مدة من المطاردة تمكنت إحدى هذه الفرق العسكرية من العثور على الحارث وقتله تنفيذاً لرغبة من آلت إليه الأمور في الحيرة، وهو المنذر بن ماء السماء، فحقق حلمه بالثأر لمقتل والده النعمان الأكبر. ولم تختلف حادثة مقتل الحارث بن عمرو أو وفاته عن بقية حوادث هذه الدولة من حيث الاختلاف الواضح في الروايات، فروايات مقتله أو وفاته وصلت إلى خمس روايات، ثلاث منها تشير إلى مقتله، واثنان تشيران إلى وفاته، إحداهما بسبب مرض ألم به، وهذه الروايات جاءت على النحو الآتي:

- ١ - أن مقتله جاء على يد الحليف القوي للمناذرة في المنطقة، وهي قبيلة كلب، التي تمكنت منه بعد مطاردة مضنية له في الأجزاء الداخلية لشبه الجزيرة العربية.
- ٢ - أن مقتله جاء على يد عدد من أفراد قبيلة كلب، ولكن ليس عن طريق المطاردة والملاحقة، إذ كان الحارث بن عمرو مستقراً في حمى هذه القبيلة، لكن أفراداً منهم قتلوه (الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص ٢٤)، ربما استجابة لضغوط خارجية جاءت من المناذرة، الذين ألحوا عليهم بقتله وتصفيته.
- ٣ - أن مقتل الحارث بن عمرو كان على يد ملك المناذرة نفسه المنذر بن ماء السماء، حيث انتهز الثاني هروب الأول من مواجهة القائد الروماني في فلسطين "ديوميديس" Diomedes، وذلك خوفاً من بطشه، فلحقه المنذر ابن ماء السماء، حتى تمكن منه وقتله، واستولى على ماله وأهل بيته (يونس، ١٩٨٦م، ص ١٩٧).

هذه هي الروايات الثلاث التي تظهر أن الحارث بن عمرو الكندي مات مقتولاً، لكن هناك روايتان تظهران أن وفاة الملك الطموح كانت طبيعية، الأولى، وهي الرواية التي ذكرها الأصفهاني من أن الحارث بعد هروبه من الحيرة، استقر في أراضي بني كلب، وبقي عندهم حتى مات حتف أنفه. الثانية، وهي التي روج لها الكنديون، ومفادها أن الحارث خرج للصيد فتبع تيساً، وقيل حماراً (علي، ١٩٨٠م، مج ٢، ص ٣٤٥) من الأطباء فأعجزه، فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلا من كبده، فطلبته الخيل، فأثت بالتيس بعد ثلاثة أيام، وقد كاد الحارث يهلك من الجوع، فشوي بطنه، فأكل قلدة حارة من كبده فمات: (لتفنيد هذه الرواية انظر الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٥-٢٦).

٤ - حجر بن الحارث: ٥٢٤-٥٢٨م:

بعد مقتل الحارث أو وفاته، انتقلت مقاليد إدارة الدولة إلى ابنه البكر "حجر"، وكانت الظروف المعاصرة والمحيط به غير مواتية، فلم تكن لتخدم استمراره في الحكم، وذلك بسبب عداوته للمنذر بن ماء السماء (زوج أخته هند بنت الحارث)، الذي كان وراء مقتل والده الحارث، إضافة إلى الضغوط الموجهة إلى اللخمين من الفرس لتقويض الحكم الكندي؛ هذا من الجانب الخارجي. أما داخلياً فوضعه لم يختلف كثيراً عنه خارجياً، فقد استغلت عدد من القبائل وفاة الملك الحارث، وأظهرت عصيانه وتمردوا بل ثورتها ضد عائلة آل أكل المرار، ولعل أبرز هذه القبائل قبيلة "بني أسد"، وهي إحدى القبائل التي كان يحكمها حجر في حياة والده الحارث، فرفضت دفع الإتاوة السنوية. وهذه الأحداث الداخلية، التي لا يستبعد أن يكون للمناذرة يد فيها، دفعت حجر بن الحارث إلى مهاجمة اللخمين، ليس فقط، رغبة منه في الثأر لمقتل والده، أو استرجاع نفوذ كندة في المناطق الشمالية، بل لخلق عدو خارجي يسمح بعودة الصف والوحدة الداخلية.

ومع هذا فإن الظروف وإمكانات دولة كندة آنذاك لم تساعد حجراً على تحقيق رغبته وحمله على الأقل بالوحدة الداخلية. كما أن القدر لم يمهله فقتل بعد فترة من توليه الحكم، وهو في خضم هذه الأحداث الجسام. وقد تعددت روايات مقتله التي اتفقت في شيء واحد فقط، وهو أن قاتله أو قاتليه كانوا من قبيلة بني أسد، وهي إشارة واضحة إلى كراهيتهم الشديدة لحجر، وتعبيرهم عن عدم قبولهم به حاكماً، لكنهم قبلوا به على مضض في حياة والده (ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٥١٢-٥١٣)، والروايات التي تناولت مقتله هي:

- ١ - أن أفراداً من قبيلة أسد استغلوا نبوءة كاهنهم من أن حجراً مقتول بواسطةهم، فعادت مجموعة منهم، برغم أن حجراً قد عفا عنهم بعد رفضهم دفع الإتاوة، فقتلوه وهو نائم.

٢ - أن قبيلة بني أسد عزمت، بعد أن علمت بمقتل والده أو وفاته، على التخلص منه، وما أن علمت بقدومه إليهم حتى قاموا بأسره وسجنه في خيمة. وأثناء ذلك قام -كما تقول الرواية- علباء بن الحارث بتجريض غلام من بني كاهل على قتل حجر، فقام الغلام، فطعنه طعنة أصابت مقتلا، وهو مسجون في خيمته.

٣ - أن قاتله هو علباء بن الحارث الكاهلي، أثناء هجوم بني أسد على عسكر حجر بن الحارث بعد أن أخبرهم الكاهن بنبوءته.

٥ - أمرؤ القيس:

بعد تقلد خمسة ملوك وامتداد جغرافيا في شمل معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، أراد الله أن يتم القضاء على حكم آل أكل المرار، ونفوذ قبيلة كندة، ولعل من مؤشرات بدء سقوط هذه المملكة دخولها في الخلافات المؤقتة التي نشبت بين الحليفين التاريخيين، اللخمين والفرس، المعروف عنهما التحالف القوي ضد النفوذ البيزنطي. وما عودة الحرارة مرة أخرى للعلاقة التاريخية بينهما إلا بمثابة القرار النهائي للقضاء على هذه المملكة الكندية، التي تأسست بدعم ومساندة جنوبية، لا علاقة للفرس واللخمين بها. ولعل ما ساعد على الانهيار السريع، هو تنظيم الحارث بن عمرو لمملكته حين قسمها -كما يقال نزولاً عند رغبة أشرف القبائل- إلى أربع أو خمس ولايات، مولياً أبناء إدارة شؤون هذه الولايات، وفيما يظهر أن الأبناء لم يستوعبوا غرض هذا التنظيم، الذي قد يكون الحارث تأثر به عندما احتك بالبيزنطيين والفرس في الشام، فاستخدم الأبناء عقلية الإمارة والتسلط، وليس الإدارة والتطوير، وما يدل على ذلك هي الثورة السريعة لقبائل بني أسد، فما أن علموا بوفاة ابنه الحارث حتى أعلنوا عصيانهم على أميرهم حجر وتبعته القبائل الأخرى. وهكذا ما هي إلا سنوات قليلة مضت تقدر بنحو أربع سنوات على تولي حجر الحكم، حتى قتل.

هذا ما كان من شأن حجر بن الحارث، أما بالنسبة لإخوته الآخرين فإن المنذر بن ماء السماء عمل جاهداً على الإيقاع بينهم وبذر العداوة والصراع، وقد حقق نجاحاً باهراً في ذلك. وقد تمثل هذا العمل في زرع العداوة الشديد بين الأخوين "سلمة" حاكم قيس عيلان، و"شرحبيل" حاكم بكر بن وائل وغيرهم، إلى درجة أن الأخ وضع جائزة ثمينة لمن يأتيه برأس أخيه. وكان المقتول منهما أثناء هذا الخلاف هو شرحبيل في اليوم المعروف "يوم الكلاب الأول"، (لهذه الروايات انظر علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٥٠-٣٥٢؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٧-٢٨). فيما قتل الثاني، سلمة، في اليوم المعروف "يوم أواره الأول" (الأندلسي، د. ت، مج ٦، ص ٧٨؛ اليعقوبي، د. ت، مج ١، ص ٢١٧). أما الابن الآخر معدي كرب، قائد الحملة الثانية ضد الحدود الجنوبية للإمبراطورية البيزنطية في عهد والده الحارث بن عمرو، وكان

معروفاً بسرعته وشجاعته، فلم يتمكن من تحمل صعوبة هذه الأحداث، مقتل والده أولاً، المتبوع بمقتل أخيه الأكبر، ثم الخلاف والعداء الذي نشب بين أخويه شرحبيل وسلمة، وانتهى الأمر بمقتلهما، فأصيب -كما يقال- بالحزن والغم حتى اعتراه وسواس هلك به (ابن الأثير، ١٩٨٢م، مج ١، ص ٥٥٢-٥٥٣؛ عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٢٣).

وقد يقول قائل إن سقوط دولة كندة في عهد حجر بن الحارث دليل على ضعف شخصيته، وعدم حنكته، وبرغم أن هذا الأمر غير مستبعد، لكننا نرى أن سقوط هذه الدولة كان يكمن في الهيمنة الطويلة للحارث، الذي أمضى ما يزيد على أربعين عاماً في الحكم وكانت حساباته السياسية الخاطئة عاملاً مهماً في هذا الانهيار. ومن المعلوم أن طول الفترة الزمنية في الحكم تؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور قوى سياسية أو مراكز قوى تدفع الدولة إلى السقوط؛ لأنها تعمل لمصالحها الذاتية فقط دون الاهتمام بالمصالح الوطنية، وهذا ما يظهر أنه قد حصل في كندة.

وبالتالي آلت أمور أسرة حجر آكل المرار إلى أصغر أبناء حجر بن الحارث، وهو امرئ القيس، المعروف بشعره^(١٦). ويقال: إن والده لم يكن راضياً عنه لقرضه الشعر، وهو أمر -كما يقال- كان يتأفف منه الملوك (عسيري، ١٤١٩هـ، مج ٢، ص ١٢٣). لكننا نعتقد أن غضب والده منه كان بسبب غزل امرئ القيس بإحدى نساء والده (علي، ١٩٨٠، مج ٣، ص ٣٦٠)، فطرده. وهكذا أمضى عمره أثناء حياة والده في التنقل والترحال. وتمضية الوقت بالسهر والسمر، إلى أن جاء يوماً خبر مقتل والده، وهو في قرية من قرى حضرموت مسقط رأس أسلافه، وتحديداً في "دمون" (اليقوي، د. ت، مج ١، ص ٢١٦). وهناك رواية أخرى تفيد أن امرأ القيس كان في صيلح عندما وصله الخبر، وهو موضع في شق اليمن. (للروايات المختلفة حول مكانه عندما وصله الخبر، انظر علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٦١-٣٦٢؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠). وفي رغبة منه لتحقيق وصية والده، قام باستنهاض القبائل العربية لمساعدته، ومد يد العون له للتأثر لمقتل والده، وقد أيدته في البداية قبيلتنا بكر وتغلب، لكنهما اتصلتا لاحقاً من الالتزام بمساعدته، فدفعه هذا الاتصال في البداية للاستعانة بجنود مرتزقة (الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣١)، لكنه اكتشف لاحقاً أن الأمور لن تسير إلى الهدف المنشود، وأنه إذا أراد أن يحقق ما يصبو إليه عليه التوجه إلى من بأيديهم القدرة في تغيير الأوضاع القائمة، وذلك بسبب قوتهم وسيطرتهم الدولية الكبرى، فأتجه إلى السموأل بن عادي اليهودي نزولاً عند نصيحة صديقه الربيع بن ضبع الفزاري، وهو رجل من فزارة (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٧)، ليساعده في الاتصال بالإمبراطور البيزنطي أقوى شخصية سياسية آنذاك. وبعد أن قام السموأل

(١٦) امرؤ القيس الشاعر، الذي اعتبره اليقوي، د. ت، ج ١، ص ٢١٦، خليفة لأبيه في الحكم. وهو أمر تستبعد أن لا يظهر لنا دليل على قبول القبائل العربية به ملكاً عليها، فيما عدا موافقة قبيلتي بكر وتغلب على مساعدته للتأثر بمقتل والده. ويعتقد أن امرأ القيس ولد في سنة ٥٠٠م. (الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠).

ياكرام امرئ القيس، شفع له عند الحارث بن أبي شمر الغساني، الذي ساعده على الالتقاء بالإمبراطور. وإذا صحت هذه الخطوات التي قام بها امرؤ القيس كي يتيسر له الالتقاء بالإمبراطور، فإنها تعطينا إشارة واضحة إلى أن كندة لم يكن لها أي تأثير أو مكانة عند الإمبراطور، ومهما كانت الإستنتاجات التي نتوصل إليها من محاولة سعي امرئ القيس للوصول إلى الإمبراطور، فإن الروايات تقول إن الإمبراطور استقبله وتفهّم مطالبه، بل يقال إنه أرسل معه جيشاً ليساعده على تحقيق هدفه. لكن الروايات تذكر أن بني أسد، عندما علموا بنية امرئ القيس الاتصال بالإمبراطور، أرسلوا خلفه رجلاً أقنع الإمبراطور ليس بسحب تأييده ومساندته لامرئ القيس فقط بل وبقتله^(١٧)، فيقال إنه أرسل إليه حلة وشي مسمومة منسوجة من الذهب، ليسها امرؤ القيس فأدّت في نهاية الأمر إلى وفاته مسموماً.

لم تغير وفاة امرئ القيس من الأمر شيئاً، فالمنطقة بعد مقتل والده حجر بن عمرو دخلت في دوامة الصراعات الحربية الطويلة التي عُرِفَتْ عند المؤرخين والإخباريين باسم "أيام العرب"، وكل ما أدت إليه وفاة امرئ القيس هي نهاية محاولة أسرة حجر أكل المزار لاستعادة ملكها.

رابعاً: مُعَد:

وهو شعب دُكِرَ بشكل موجز عند الإخباريين، عندما آلت الأحوال إلى الكندي حجر أكل المزار (علي، ١٩٨٠م، ج٢، ص٢٨٢). وإضافة إلى ظهوره في المصادر الإسلامية، فقد جاءت بصيغة Maddynoi في المصادر الكلاسيكية، حيث عدّه الكلاسيكي نونوسوس أشهر القبائل العربية (مهران، ١٩٨٠م، ص٦٠١-٦٠٢). أما الكتابات العربية القديمة فتذكر معد مرةً علماً لمكان، ومرةً علماً لقبيلة، وأخرى علماً لشخص. ففي النص الحميري المكون من عشرة أسطر، العائد لفترة أب كرب أسعد ملك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمنة وأعراب طود تهامة، ورد الاسم م ع د، علماً لمكان، والنص (Ryckmans, 1953, 509)، ويرى العتيبي (١٤٢٢هـ، ص٣٠٢) أن هذا النص هو أول إشارة إلى تبعية قبائل معد للتاج الحميري، وربما كانت بداية حكم كندة على قبائل منطقة الرياض. ويهمنا السطران الخامس والسادس من هذا النص، ويقرأن على النحو الآتي:

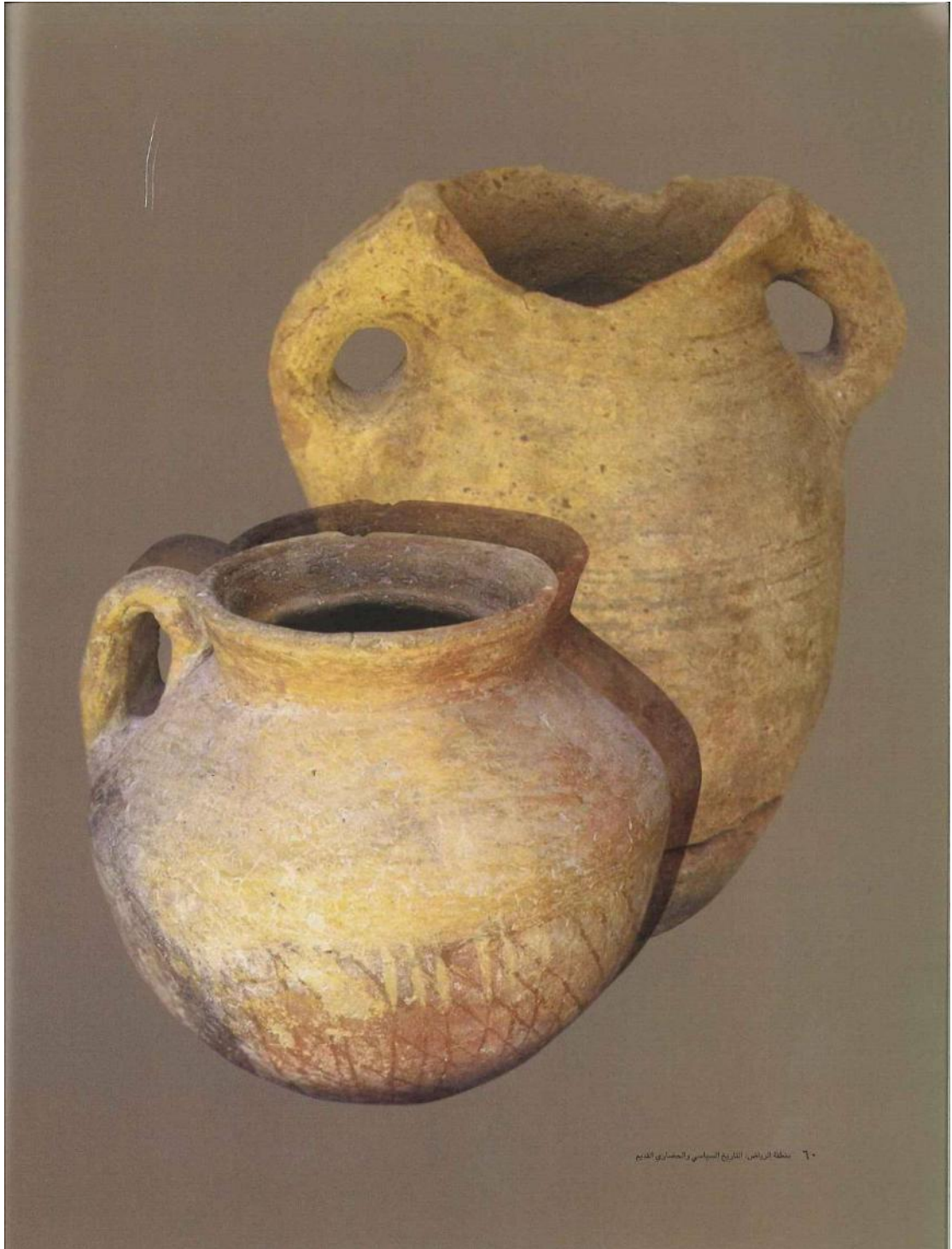
(١٧) يقال إن اسم هذا الرجل هو الطمّاح. كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له، والواقع أن الروايات اختلفت في اختراع الطمّاح لقصة تدفع القيصّر لتغيير رأيه، فيقال: إن الطمّاح قال لقيصر إن امرأ القيس غوي عاهر، وأنه كان يرأسل ابنة القيصّر ويواصلها، ويقول فيها أشعاراً أشهرها بها عند العرب، وقيل إنه ذكر لقيصر أن العرب قوم غدر، فتحن لا تأمن جانبه بعد أن يظهر بما يريد، فقد يقوم بغزوك بنفس العتاد الذي جهّزه به (علي، ١٩٨٠م، ج٢، ص٢٧١). ولكننا نرى أن القصة فيما يظهر منحولة = ولا أساس لها، فقد ثبت أن الإمبراطور عقيم، وليس له أولاد (بيفولنسكي، ١٩٨٥م، ص١٨٢؛ الغزي، ٢٠٠٦م، أ، ص٢٣). أما القول بأنهم سيقيمون بغزوك ففيها الكثير من المبالغة؛ لأن الإمبراطور يعرف تماماً قدرة العرب الضعيفة آنذاك. وعلى الرغم من أن هناك العديد من الأبيات المنسوبة إلى امرئ القيس التي تفيد مجالسته ومحاادثته للإمبراطور، فالذي يظهر لنا أن امرأ القيس لم يتمكن أصلاً من لقاء الإمبراطور، فقد عاوده الداء القديم الذي أصيب به، وهو في طريقه لقاء الإمبراطور، فاشتد عليه المرض، ومات ودفن في آنقرة، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن بعض قصائد امرئ القيس قد تَمَيَّنَتْ إليه في فترة لاحقة.

- ٥ - مأسل الجمع عندما ساروا وحلوا بأرض
- ٦ - مَعْد وضموا قُطْنَا من شعوبهم (عشائر مَعْد) بمعية شعوبهم ...
- أما النص الآخر، الذي يعود لفترة أبرهة ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت وبمينة وأعرابهم، وتحديدًا سنة ٥٤٧م، فقد أشار إلى مَعْد علمًا لقبيلة، كانت في مواجهة عسكرية مع الجيش الحميري، ويهمننا من هذا النص المكون من عشرة أسطر (Ryckmans, 1953, pp.278-9: العتيبي، ١٤٢٢هـ، ص ٢٩٣-٢٩٤) الأسطر السادس والسابع والثامن، المقروءة على النحو الآتي:
- ٧ - على طريق ترين وذبحوا وأسروا وغنموا بوقرة وحارب الملك في حطين واقترب
- ٨ - كطل مَعْد ورهنوا أسرى وبعد ذلك فوضت (مَعْد) عمرو بن المنذر (في الصلح)
- ٩ - وضمنهم ابنه (عمرو) (عند أبرهة)، فعينه حاكمًا على مَعْد ورجع (أبرهة) من ...
- وبالنسبة لظهور م ع د، علمًا لشخص فقد عُرف في العديد من النقوش العربية القديمة سواء الجنوبية مثل القتيانية (Ilayajneh, 1998, 236) والمعينية (al-Said, 1995, p.162)، أو الشمالية مثل: اللحيانية (أبو الحسن، ١٩٩٧م، نق: ١٢) والشمودية (الذبيب، ٢٠٠٣م، نق: ٢٧)، والصفوية (Harding, 1971, p.552). وقد عُرف بصيغة م ع د و في النقوش النبطية (الذبيب، ١٩٩٨م، نق: ١٥٩). بينما جاء بصيغة معدي في العهد القديم (Brown and others, 1906, 588).
- ولكن لنعد مرة أخرى للمصادر الإسلامية، التي أوضحت أن مَعْدًا شعب يتحدر منه عدد كبير من القبائل مثل مضر، وربيعة، وأنمار وإياد، وكان يقيم في أجزاء مختلفة من الجزيرة العربية (ابن عبد ربه، ١٩٥٢م، ج ٢، ص ٣٣٧). والواقع أن ظهور مَعْد في هذه المصادر المختلفة، وهو دليل على الأهمية والانتشار الجغرافي والمكانة السياسية والاجتماعية التي تمتعت بها مَعْد آنذاك.



الفصل الثالث النظام الإداري والسلطات





٦٠ - منطقة الرياض، الفارص السيلاني والمصري القديم

تمهيد:

لا تمدنا الكتابات والنقوش بمعلومات وافية عن النظامين السياسي والإداري لممالك منطقة الرياض، ومع هذا فإننا نستطيع القول إن النظام الملكي كان معروفاً في المنطقة منذ بدايات الألف الأول قبل الميلاد، بدليل نعت المصادر الإسلامية لعمليق أو عملوق بملك طسم. وسواء قصد بلفظة ملك هنا المفهوم الواضح للملك المعروف في الممالك العربية الأخرى العائدة لتلك الفترة أو كان المقصود به شيخاً أو زعيم قبيلة أو عشيرة معينة. فإننا نستطيع التأكيد على أن لقب "ملك" في الفترات التاريخية اللاحقة، وتحديدًا الفترة الكندية بمراحلها الثلاث يطلق على من ينهض بالواجبات والمسؤوليات ويتمتع بالحقوق كافة التي تمتع بها الملوك المعاصرون للفترة الكندية، سواء داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها، فالنصوص العربية الجنوبية، وعلى وجه الخصوص حكام كندة، نعتهم بالملوك في حين لقب زعماء القبائل الأخرى إما بحكام أو زعماء، مثل نص أبرهة ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم، في نعتهم للشخص المسؤول عن قبيلة معدّ بحاكم معد (العتيبي، ١٤٢٢هـ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤). وكذلك المصادر الإخبارية التي لقبت عمليق بملك طسم، في حين نعت الأسود بن غفار بسيد قبيلة جديس.

ونحن عندما نوفق بين روايات المصادر الإخبارية والكتابات العربية القديمة نجد أنهما يشيران إلى ما مجموعه ثلاثة عشر ملكاً، ولم نعد امرئ القيس آخر ورثة الحكم في مملكة كندة من ضمن الملوك. ثلاثة من هؤلاء الملوك وردت أسماؤهم في النقوش العربية المبكرة وهم: ربيعة، ومالك (ملككم)، ومعاوية بن ربيعة؛ في حين أن واحداً من هؤلاء الملوك، وهو حجر بن عمرو، ورد في كل من المصادر الإخبارية والنقوش العربية القديمة. أما البقية فلم يرد لهم ذكر - حتى الآن - سوى في المصادر الإخبارية وحدها. ويلحظ أن جميع هؤلاء لقبوا ونعتوا بملوك كندة، فيما عدا ثلاثة منهم، وهم: عمليق أو عملوق الذي نعت بملك طسم، وربيعه الذي كان لقبه ملك كندة وقحطان، وثالثهم معاوية بن ربيعة الذي دُعي بملك قحطان ومذحج.

ونستطيع القول إن الملك يبقى متقلداً حكم الدولة مدى الحياة، إلا في حالة قيام ثورة ضده تؤدي إلى تنحيته عن الحكم، مثل عمليق ملك طسم، فقد قتلته قبيلة جديس، وحجر بن الحارث، الذي قتل على يد مجموعة من قبيلة بني أسد (انظر أنفاً). وكان الملك يقوم بقيادة الدولة سياسياً وعسكرياً، فهو يشارك في معارك الدولة سواء الداخلية أو الخارجية بصفته قائداً أعلى للجيش، فهذا ملك كندة مالك (ملككم) يقع في أسر الجيش الحميري، كما تم قتل عمرو بن حجر (٤٤٢ - ٤٩٠ م) في إحدى غزواته لبلاد الشام على يد الحارث بن أبي شمر (اليعقوبي، د، ت، مع ١، ص ٢١٦) وفي رواية أخرى أنه قُتل على يد عامر الجون في معركة القنان (علي، ١٩٨٠ م، مع ٢، ص ٢٢٧).

وقد استخدم هؤلاء الملوك أساليب مختلفة لاستمرار حكمهم نذكر منها:

١ - الاهتمام بالشؤون الداخلية:

كان الاهتمام بالأُمور والأحوال الداخلية أحد الأساليب التي اتبعت للحفاظ على الحكم، فهي حُجْر بن عمرو يظهر الاحترام للعديد من القبائل المحلية، حتى إنه لم يتردد في شن حرب على اللُخميّين لمُهاجمتهم قبيلة بكر بن وائل، كما وقع معاهدات استثنائية مع القبائل، مثل معاهدته مع قبيلة ربيعة في الذنائب.

٢ - المصاهرة:

وهو تقليد قديم حديث يعود إلى بداية العصور التاريخية، فهي هو مثلاً نعرمر - أحد الملوك الأوائل - المؤسسين لحكم الأسرات التاريخية في مصر القديمة يقترن بالزواج من إحدى أميرات البيت الملكي في الشمال. وهذا النمط والأسلوب يظهر - في تصورنا - عند التجمعات التي لا تأخذ أسلوب الانتخاب والاختيار الشعبي المباشر، لذلك كان هذا السلوك واضحاً وقوياً عند شعوب الشرق الأدنى، سواء القديم في مصر وبلاد الرافدين أو حتى الحديث؛ ولم تكن ممالك وسط شبه الجزيرة العربية شاذة في ذلك؛ فهي هو الملك الكندي حُجْر بن عمرو يصاهر في سبيل توطيد حكمه عدداً من العائلات ذات المكانة الاجتماعية والجاه السياسي^(١)، بل إنه تعدى ذلك بالاقتران بصبا ابنة أبي المعاهر بن حسان بن عمر بن تبع لضمان التأييد الحميري لحكمه، واستفاد من هذا الزواج لاحقاً ابنه عمرو بن حُجْر الذي استعان بأخواله الحميريين لإخماد الاضطرابات الداخلية في مملكته.

٣ - الاستفادة من الأحوال الداخلية:

لم يتوان حُكّام وسط شبه الجزيرة العربية عن استغلال الظروف والأحوال الداخلية لمصلحتهم، فقد استفاد - مثلاً - الحارث بن عمرو من ضعف الجبهة الداخلية نتيجة للحروب الطويلة بين قبيلتي بكر وتغلب، المعروفة بحرب البسوس، وجعلها تصب في مصلحته ليسيّط سيطرته على أواسط منطقة الرياض. والسؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن الجميع: الإجراءات التي يفترض أن يجتازها الملك المعين ليصبح ملكاً شرعياً؟ ونحن نستطيع القول، إن صح بطبيعة الحال، إن الرسم الجداري للرجل ذي العينين الواسعتين،

(١) بالرغم من تأكيد المصاهرة في استقرار الحكم وتوطيده، كما دلت المئات من الأمثلة، سواء في العصور القديمة أو الحديثة، إلا أننا نجد من المناسب التنكير بأن بعض هذه المصاهرات قد تنقلب - على ندرتها - وبالأعلى على العائلات، مثل العداوة الشديدة بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والحارث بن عمرو وابنه حُجْر بن الحارث، فلم تمنع مصاهرته للحارث بن عمرو وزواجه من ابنته هند من كونه وراء مقتل والدها، ومحارباً لأخيهما، خال أولاده، حُجْر بن الحارث. ولعل أفضل مثال على أن بعض هذه الزيجات تنقلب إلى عداوة في عصرنا الحديث زواج السياسيين المشهورين حسن الترابي والصديق المهدي فعلى الرغم من أن كلا منهما اقترن بأخت الآخر، فلم يمنع هذا من زج كل منهما بالآخر في السجن عند تقلدهما زمام الحكم في السودان.

الذي عُثر عليه في معبد سن وشمس بقرية الفاو يعود لأحد ملوك كندة بقرية الفاو. إن احتفالات تنصيب الملك وتقلده لمهامه كانت تجري في المعبد من خلال الطقوس التي يقوم بها الكهنة لإضفاء موافقة ومباركة الأرباب على هذا الملك الجديد، ومن ثم تتويجه بإكليل الحكم. وهو ما قد يشير إلى تأثير المعبد ورجال الدين في الحكم، كما هو واضح وجلي مرة أخرى قديماً وحديثاً.

هذا ما كان بشأن الملك، لكن ماذا بشأن ولي العهد؟ مرة أخرى. نشير إلى أن المصادر الإخبارية والكتابات القديمة، على قلة المنشور منها وندرته، لم تعطينا معلومات كافية نستطيع من خلالها أن نحدد مكانة ولي العهد ونشاطه؛ لكن الواضح من تسلسل الملك أن الحكم وراثي يعود الحق فيه للأبن البكر الذي يتولى الحكم بعد وفاة والده الملك، وهذا يدل على أن ولي العهد هو اليد اليمنى والعضد القوي للملك.

وقبل أن ننتقل إلى شأن إداري وسياسي آخر، يجب أن نخرج -حسب المعلومات التي لدينا- على مكانة المرأة عند الملك وفي قصوره، والتي -مع الأسف الشديد- نجد فيها شعاً واضعاً في المعلومات، فعالببتون يذكرن فقط على أساس أنهن زوجات للملك. لكن ما لفت انتباهي دور المرأة السياسي الذي أشارت إليه المصادر الإخبارية، فهي على سبيل المثال عفيرة بنت غفار الجديسي تكون بأبياتها الشعرية خلف ثورة قبيلتها ضد هيمنة ملك طسم عمليق أو عمليق وسيطرته وإذلاله لقومها، فحركات في بني قبيلتها رغبة الاستقلال والسعي إلى الحرية. أما الثانية فهي زرقاء اليمامة الطسمية التي نهبت قبيلة زوجها جديس، إلى أن جيشاً قادم لغزوهم، لكن عدم تصديقهم لما قالت له أدى إلى هزيمتهم، فصب الملك الحميري حسان بن تبع غضبه على هذه المرأة الثائرة بفوق عينيها.

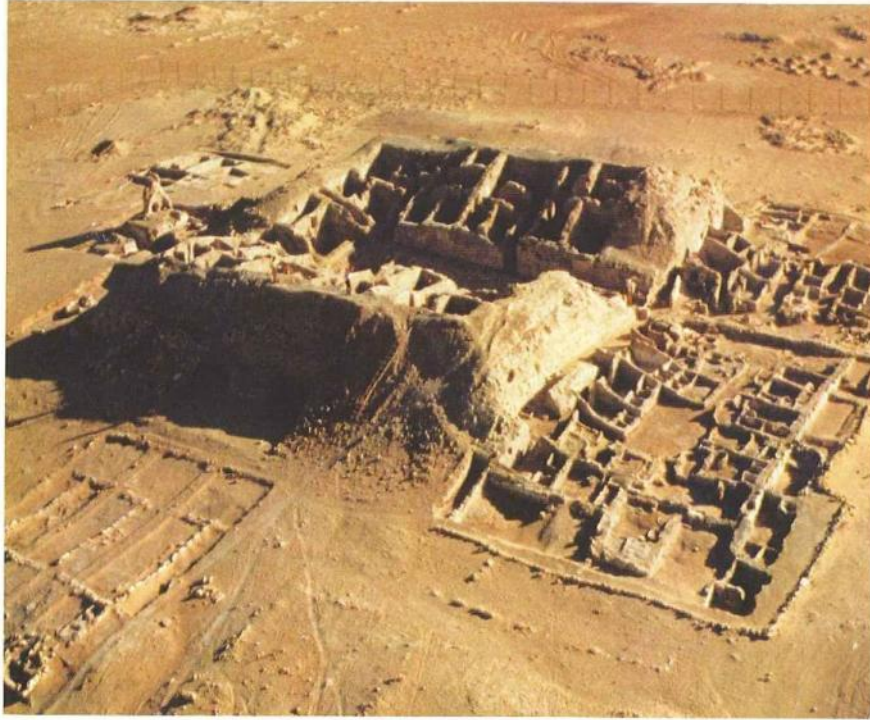
وفيما يبدو فإن نظام الحكم في منطقة الرياض قديماً كان يتكون من ثلاث سلطات رئيسية، هي:

السلطات السياسية والدينية والعسكرية.

١ - السلطة السياسية:

وتشمل إدارة الدولة سياسياً وإدارياً، داخلياً وخارجياً، وبناءً على كمية المعثورات وحجم المكشوف من قرية الفاو التي قد تكون عاصمة كندة يمكن القول دون تردد: إن المدينة أو الدولة كان بها مؤسسات مدنية، فإن تخطيط المدينة العام بشوارعها وأزقتها وأحيائها لا بد أن يكون خلفه سلطة مدنية تولت التخطيط والإشراف على كل هذا، وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر بالبلديات، ويستوجب استخدام من يقوم بأعمال البناء وتنظيف الشوارع، فكثرة المراحيض وتصميمها يشير إلى وجود مجموعة من العمال المهتمين بتفريغ الخزانات التي تمتلئ بمخلفات مستخدميها، كما أن موقعي قرية الفاو في محافظة وادي الدواسر والسيح بمحافظة الأفلاج جعلهما من المدن ذات الاستراتيجية التجارية الواضحة، فكثير من العملات الأجنبية التي عُثر عليها في موقع السيح، وعملات قرية الفاو المسكوكة محلياً تدل على نشاط تجاري لا يستهان به؛ مما

يستدعي وجود إدارات خاصة بالنواحي التجارية مثل تحديد الأسعار والاهتمام بشؤون التجار والمستهلكين، ومحاكم لفض النزاعات بأنواعها المختلفة. ولهذا فقد تمتعت الدولة في منطقة الرياض، خاصة في القرون الأخيرة من الألف الأول قبل الميلاد، بازدهار إداري واضح لا يمكن إغفاله، فهناك إدارات خاصة بالنواحي الزراعية والتخطيطية، كما وجدت شرطة خاصة بحماية الأسواق والأحياء السكنية، وجهات ذات علاقة مباشرة بالصناعات المختلفة، بل إن مستوى التنظيم الإداري كان قويًا إلى درجة أن الحارث بن عمرو قد قسم مملكته إلى أربع ولايات، وقيل: خمس، ثم عين لكل ولاية واليًا، يقوم بإدارة شؤونها بإشراف مباشر من الملك نفسه.



منظر جوي لقرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

وهناك عدد من القرائن تدل على أن الملك كان محاطاً بمجموعة من الموظفين والمستشارين الذين تناط بهم المهام السياسية الداخلية والخارجية، فالداخلية مثل المعاهدة التي أبرمها الملك الكندي حجر بن عمرو مع قبيلة ربيعة بالذنائب، والخارجية تمثلها المعاهدة التي وقعت بين الكنديين والبيزنطيين على أثر الحملة التي قام بها معدي كرب بن الحارث بن عمرو، فهذان دليلان كافيان - إضافة إلى محاولة وفد من كندة التباحث مع الحميريين لفك أسر مالك (ملكوم) ملك كندة - على وجود مجموعة من الموظفين الذي يمكن اعتبارهم سفراء متنقلين، ويجدر بنا القول إن المنطقة لم تخل من أنظمة وتشريعات، وذلك بمقارنتها بالدولة الحميرية التي عاصرت كندة، فإذا وجدت - كما أثبتت ذلك النقوش العربية القديمة (النعيم، ٢٠٠م، ص ١٦٥ - ٢٧٦، ٤١٠ - ٧٢٥) - تشريعات في جنوب شبه الجزيرة العربية، فإن أقرب هذه الدول إليها، وهي كندة، لا بد أن تكون قد تأثرت بهذه الأنظمة والتشريعات، فاقبست منها الكثير، هذا من ناحية، وربما أنها ابتدعت بعض التشريعات الخاصة بها من ناحية أخرى.

٢ - السلطة الدينية:

ويقف على قمة هرمها - كما نعتقد - الملك نفسه، فدورها واضح وبين، فالسلطة الدينية المتمثلة برجال المعابد تشرف على كل ما له علاقة بين المعبود والناس، وتتابع قيام العباد بطقوسهم وواجباتهم تجاه معبوداتهم، وتشرف على أوقاف المعبد والقرابين التي تقدم لمختلف الأسباب للمعبود وتقوم باستثمارها وتتميتها بالشكل المناسب، كما أن الكهنة يقومون بإجراء كافة الطقوس المختلفة، المتعلقة بالحياة اليومية للإنسان آنذاك، مثل الإشراف على الزواج والطلاق والدفن ... إلخ. ومن أهم أدوار السلطة الدينية ضمان شرعية السلطة السياسية وإباحة نشاطات الفرد والمجتمع أو تحريمها.

٣ - السلطة العسكرية:

مرة أخرى يأتي الملك على رأس السلطة العسكرية، والواقع أن المصادر الأثرية - مع الأسف الشديد - لا تسعفنا بمعلومات عن الجيش، لكننا نستطيع القول - من خلال المصادر التاريخية التي تحدثت عن أوضاع قبيلتي طسم وجديس ومملكة كندة: إن الجيش آنذاك يتكون من عنصرين: المشاة وهم الأكثرية، والفرسان الذين يمتلكون الخيول، والركبان الذين يركبون الجمال، فقصة غزو حسان بن تبع الحميري لجديس، ورواية زرقاء اليمامة تدل على وجود فرق من المشاة في جيوش المنطقة. كما أننا نستخلص من الحملتين اللتين أرسلهما الحارث بن عمرو لمهاجمة الحدود الجنوبية للإمبراطورية البيزنطية دليلاً على معرفة الكنديين للفرق التي تماثل حالياً القوات الخاصة (الكوماندوز)، التي تضرب ضربة سريعة وخاطفة لكنها مؤثرة جداً. والدليل على قوتها وتأثيرها أن الحملة الثانية التي قادها ابنه معدي كرب أدت إلى عقد معاهدة مع البيزنطيين، وأن الجيش الكندي به قادة ذوو رتب عسكرية مختلفة. لكن السؤال الذي تصعب

الإجابة عنه بشكل دقيق هو: هل كان لممالك منطقة الرياض جيوش نظامية دائمة؟، وبرغم أن المعثورات، مثل النقوش، لا تمدنا بما يمكننا من الإجابة عن هذا السؤال، فإنه يمكن نفي وجود جيش نظامي في تلك الفترة بين هذه الممالك، ودليلنا على هذا هو أسلوب امرئ القيس الذي حاول استنهاض القبائل العربية لمساعدته في إعادة ملك الآباء والأجداد، بل إنه حاول الاستعانة بقوى خارجية عن طريق طلب المساعدة والدعم من الإمبراطور البيزنطي؛ لذا فعند رغبة الملك القيام بحملة عسكرية أو غزوة فإنه يطلب من حلفائه رؤساء القبائل الموالية له وزعمائها، المشاركة بخيرة شبابها أو عبيدها أو مواليتها في حروبه أو غزواته هذه. وبطبيعة الحال، لا يمنع هذا الأسلوب في تكوين الجيش من أن الملك كان لديه ما يماثل حاليًا الحرس الملكي أو الجمهوري، ويتكون من عبيده والمقربين منه، وذلك لأن سلامة الملك تستوجب وجود حرس دائم يرافقه أينما ذهب. ويصعب علينا تخيل جيوش طسم وجديس وكندة دون وجود جمال تحمل العدة الضرورية من المؤن والخيام، وقد يرافق الجيش كاهن تكون مهمته تشجيع الجنود المحاربين، وإجراء مراسيم الدفن للمتوفين، إضافة إلى التنجيم، وفرقة تشجيع من راقصات وراقصين، ومطربين ومطربات، لرفع معنويات الجند وإثارة حميتهم للقتال، والأمران الأخيران كانا معروفين عند الآشوريين (ساكر، ١٩٩٩م، ص ٢٤٦)، وكذلك في جيوش قريش قبل الإسلام. كما لا يستبعد أن يرافق المحاربين خصوصًا في العصر التاريخي طبيب يقوم بمعالجة المصابين والجرحى، فهناك من الأدلة التي عُثر عليها في قرية الفاو (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٦٢) ما يدل على أن بعض الغرف كانت عيادات للأطباء.

ولا يكتمل الحديث عن الجيش دون التطرق إلى أمرين مهمين، الأول: معاملة الأسرى، والثاني: الأسلحة. وبالنسبة للأول فمعلوماتنا -نظرًا لقلة الأدلة الأثرية- ليست دقيقة عن كيفية تعامل ممالك منطقة الرياض مع الأسرى، لكن أحد النقوش العربية القديمة، الذي أشار إلى أسر الملك مالك، يعطي إشارة إلى معرفتهم للرهائن وتبادل الأسرى، إضافة إلى استخدام الأسرى كورقة ضغط واضحة، في حين نجد فيما ذكر عن تعامل الملك الطسمي عمليق أو عملوق، مدى الجبروت وقسوة التعامل الذي قامت به طسم ضد قبيلة جديس، فقد كان إذلالاً وهيمنة واضحة. وآخر هذه الأمثلة ما قام به ملك حمير حسان بن تبع عندما فقأ عيني زرقاء اليمامة عقاباً لها على تحذيرها قبيلة جديس وحرمانها من استخدامها بعد ذلك؛ وهو الأسلوب المأخوذ من الآشوريين ببلاد الرافدين. والمهم الإشارة إلى أن الرغبة في السيطرة والهيمنة لم تكن حكراً على السياسيين والحكام فقط، فهذا هو مثلاً (تيم اللات) يشير في نصه التهودي الذي عُثر عليه في الظعينة بالقويعة (الحمود، ١٤١٨هـ، نق ٩) بأنه قد أذل "أملج" دون أن يوضح لنا سبب هذا الإذلال، وهل هذا يعود إلى تحول أملج من الحرية إلى العبودية لعدم قدرته مثلاً على سداد ديون عليه لتيم اللات، أما الأمر الثاني وهو الأسلحة فسوف نتحدث عنها بشيء من التفصيل.

الأسلحة:

هي أول الأدوات التي تعامل معها إنسان العصر الحجري القديم، فقد تبين لهذا الإنسان، نتيجة لاحتكاكه المتواصل وغير المتكافئ مع الحيوانات المتوحشة أو الحيوانات الصغيرة التي سعى للاستفادة من لحومها وجلودها لاحقاً، ضرورة صنع أداة يستطيع التغلب بها على الحيوان المتوحش اتقاءً لشره، وقتل الحيوان الآخر للحصول على طعامه. وتطورت هذه الأداة فيما بعد لتكون السلاح الواقى من الأعداء والدافع المساعد للهيمنة والسيطرة بعد أن نشأ التصادم والاختلاف بين بني البشر، وهكذا ظهرت-كما نعتقد- الأداة التي عُرفت بالسلاح، الذي قام الإنسان بتطويره، فاخترع أدوات وأسلحة مختلفة لتناسب أغراضه وأهدافه. ونظراً لعدم وجود حفريات وتتقيات منظمة في المنطقة بخلاف موقع قرية الفاو، فليس أمامنا للكشف عن أنواع الأسلحة الهجومية أو الدفاعية التي استخدمت في العصر التاريخي إلا الاستفادة مما تقدمه الرسوم الصخرية والجدارية.

أما عصر ما قبل التاريخ فإضافة إلى الرسوم الصخرية، فهناك الأدوات التي عُثر عليها من خلال المسوحات الأثرية أو نتيجة للحفريات القليلة؛ ومن هذه الأسلحة:



مجموعة من الحراب الصوانية من الثمامة
أطلال ٨، ١٩٨٤م، لوحة ٩٨

١ - الفؤوس:

الفأس - كما يرى البعض (رشيد، ١٩٨٥م، ص ٤٠) - أول الأدوات والأسلحة التي ابتكرها إنسان العصر القديم، وكان ذلك في أفريقيا، ثم انتقلت لاحقاً إلى آسيا فغرب أوروبا. وقد هياها من نوى حجرية، بحيث كان أكثرها سواطير يدوية ذات أطراف حادة أو رأس ثاقب أو تأتي أحياناً بيضوية الشكل (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٩٢). وإضافة إلى استخدامه سلاحاً، فقد استخدم الفأس في العديد من النشاطات الحياتية، لعل من أهمها الصيد وفي وقت لاحقاً ربما استخدمت الفؤوس المصقولة خلال العصر الحجري الحديث في الزراعة. وقد عُثر على الفؤوس بمختلف أنواعها المشحوذة والمصقولة في العديد من المواقع، (انظر على سبيل المثال زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٠، ٢٨؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٨).

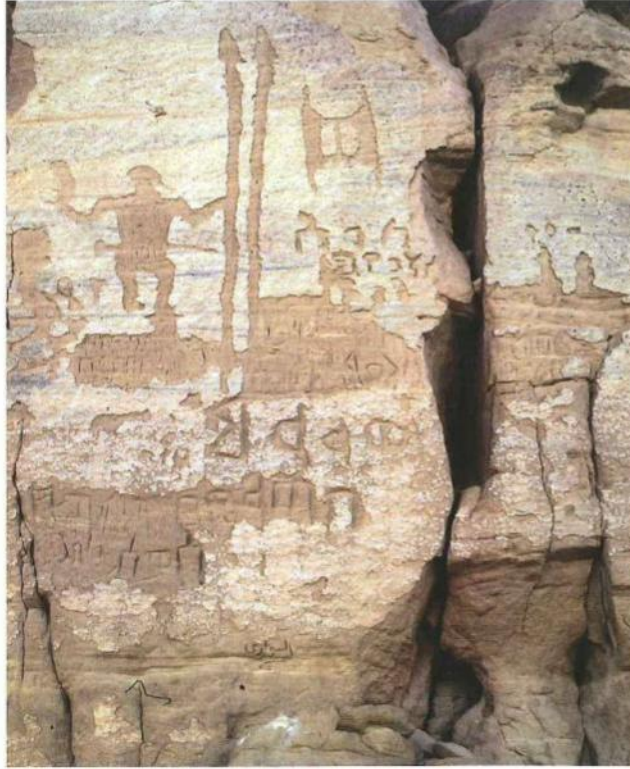
٢ - السهام:

وهي من الأسلحة والأدوات التي يعود تاريخها إلى فترة مغللة في القدم، ويمكننا اعتبارها من الأسلحة الهجومية. وبالنسبة للمعثورات فقد عُثر على رؤوس سهام رمحية الشكل في المنحدرات الغربية لعرق بنبان (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠). أما الرسوم الصخرية فقد جاء السهم في أربعة مناظر،



مجموعة من رؤوس سهام من موقع الثمامة
أطلال ٨، ١٩٨٤م، لوحة ٩٩

رُسم أولها على صخرة في موقع ٢١١-١١، جنوب الخماسين بوادي الدواسر، وجاء الثاني على صخرة تقع جنوب الرياض بنحو مئة كيل (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥)، وكان الثالث ضمن لوحة عُثر عليها في موقع ٢٠٧-٣٧. أما المنظر الرابع فقد عُثر عليه في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤). ولم تكن هذه الرسومات للسهام موجهة لمصارعة ومحاربة الإنسان أو الحيوان فحسب، إذ إن المنظر الأخير، وهو الرابع، يدل على أن السهم لم يكن فقط للمعارك والصراعات؛ بل استخدم كذلك للصيد، فهذا المنظر يشير إلى رسم لجمل بلون أسود، وهو راكض لكنه مصاب بسهم. وتكون السهام في الغالب مدببة وذات رؤوس حادة، أو من النوع المعروف بالمستعرض (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٩٢). وفيما يظهر أن هذه السهام المصنوعة من حجر الصوان أو الزجاج البركاني، استخدمت لأول مرة في الصيد والقتال من قِبل إنسان العصر الحجري القديم الأعلى (الدباغ، ١٩٨٨م، ص ٣٥-٣٦).



"رسم لمعبود قرية الفاو" كهل
يحمل في يده رمحاً طويلاً وفي
الأخرى ما يشبه رأس الحربة
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

٣ - الرماح:

يتألف الرمح عادة من فتاة طويلة من عود من شجر صلب، يركب في رأسها نصل من الحجر في العصر الحجري أو من الحديد أو النحاس، وذلك في العصر التاريخي. وقد عُثر على رأس رمح قزمي صغير من المعدن في موقع بالقرب من مرات بمنطقة الرياض (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٦٩). وبالنسبة للرسومات الصخرية فقد عُثر على لوحات كثيرة خاصة في بئر حمى تضمنت أشكالاً للرماح (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٩٢). ولعل أشهر هذه الرسوم التي تضمنت أشكالاً للرماح رسم الإله كهل وهو ممسك برمحين طويلين يصل طول كل واحد منهما إلى عشرة أمتار (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤)، والرسم الآخر من الموقع ٢١٧-٣٣ ج، بيئر حمى لرجل طويل القامة يحمل رمحاً طويلاً أيضاً (زارينس وآخرون، ١٩٨١م، لوحة ١٣٥). ويظهر أن الرماح التي لها أشرطة مضلعة عند الوسط يكون نصلها نحاسياً أو برونزياً (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٩٢)، ويبدو أن أقدم الرماح في العالم هو رأس رمح من خشب الطقوس عُثر عليه بكلاكتون في إنجلترا، يعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط (الدباغ، ١٩٨٨م، ص ٢٩).



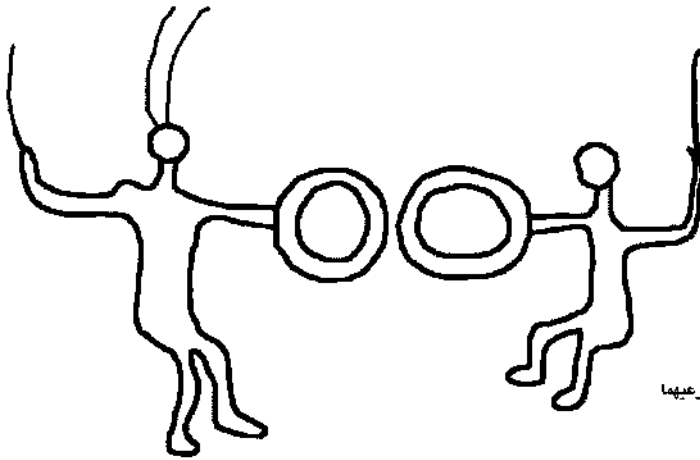
مجموعة من الحراپ الصوانية من التمامة
أطلال ٨، ١٩٨٤م، لوحة ٩٨

٤ - الأقواس:

القوس أداة نصف دائرية ترمى بها السهام، وهي تصنع في الغالب من خشب يحنى طرفاه ويشد بينهما وتر أو أوتار من الجلد (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص٤٠٨)، تصنع هذه الأوتار من أعصاب الحيوانات وأمعانها (الدباغ، ١٩٨٨م، ص٣٥). والأدلة التي بين أيدينا عن استخدام إنسان منطقة الرياض القديم للأقواس جاءت من الرسوم الصخرية، من خلال منظرين: أولهما من موقع ٢١١ - ١١، جنوب الخماسين في وادي الدواسر، وثانيهما المنظر الذي عُثر عليه في موقع ٢٠٧ - ٣٧، ويمثل لوحة من الفرسان وهم يحملون أقواساً (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص٢٨)، كما ظهر رسم القوس في لوحة من الجص الملون (فريسكو)، عُثر عليها في موقع قرية الفار، معروضة حالياً في متحف الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود.

٥ - السيوف:

مع أن المصادر الإسلامية أشارت بوضوح إلى استخدام العرب للسيوف في حروبهم، وإلى حبهم وعشقهم، بل وتفاخرهم في اقتنائهم، إلا أننا لا نجد أدلة أثرية واضحة تبين استخدامه بشكل واسع عند إنسان الرياض القديم؛ وذلك نظراً لأن نصال السيوف كانت تصنع من البرونز، فهي لا تملك الصلابة الكافية لكي تستخدم لأغراض المبارزة أثناء المعارك، فكان استخدامه غالباً للاستعراضات العسكرية (رشيد، ١٩٨٨م، ص٩١). ففيما عدا منظرين يحتويان ما يمكن عدّه -على نحو غير مؤكد- سيفاً أو خنجرًا أو عصاً، الرسم الأول عُثر عليه في موقع ٢١١ - ١٠ جنوب الخماسين بوادي الدواسر، يمثل مجموعة أشخاص ذوي رؤوس بيضوية (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص٢٨؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص٤٥)، يثبتون في



رجلان يرقصان أو يتبارزان بدرعتهما
يضع أحدهما خوذة فوق رأسه
Thompson, ١٩٩٤, p.٤٨

أحزمتهم ما اعتبرناه سيفاً أو خنجرًا أو عصاً. أما الرسم الثاني فجاء مرسومًا في صخرة تقع إلى الجنوب من الرياض العاصمة بنحو مئة كيل، وهي لشخصين يتبارزان، ويحملان في أيديهما أداة يمكن اعتبارها سيفاً أو عصاً (Thompson, 1994, p.48). لكن المنظر الوحيد الذي نستطيع أن نؤكد أن صاحبه يحمل سيفاً أو خنجرًا، هو منظر المعبود كهل بقرية الفاو، وتجدر الإشارة إلى أن التقيبات الأثرية في موقع بندر جصة الذي يقع جنوب شرق سلطنة عمان، قد كشفت عن سيف حديدي (صراي، ٢٠٠٥م، ص ٣٨).

٦ - الهراوات:

وهي آلة خشبية تستخدم في حالتي الصيد والقتال، ولدينا في المنطقة مثال وحيد على ما يمكن أن نعتبره هراوات أو قضبان شائكة، وذلك في الرسم الذي يعود لشخصين - يقل ارتفاعهما عن خمسة وعشرين سنتيمترًا - وهما يمسكان بهذه الهراوات، والرسم وجد في موقع منجور، ٢٠٧ - ٢٧، بخشم دلقان (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٣٢).

٧ - التروس:

أداة تستخدم لصعد ضربات الخصم من سهام أو رماح أو طعنات. ويأتي الترس في الغالب مقترنًا بالرمح في الرسومات الصخرية المعروفة في موقعي قرية الفاو وبئر حمى جنوب المنطقة (زارينس وآخرون، ١٩٨١م، لوحة ٣٥؛ الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٩٥). في حين عُثر على صخرة تقع جنوب الرياض بنحو مئة كيل عليها منظر لشخصين يتبارزان (Thompson, 1994, p.48)، يحمل كل منهما ترسًا يستخدمه للدفاع عن نفسه. وتجدر الإشارة إلى أن الدرع والترس قد استخدمهما عند السومريين في فترة ملك لاجاش "أي - أنا - توم" (٢٤٤٩ - ٢٤٣٠ ق.م)، فقد تبين من خلال اللوحة المعروفة بلوحة العقاب أو النسور ليس جنوده للدروع (رشيد، ١٩٨٥م، ص ٤٣).

٨ - الخوذة:

هي مستديرة الشكل تصنع من المعدن، وتلبس على الرأس لحمايته من الضربات الموجهة إليه، ولم يأت - حسب علمنا - من منطقة الرياض إلا مثال واحد يتضمن ما يمكن عدّه خوذة. وهو الرسم الصخري الذي عُثر عليه جنوب الرياض بنحو مئة كيل (Thompson, 1994, p.48). وتجدر بنا الإشارة إلى أن الخوذة كانت معروفة منذ عهد مبكر عند السومريين (رشيد، ١٩٨٥م، ص ٤٣)، في حين أنها والدرع لم يكونا معروفين بمصر إلا في فترة متأخرة عندما أخذهما المصريون من آسيا (دوما، ١٩٩٨م، ص ٧٧٦).

العلاقات الخارجية:

تمتعت منطقة الرياض بموقع جغرافي متميز، مما ساعد على تيسير الاتصال الحضاري مع مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية من ناحية، ومناطق كثيرة خارج شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى، فهي تحتل جزءاً كبيراً من وسط شبه الجزيرة العربية، وهو ما يحتم - كما ذكرنا سابقاً - على القادم من الشمال والجنوب أو الغرب والشرق وإليها المرور بها؛ فالمنطقة تكثر فيها الطرق التجارية سواء الفرعية التي تربط مدن المنطقة وأقاليمها، أو الرئيسة التي تربط المنطقة بالمناطق الأخرى^(٢). فهذه الأهمية الاستراتيجية دفعت الدول والمناطق المحيطة إلى الاحتكاك بها. وما نقصده بالصلات والعلاقات الحضارية هو التأثير المتبادل فيما بينهم، أما الصلات السياسية فهو كل ما له علاقة بالنشاط السياسي بين القيادات والزعامات السياسية. وهناك نوعان من هذه العلاقات والصلات الحضارية هي المتعلقة بالمناطق داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها، والأمثلة على النوع الأول متعددة، لعلنا نوجزها في المعثورات واللقى الأثرية مبتدئين بالأدوات الحجرية؛ فمثلاً شظايا الحجر الصابوني من موقعي ٢٠٧-٧٢ في وادي حرض (الغزي، ٢٠٠٦م أ، ص ٢٩)، وموقع حزم عقيلة (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٦) - تشير إلى أن هناك اتصالاً حضارياً بجنوب شبه الجزيرة العربية. في حين أن رقائق الزجاج البركاني وكسر الأواني الزجاجية التي عُثر عليها في موقع الرغيب (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٥)؛ إضافة إلى أحجار الزجاج البركاني من موقع بئر حمى توجي بملاقات حضارية مع بعض مناطق وسط شبه الجزيرة العربية. وهناك أيضاً الرخى التي عُثر عليها من موقع ٣٠٧-٧٩، بشرق الرياض، والمصنوعة من حجر الجرانيت (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٢٢)، فتشير أيضاً إلى تبادل حضاري مع مواقع وسط شبه الجزيرة العربية، إذ إن أقرب موقع لحجر الجرانيت بالنسبة لموقع ٣٠٧-٧٩ يبعد نحو مئة وخمسين كيلاً (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٧٩). وبالنسبة للأدوات المصنوعة من المعدن فيمثلها الختم الرصاصي الذي عُثر عليه في موقع السبح بالأفلاج، فحروفه السبئية المكتوبة عليه (al-Saud, 1997, pp.175-6) تدل على الاتصال الحضاري مع اليمن القديم. وإضافة إلى الأدوات الحجرية والمعدنية هناك الأصداغ البحرية التي جاءت من موقع ٢١١-٢٤ (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٨)، والصدفة السنية (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠)، وخزرة القنوس من

(٢) عن هذه الطرق التجارية: انظر على سبيل المثال:

Brice, W., "The Classical Trade-Routes of Arabia from the Evidence of Ptolemy, Strabo and Pliny" Studies in the History 81; Macdonald, M., "Trade Routes and Trade Goods at the Northern End of - the Incense Road of Arabia II. (1984). 177-49: in the First Millennium B. C". Profumi D'Arabia. (Saggi di Storia Antica II, 1997, pp.333

عبدالله سعود السعوي، "استثناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية"، أطلال ١٤، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص ٩٩-١٠٣؛ ثورة عبدالله النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي (الرياض: دار تشرف للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م)، ص ٢١١-٢١٨.

موقع ٢٠٧-١٠٢ (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٤). وهذه المواد -كما يرى البعض- لا توجد إلا في الخليج العربي، وصلت إلى منطقة الرياض غالباً عن طريق المقايضة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٧٩؛ الأمين، ٢٠٠٣م، ص ٣٠). وآخر هذه المعثورات هي الفخار المنتشر بكثرة في غالبية مواقع المنطقة، إذ إن الفخار الذي عُثر عليه في بئر حمى (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠)، وقرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٩) يعتبر من علامات الاتصال الحضاري الوثيق باليمن القديم، فقد عُثر على فخار مشابه له في حضرموت.

وكما كان هناك اتصال حضاري من داخل شبه جزيرة العرب، فهناك العديد من المعثورات الدالة على الاتصال مع الشعوب والأمم من خارجها، ولعل الموقع الوحيد الذي نجد فيه هذه الأدلة هو موقع قرية الفاو، لكننا نود قبل الحديث عن معثورات قرية الفاو الإشارة إلى أن حبات الخرز التي عُثر عليها في موقعي ٢٠٦-٦٧؛ ٢١٠-٧٣، هي من النوع نفسه الذي عُثر عليه في موقع "نواميس" بشبه جزيرة سيناء، ويعود إلى العصر المعروف بالنحاسي (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٦)، وأن العملات المعدنية التي عُثر عليها في موقع الأفلاج (al- Saud, 1997, pp.170-3)، وعددها



تمثال من البرونز لطفل المجنح قرية الفاو
الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ١٠٤: ٢

عشر عملات تشير إلى صلات وعلاقات حضارية مع بلاد اليونان، أو العملة الرومانية التي عُثر عليها في موقع ٢٠٧-١١٩ (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٢)، وهي علامة على علاقات حضارية مع العالم الروماني. لكن هذه العلاقات الحضارية، والتأثر الذي تخطى حدود شبه الجزيرة العربية حتى وصل إلى اليونان وسوريا شمالاً ومصر غرباً وإيران شرقاً، يظهر بشكل واضح في المعثورات واللقى الأثرية التي جاءت من موقع قرية الفاو، فمثلاً تحمل المسكوكات التي جاءت من قرية الفاو إضافة إلى طابعها المحلي البين تأثراً هلنستياً ورومانياً، بل وأحياناً تأثراً فارسياً. وكذلك التماثيل المعدنية المهمة، مثل تمثال الطفل المجنح، فهو للمعبود هاروبوكراتيس ابن المعبودة المصرية إيزيس، والتمثال النصفي للمعبودة منيرفا إلهة الحكمة عند الرومان، وهذان التمثالان يحملان أسلوباً هلنستياً ورومانياً.

وبالنسبة للاتصال بالمصريين في الغرب، فقد جاء واضحاً في بعض المعثورات مثل الحلبي، ولعل أهمها الفص الذي جاء على شكل جعران من الأحجار نصف الكريمة، عليه إطار من الذهب، إضافة إلى التاج المزدوج الذي يلبسه الطفل المجنح، فقد كان عنصراً فرعونيًا، يمثل تاج مصر العليا والسفلى^(٣). وبما أننا نتحدث عن الطفل المجنح، فيجدر بنا الإشارة إلى أن القرن المعقوف الذي يعلو قمته عنقود من العنب جاء مشابهاً لقرون عُثر عليها مع تماثيل في مدينة نهاوند بإيران، وهو ما يعني الاتصال الحضاري والثقافي بالجانب الشرقي للخليج العربي، وآخر هذه الأمثلة الدالة على الاحتكاك بمصر الفرعونية، هو التمثال البرونزي المسمى بالتمثال الخاشع، وهو لشخص جالس على ساقيه، ويده ممدودتان فوق فخذه (الأنصاري، ١٩٨٢م، صص ١٨-٢١؛ الأنصاري، ١٩٨٤، صص ١١-٢٤). والواقع أن هذه المعثورات قدمت لنا دلائل مقنعة على احتكاك أهالي قرية الفاو بالشعوب والأقوام من خارج شبه الجزيرة العربية، بل وبالأقوام والقبائل داخلها، فالفخار النبطي المصدر يؤكد الاحتكاك والاتصال الحضاري والثقافي المباشر بالأنباط شمالاً، والمعينين والحميريين جنوباً، وهذه الأدلة وغيرها تؤكد ما قلناه منذ عقدين ونصف من الزمن من أن سوريا يحضرها وثقافتها القديمة تمثل يابان العصر الحديث، ونضيف هنا القول إن قرية الفاو بحضارتها وثقافتها هي يابان شبه الجزيرة العربية، وليس أدل على هذا القول من تمثال الطفل المجنح، الذي تضمن خصائص فنية محلية خالصة، ومصرية، وهنسية، وفارسية^(٤)، وإذا كانت الثقافة المعينية واضحة في العاصمة التجارية لمملكة كندة، قرية الفاو، فإننا لم نعثر حتى الآن على نقوش معينة تتحدث مباشرة عن علاقتها بوسط شبه الجزيرة العربية، لكن النصوص السبئية العائدة إلى العصرين السبئيين المتوسط والمتأخر، رغم قلتها، لا تتعدى بمجملها ثمانية نصوص سبئية (حميرية) (الروسان، ١٩٨٩م، صص ١١-١٤؛ الفزري، ٢٠٠٦م، صص ٣٩-٤٤)، اثنان منها يعودان إلى العصر السبئي المتوسط، نقول: إن هذه النصوص السبئية جاء فيها إشارات مباشرة لصلة سبأ وعلاقتها بالمنطقة. وتغطي هذه النصوص ثلاثة قرون تقريباً، أقدمها نص شعر أوتر، الذي ربما يعود إلى بداية القرن الثالث الميلادي، وأحدثها يعود إلى منتصف القرن السادس الميلادي إبان عهد الملك أبرهة زعيمان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبمئة وأعرابهم. وتنقسم هذه النصوص من حيث موضوعاتها قسمين: سلمي، وحربي؛ ونقصد بالسلمي النقوش التي

(٣) تجدر الإشارة إلى أن الاتصال الحضاري بين سكان شبه الجزيرة العربية والمصريين القدماء لم تقتصر على التأثيرات المادية، بل تعداه إلى التعمي بالعبودات المصرية مثل العلم غ د أ س، الذي فسره السيد (٢٠٠٢م، صص ٦٢-٦٤) بأنه علم مركب، عنصره الثاني المعبودة المصرية القديمة إيزيس.

(٤) يشكك الزميلان أحمد عبد استاذ الآثار المصرية القديمة، وحيد بن إبراهيم المزروع، أستاذ الفنون العربية القديمة المشارك في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، في الخصائص المحلية لهذا التمثال والتأثيرات الساسانية؛ وذلك في مناقشة شفوية منهما.

تشير إلى وجود تعاون بين قبائل المنطقة والسبئيين (الحميريين). أما الحربي فنعني به النقوش التي تظهر تدخل الملك الحميري تدخلاً عسكرياً مباشراً، سواء أكان هذا التدخل لمساعدة قبيلة أو قبائل من المنطقة أو لحملات عسكرية تأديبية.

ونبدأ بالنصوص التي صنفنا بالحربية؛ وهي ستة نصوص، ثلاثة منها تدل دلالة واضحة على المواجهة العسكرية المباشرة بين مملكة سبأ وذي ريدان وإحدى القوى السياسية في المنطقة، أحدها رسمي منسوب إلى الملك (إل شرح يحضب)، ويعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي. وهو يتكون من ستة عشر سطراً (Jamme, 1962, 576)، ويهمننا منه السطر الثاني، فقد أشار فيه البلاط الملكي إلى نجاح قوات الملك في أسر ملك كندة المدعو مَالِك (ملك)، نظراً لتمرده وتمرد شعبه ضد الإله المقه وملكي سبأ وذي ريدان، والسطر يقرأ على النحو الآتي:

..... واليابسة (الشرق)، ولأن المقه قد ساعدتهم في أسر مَالِك (ملك)، ملك كندة، وشعب كندة كانت بمساعدة ملكهم، فقد تمردت ضد المقه، وضد الملكين، ووصلوا إلى امرئ القيس بن عوف ملك حصصتن، وأخذوه ملكوم (مَالِك) هذا وأكابر كندة إلى مدينة مأرب حتى تخلوا عن هذا الغلام امرئ القيس، حتى قدموا مواثيق ورهائن من شعب كندة، ابن ملكوم، وأبناء رؤساء وأكابر كندة، كما قدموا كذلك....

أما النصان الآخران فقد كتبهما رجلان من نبلاء ووجهاء حمير، وقد أشارا في نصيهما إلى حملة قام بها ملك سبأ وذي ريدان على قرية ذات كهل (الفاو)، أسفرت عن انتصار الجيش الحميري، وحصوله على العديد من الغنائم. وتكمن أهميتهما في أنهما يشيران إلى أول احتكاك عسكري مباشر بين سبأ وقرية ذات كهل (كندة). وعلى الرغم من أن النصين لم يشيرا إلى سبب حملة الملك "شعرم أوتر" على قرية ذات كهل، إلا أن البعض قد ربط بين عدم تمكن سبأ من صد التدخل الحبشي في تهامة وهذا التمرد؛ فقد أغرى التدخل الحبشي بعض القبائل والممالك في وسط شبه الجزيرة على إعلان التمرد، ومحاولة الخروج من الهيمنة السبئية (انظر بافقيه وآخرون، ١٩٨٥م، ص ٥٠)، لكن النصين يظهران فشل هذا التمرد، ولعله من المفيد الإشارة إلى السطور السبعة الأولى لنص الوجهه قشن أشوع (Jamme, 1962, 641): العتيبي، ١٤٢٢هـ، ص ١١٢-١١٣) ونصها كما يلي:

- ١ - قشن أشوع وابنه
- ٢ - أب كرب، أبناء صعقن، قدموا إلى
- ٣ - المقه ثهوان، بعل أوام، هذا التمثال
- ٤ - من غنائمهم التي كسبوها من
- ٥ - قريتم، عندما حاربوا مع

٦ - ملكهم شعرم أوتر

٧ - ملك سبأ وذي ريدان كما ...

وكذلك في نص التوجيه الآخر المدعو: شرح حم بن خذوت ورجلم الأسطر من الأول إلى السادس، الذي يقرأ على النحو الآتي:

١ - شرح حم (من) بني خذوة ورجلم

٢ - أهدى إلى المقه ثهوان

٣ - بعل أوام هذا التمثال من

٤ - غنائمهم من مدينة قرية

٥ - ذات كهل من أجل أن يمنحهم المقه

٦ - الحظوة والرضى من سيدهم ...

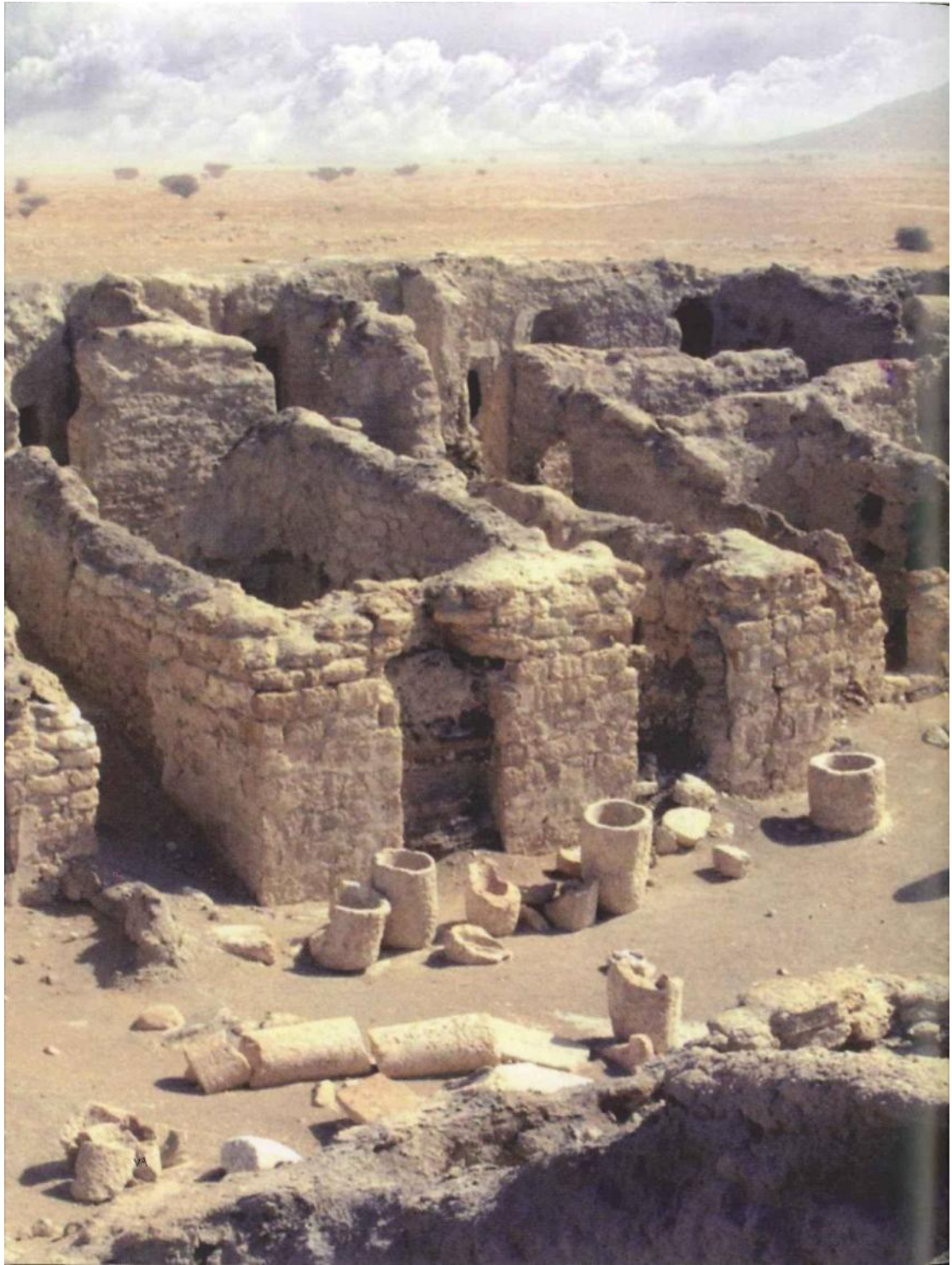
وبالنسبة لبقية هذه النصوص، فيمكن لنا أن نقسمها قسمين، اثنان منها يدلان على نجاح سبئي في استخدام مبدأ فرق تسد، فالتدخل السبئي لتأديب قبائل مَعَدَّ، كان بدعم ومساعدة من بعض القبائل والممالك المحلية، وهما نضان رسميان، يعود أولهما إلى منتصف القرن الخامس الميلادي، إبان عهد كرب أسعد وابنه حسان بها من، ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طود تهامة (Ryckmans, 1953, 509). أما ثانيهما فيعود إلى منتصف القرن السادس الميلادي إبان فترة حكم أبرهة زبيمان ملك سبأ وذي ريدان ويمنة (Ryckmans, 1953, 506). ويؤكد هذان النصان أن مَعَدَّ القوية في المنطقة عارضت التدخل الحميري في شؤون المنطقة الداخلية لمدة تزيد عن القرن، لكن هذا الموقف من مَعَدَّ لم يلق القبول من كندة التي كانت دائماً تدعم الوجود الحميري، باستثناء ما حدث في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، حيث غزا شعرم أوتر قرية ذات كهل، وبعدها بعدة عقود أسر ملك كندة ملكوم (مالك) من قبل ملك سبأ وذي ريدان (إل شرح يحضب). في إشارة واضحة إلى أن العلاقات ازدادت ترابطاً وقوة منذ منتصف القرن الثالث الميلادي، لمدة تزيد على القرنين والنصف.

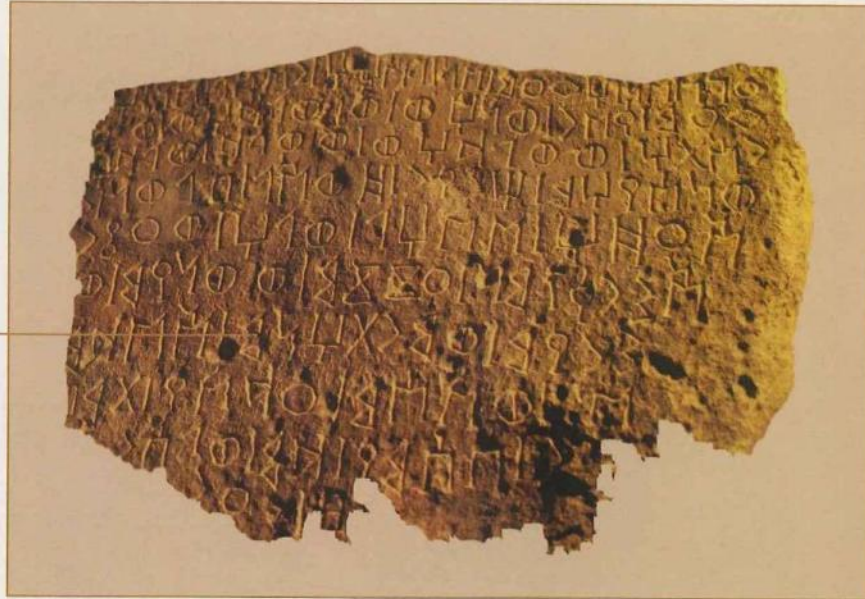
ويظهر نضان رسميان التعاون الوثيق بين السبئيين وممالك المنطقة، ففي النص الأول العائد للملك معدي كرب يعفر، تدخل السبئيون مباشرة لدعم ثوار المنطقة ضد تدخل المنذر (Ryckmans, 1953, 510). أما الثاني، الذي يعود إلى بداية القرن السادس الميلادي، فيظهر دعم كندة ومذحج ومساندتهما لسبأ في حربها ضد الأحباش في ظفار (Jamme, 1962, 628) وذلك من خلال مشاركتها في هذه الحملة العسكرية، ومع أننا سبق أن ذكرنا قوة التحالف الكندي الحميري خلال الفترة من القرن الرابع إلى السادس الميلاديين، إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه العلاقة لم تكن صافية، فقد شابها توتر في

بداية القرن السادس الميلادي، وتحديدًا في عام ٥٤٣ ميلادية. وذلك بعد أن قام والي كندة المعين من قبل أبرهة، يزيد بن كيشة بإعلان التمرد على أبرهة، فأرسل أبرهة حملة تأديبية، لقمع هذا التمرد (سيد، ١٩٩٠م، ص ٧١-٩٧؛ سيد، ١٩٩٣م، ص ٣٤٩-٣٧٨).

وبالنسبة للمصدر الثاني، وهو الكتابات التاريخية التي أعدها مؤرخون إما معاصرون أو لاحقون، فلعلنا نشير نتيجة لهذه الكتابات (انظر طسم وجديس: الفصل الثاني) إلى العلاقات التي ربطت بين الملك الحميري حسان بن تبع ونهاية جديس. أو إلى العلاقات السياسية الودية بين فارس ومملكة كندة إبّان عهد الملك الفارسي "قباد" والكندي الحارث بن عمرو، وعلاقته الحربية مع بيزنطة سنة ٤٩٧م، وملك الحيرة المنذر بن ماء السماء، إضافة إلى علاقات المصاهرة بين ملك كندة وملوك حمير قبل زواج الملك حجر بن عمرو الذي تزوج ابنة أبي المعاهر بن حسان بن عمرو بن تبع. إضافة إلى العلاقة العدائية بين قبيلة معدّ ومملكة حمير في عهد ملكها أبرهة ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم (انظر معدّ).

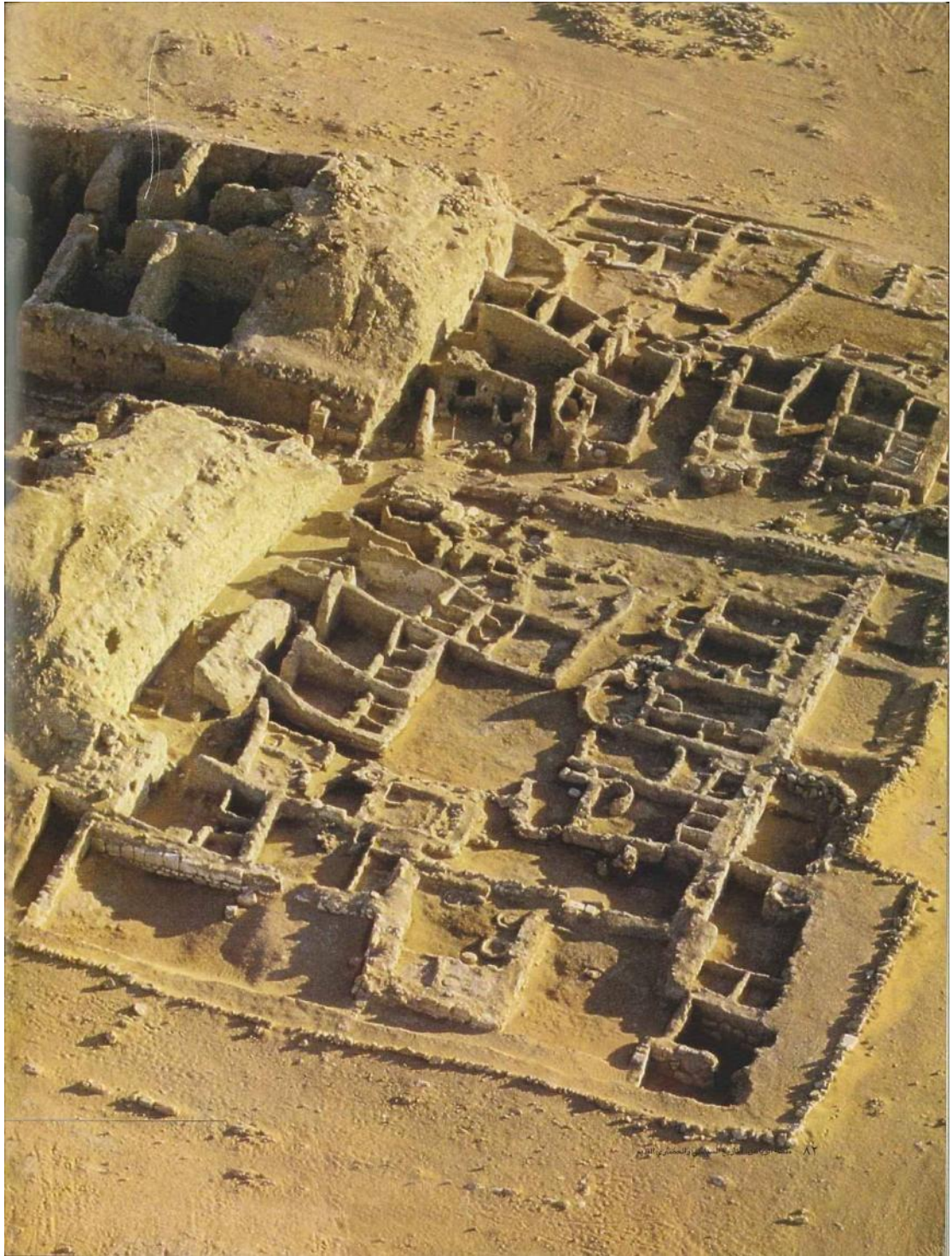






الفصل الرابع
المنشآت المعمارية





أولاً: المساكن:

إذا أخذنا بالتصور السائد عند الباحثين والدارسين في العصور الحجرية القديمة بأن الإنسان قد بدأ في تعامله وتفاعله مع المسكن من خلال تعرفه إلى الكهوف والمغارات، واتخاذها لها لاحقاً مساكن له ومنازل بغرض تجنب الظروف الطبيعية، مثل الرياح والعواصف الباردة شتاءً والحارة صيفاً، والأمطار، وسعيًا منه لتجنب الحيوانات المفترسة، فإن إنسان هذه المنطقة لا يختلف عن غيره من ساكني الكهوف في مناطق العالم القديم. وأكد هذا اكتشاف عدد من الكهوف في منطقة الرياض، التي دلت معثوراتها على أن الإنسان القديم قد اتخذها سكنًا له؛ مثل بقايا عظام حيوانية وأدمية كما في كهف حريملاء وكهوف محافظة السليل (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٨). في حين عُثر في كهفي بئر حمى، والقويع بحوطة بني تميم على رسومات بألوان مختلفة مثل الأسود والأحمر والأصفر، في الكهف الأول كانت الرسومات عبارة عن أشكال آدمية (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٦٩). لا تختلف من حيث الألوان المستخدمة وأحجام الأشخاص عن تلك التي عُرفت في فرنسا (محبسن، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٤م، ص ١٤١). أما الكهف الثاني فكانت رسوماته أشكالاً هندسية (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٣٧؛ الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٦٩ - ٧٠) ^(١).

ومع الوقت تنبه هذا الإنسان إلى أهمية المصادر المائية المتمثلة، آنذاك، بالبحيرات والأودية الكبيرة منها والصغيرة، إضافة إلى الأنهار الصغيرة، فأنشأ مساكنه التي كانت في البداية موسمية ومؤقتة حول هذه المصادر المائية المهمة لاستمرار الحياة. وكانت البداية في الثمامة وذلك بإنشاء مساكن بدائية جاءت على نوعين مختلفين: الأول كان أكواخًا دائرية (الأمين، ٢٠٠٢م، ص ٣٠)، على شكل حفرة في سطح التل يصل قطرها إلى ثلاثة عشر مترًا، مزودة من الداخل بأساسات حجرية، وهي عبارة عن ألواح حجرية، مقطوعة من جبال المنطقة (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ٩٧)، كانت رأسية تسير في محيط دائري مزدوج أو أحياناً بين الدائري والمستطيل. وتكون هذه الأساسات جداراً يصل سمكه إلى ٥٠ سم بارتفاع ٨٠ سم. وكانت هذه الأكواخ الدائرية الشكل، مقسمة من الداخل إلى أقسام على شكل دوائر. قد تصل إلى دائرتين أو أكثر، تمثل -كما يعتقد- غرفاً داخلية (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ١٠٠). أما النوع الثاني، فهي دوائر حجرية كبيرة الحجم تأتي فوق سطح الأرض، وهي مبنية من كتل حجرية غير منتظمة، وموضوعة بعضها فوق بعض بطريقة عشوائية يصل قطرها إلى تسعة أمتار. ويلحظ أن بعض هذه الأكواخ يأتي داخلها دائرة صغيرة ربما كانت، كما يعتقد بعض الباحثين، غرفة لتخزين الحبوب والحاجيات (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ١٠٠).

(١) يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الرسومات الهندسية الشكل جاءت أيضاً في منطقة تهامة فحيطان، خاصة على جبلي طور آل مبدان من سنعان فحيطان، وجبل محول الجاوير للطور. وتُعد هذه المنطقة (امتداد وادي الثمامة) من أغنى أماكن جنوب غرب المملكة العربية السعودية. وتتميز أبنائها الأحمر والأصفر والأسود إلى اللون الأزرق السماوي، وتكثر بها الأشكال الدائرية والمستطيلة والمربعة والمثلثة، ويعتقد العبودي (١٤٢٦هـ، ص ١٢٠) أن تقسيم هذه الأشكال الهندسية إلى أجزاء متعددة ومنها بالتنقيط له علاقة باحساب الثروة الحيوانية.



دوائر حجرية من الثمامة
أطلال ٨، ١٩٨٤م، لوحة ٩٧



دوائر حجرية جنوب المزاحمية
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ١٠٠



باني مدرجة عند موقع ٢٠٧-٧٦
أطلال ١٩٨٢، ٦م، لوحة ٤٣ب



منشأة منزلة، موقع ٢٠٧-٤٦
أطلال ١٩٨٢، ٦م، لوحة ٤٣أ

واستمر الحال على هذا النحو لفترة طويلة كانت هذه المساكن الحجرية تشيد خلالها بتصاميم متنوعة ومختلفة الطراز (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٧٣؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٤١)، المباني الحجرية التي عُثر عليها في مواقع مختلفة من منطقة الرياض، مثل المواقع المكتشفة في العيينة، ووادي مَرخ ومريخة في محافظة السليل، وموقع مجيرة بضمراء (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣)، والثمامة (الغزي، ١٩٩٦م، ص ١٤).

ومع عدم توفر معلومات كافية تغطي الفترة الواقعة بين العصر الحجري الحديث إلى فترة ما قبل الميلاد بعدة قرون، وذلك بسبب قلة الحفريات الأثرية في هذه المنطقة، فإننا نجد أنفسنا مرغمين ومضطرين إلى القفز للفترة الواقعة قبل الميلاد بخمسة قرون أو أربعة، حيث تطور أسلوب البناء ومفهومه، من الأكواخ الحجرية المتنوعة الأشكال إلى إضافة عنصر بيئي آخر، وهو اللبن والطين في إشارة واضحة إلى بدء الاستقرار والإقامة الدائمة لإنسان ذلك العصر. فقد كشف المجس الذي عُمل في الموقع ٢١٢-٦٣ عن غرفة صغيرة مبنية على سطح الأرض من الآجر الطيني بسمك يبلغ ٦٠ سم (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م،

ص ٣٤)؛ في حين كشفت حفريات موقعي ٢٠٧-٢٤، و٢٠٧-٣٠، عن غرف مستطيلة الشكل شُيّدت جدرانها في الموقع الأول بكتل من الحجر الجيري المصمت والآجر الطيني، ومرصوفة في طبقات متتابعة (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٥؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٣). أما جدران الموقع الثاني فكانت مشيدة بالطوب الطيني البني اللون سهل التفتيت، هذا بالنسبة للجدران غير السميكة. في حين جاءت الجدران السميكة مشيدة بالطوب الرمادي اللون شديد الصلابة، علماً أن سمك الجدران يصل إلى المتر الواحد (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٣). وكذلك الموقع ٢٠٧-٢٦، المعروف محلياً باسم حزم عقيلة، فكانت جدران الغرفة من الطوب الطيني الرمادي المجفف تحت الشمس، والممزوج بمادة التبن وكسر من الحجارة الصغيرة لتقويته (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٢٨)، ويبلغ سمك الجدار متراً واحداً أيضاً (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٧). وكما ذكرنا أعلاه، من استمرار استخدام الحجر في بناء المساكن، فقد عُثر على مساكن مبنية من الحجارة المصقولة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٥٧). ومن خلال الدراسات الأثرية والمصادر التاريخية، التي لا يمكن إغفالها، مع أخذ رواياتها بحذر شديد، فإنه يمكننا تقسيم المسكن في وسط شبه الجزيرة العربية خلال خمسة قرون أو أربعة قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي إلى نوعين، هما المساكن الملكية (علية القوم)، والمساكن العامة.

١ - المساكن الملكية (علية القوم):

بخلاف، المبنى الواسع والعالي نسبياً، الذي جاء منعزلاً في موقع العيون، وعُدَّ سكناً أو مقرّاً لأحد علية القوم، أميراً أو حاكماً، أو قائداً (al-Saud, 1997, pp.111- 22؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٣)، وبقياء الجدران في مستوطنة الرغيب (٢٠٧-٧٥)، التي اعتبرها الغزي قلعة أو حصناً (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٥١-١٦؛ الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٨-١٧٩)، فإن الدراسات والتفقيبات الأثرية لم تكشف حتى الآن عن مسكن يمكن اعتباره مسكناً ملكياً^(٢). لكن المصادر التاريخية التي تحدثت عن قبائل هذه المنطقة وشعوبها أشارت إلى عدد من الحصون والقصور التي اتخذها الملوك وعلية القوم سكناً ومقرّاً لهم. ومن هذه الحصون والقصور ما أشار إليه الهمداني، ١٩٧٤م، ص ٢٨٤، ونسبها إلى قبيلتي طسم وجديس، وكانت هذه الحصون قائمة حتى القرن الرابع الهجري (عسيري، ١٤١٩هـ، ص ١٠١؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥١)، مثل الحصون الفاراهة والقصور العالية التي كانت موجودة في مدينة الخضراء قاعدة طسم (ابن خيمس، ١٤٠٧هـ، مج ٣، ص ٣٠)، وما عُرف بالخضرمة من القصور والبتل (ابن خيمس، ١٣٨٨هـ، مج ١، ص ٢٧٤). ولعله من المناسب الإشارة إلى أبرز هذه القصور والحصون، وهي على النحو الآتي:

(٢) الجدير بالإشارة أن المبنى، الذي اعتبر قصرًا (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ١٩)، أصبح الآن بعد الاكتشافات الحديثة التي تلت نشر الدراسة السابقة يعدّ معبداً للمعبودين (ود) في مرحلته الأولى، وشمس في مرحلته الثانية (انظر أدناه: الديانة والمعابد).

- أ - حصن القرية لتلسم المعروف في قرية سدوس، وكان بناؤه من الحجر، نُسب بناؤه إلى النبي سليمان ابن داود عليهما السلام (الهمداني، ١٩٧٤م، ص ٢٨٤؛ الحربي، ١٣٨٩هـ، ص ٦١٧-٦١٨؛ ياقوت، ١٩٨٦م، مج ٤، ص ٢٨٧، وييلي، ١٩٩١م، ص ١٥٢).
- ب - حصن مُعْتَق، عُدّه الهمداني حصناً عجيباً، وأعادته إلى طسم. وهو الحصن الذي سكنه عبيد بن ثعلبة الحنفي فيما بعد عند استيلائه على اليمامة (الأندلسي، ١٩٨٣م، مج ٢-١، ص ٨٢-٨٥)، بعد هلاك طسم. وقد شيد على أكمة مرتفعة، يطل على وادي الوتر والعرض (الجاسر، ١٩٦٦م، ص ٢٤).
- ج - حصن الشمس والثرملية اللذان شيدا في حَجَر اليمامة (ياقوت، ١٩٨٦م، مج ٣، ص ٣٦٥).
- د - حصن العادي بالأثل في الأفلاج، وصفه الهمداني بالبناء العظيم وأنه كان مبنياً من الطين واللبن، وحوله مساكن حاشية الرئيس (الهمداني، ١٩٧٤م، ص ٣٠٥).
- وقبل أن تنتقل إلى النوع الثاني وهو المساكن العامة، علينا الإشارة إلى أن ما اعتبر مسكناً أو مقراً لحاكم في عيون الأفلاج قد يكون أيضاً معبداً، فالمعابد تأتي أحياناً على التلال المحيطة بالموقع، وتكون معزولة، وهذا الأسلوب معروف في اليمن القديم، وفي محافظة العلا شمال المملكة العربية السعودية (Al-Mazroo, Nasif, 1991, pp.1- 24).

٢ . مساكن العامة:

وهي المساكن التي اتخذها عامة الناس، وتختلف عن القصور والمباني الرسمية بأنها أصغر حجماً، وعادية في أسلوب بنائها، ومتلاصقة، وبنيت أغلبها على الأرض البكر كما جاء في موقع العيون الأثري في الأفلاج (al- Saud, 1997, p.178). وقد جاءت غرف هذه المساكن على أشكال وأحجام مختلفة، فمنها الغرف المربعة الشكل، كما في مستوطنة البنية (الفري، ١٩٩٦م، ص ١٣-١٤)، والغرف المستطيلة، كما في موقع ٢٠٣-٢٤ بالخرج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٥). وهناك الغرف الواسعة التي تصل إلى عشرة أمتار طولاً وثلاثة أمتار عرضاً، كما في غرف قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٢).

ونظراً لقلّة الحفريات الأثرية المنظمة وندرتها في منطقة الرياض، فيما عدا ما قام به قسم الآثار والمتاحف في موقع الفاو، فإنه يصعب إعطاء صورة واضحة عن المسكن في هذه المنطقة. دون الاعتماد على نتائج الدراسات والتقييقات الأثرية في الفاو^(٢)؛ فمن الواضح أن مهندس المسكن قد استخدم منذ

(٢) تجدر الإشارة إلى أن ما نشر من دراسات عن موقع قرية الفاو، هي حسب علمنا المتواضع أربعة دراسات، ثلاثة منها تعود للمشرف على الحفريات عبد الرحمن الطيب الأنصاري وهي:

أ - الأنصاري، ١٩٧٧م، ص ٩٨-١٠٩، أعيد نشره في عام ١٩٧٩م، ص ٢-١٢.
 ب - الأنصاري، ١٩٨١م.
 ج - الأنصاري، ١٩٨٤م، ص ١١-٢٤.
 د - بحث للأثري كروب (Kropp, 1992, pp 55- 67). درس فيه أحد نقوش قرية الفاو. بعدما نشرت صورته في مقال لوفيق غنيم (24-Ghaneim, 1980, pp.317).

زمن العتبات العلوية سواء في مداخل المساكن كما في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٢)، أو داخل الغرف السكنية، كما في موقع ٢١٢-٦٣ (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٤). بل إن بعض المساكن جاء على دورين، نحو مسكن في حزم عقيلة (٢٠٧-٢٦)، (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٣٨)، أو بعض مساكن قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٢).

ومن الطبيعي أن تختلف هذه المساكن من حيث مواد البناء والحجم والطراز، حسب القدرة والإمكانات المادية التي يتمتع بها صاحب المسكن، فهناك المساكن البسيطة والعادية التي تعود ملكيتها إلى الطبقة الأقل دخلاً؛ وهناك المساكن الواسعة الغرف (تكون أطوالها ١٠×٣م)، التي نجد فيها العديد من الرسومات واللوحات الفنية بألوان مختلفة أو الأدوات الدالة على الدخل الجيد أو الثراء المادي لهذه الطبقة.

وكما أن البناء قد استخدم الحجر الجيري في تشييد الجدران (انظر زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٥)، أو الحجر المصقول (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٥٧)، أو الطين واللبن (انظر مثلاً الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٣؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٣٨). فإنه في بعض الأحيان كان يغطي هذه الجدران، حسب قدرة صاحب المنزل المادية، بطبقة ملاط جصية، كما في منازل قرية الفاو (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٣)، وجدران غرف الموقع ٢١٢-٣٦ (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٤)، وهناك جدران كانت عليها طبقة تسوية مكسوة بطبقة جصية، كما في غرف حزم عقيلة (٢٠٧-٢٦)، (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٧؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٣٨). في حين تمتاز جدران المنازل التي كانت تمتلكها الطبقة الأكثر ثراءً بوجود حوز مرسومة بألوان متعددة، كما في غرف قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤). وقد كان في هذه الجدران نوافذ داخلية وخارجية جاءت على شكلين: نوافذ مثلثة الشكل، كما في غرف موقع ٢١٢-٣٦ (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٤)، أو مربعة الشكل، كما في قرية الفاو، وتأتي كبيرة الحجم أحياناً وصغيرة أحياناً أخرى. ولعله من الجدير بالملاحظة أن جميع أسقف هذه المساكن كانت مكونة من الأخشاب وأغصان الأشجار والطين الذائب، كما في حزم عقيلة (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٣٨)، أو في مساكن قرية الفاو، أما أرضيات الغرف فجاء بعضها مبطناً بطبقة ملاط جصية، كما في غرف موضع حزم عقيلة، ٢٠٣-٢٦، (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٣) ولم يكن البناء في منطقة الرياض القديم يشيد الغرف بشكل عشوائي، بل كان لكل غرفة من هذه الغرف غرض وهدف معين، فهناك كما في بعض غرف قرية الفاو، غرف للجلوس، وهي التي جاء فيها متكئات أو مقاعد للجلوس، وغرف للنوم، عُثر في بعضها على دكاك بارتفاع ٦٠سم تستخدم للنوم، وغرف للنسيج، التي وجد فيها غاران في أسفل أحد جدرانها يقابلها غاران في الجدار المقابل، وفي داخل كل غار نجد تجويفين عن اليمين واليسار يسمحان بإدخال أداة من حديد أو خشب تشبك فيها خيوط الصوف أو الكتان، وغرف للتخزين تكون أحياناً من طابقين (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢١-٢٢)، وهناك المطابخ وهي التي

عُثر فيها على مواقع وأفراان، مثل غرفة في مستوطنة البتّة وُجِدَ فيها تنور من الصلصال (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٣٧-٤٢). كما اشتملت المنازل على مراحيض تشبه إلى حد بعيد ما يُعرف في يومنا الحاضر بالحمام العربي، وكانت تشيد في قرية الفاو في الطابق العلوي من المسكن، في حين يأتي خزان الفضلات في الطابق السفلي، كما اشتملت هذه المنازل على خزانات المياه، بقنواتها الداخلية، وهي خاصة بالشرب وجدت في بعض منازل قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢١-٢٢). ومما يشير إلى فطنة أهل قرية الفاو القدماء استخدامهم لكل المساحات الممكنة في المسكن واستغلالهم لها، فقد درجوا على استخدام بيت الدرج لأمرين إما لوضع أحواض دائرية ثابتة تحت الأزيار، أو أماكن لطحن الحبوب، لوجود الرخى الحجرية. وبناءً على المعلومات القليلة التي وصلتنا عن المسكن خلال الفترة الواقعة بين القرن الرابع قبل الميلاد والرابع الميلادي، يمكننا رسم صورة مناسبة للبيت المثالي في منطقة وسط شبه الجزيرة العربية (الرياض)، الذي يتضمن ما يلي:

- ١ - غرفة نوم.
- ٢ - غرف جلوس.
- ٣ - غرف تخزين.
- ٤ - مطبخ.
- ٥ - مرحاض بخزان سفلي.
- ٦ - خزان مياه للشرب مع قناته الداخلية.
- ٧ - صالتان علوية وسفلية.

وتجدر الإشارة إلى أن المنازل العائدة لهذه الفترة تخلو من زرائب وحظائر للحيوانات.



مصفاة من النحاس، قرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

الأدوات المنزلية:

وهي الأدوات التي استخدمها الساكن في حياته اليومية، فعلى الرغم من قلة التنقيبات والحفريات الأثرية في المنطقة، فإن الباحثين تمكنوا من العثور على عدد لا يستهان به من الأدوات المنزلية تضمنت السكاكين والسواطير المعروفة منذ العصر الحجري استمرراً حتى يومنا الحاضر، مع الأخذ في الحسبان التطورات التقنية المختلفة التي دخلت على صناعتها، مثل السكاكين المعدنية (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨). والرحى وهي من الأدوات التي استعملت في المساكن منذ العصر الحجري، كما في موقع ٢٠٧-٧٩ بعرق بنبان (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠)، وحتى العصر التاريخي في قرية الفاو.

وكذلك الموافد التي عُثر عليها على نوعين: خارجي، مثل الأثافي الحجرية، التي توضع عادة تحت قدور الطبخ، والتي وجدت في موقعين: الأول موقع ٢١١-٢٤ بواي الدواسر (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٨)، والثاني موقع ٢٠٧-٤٦ ببئر حمى (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣١)؛ وداخلي مثل التنور الصلصالي ذي الفوهة الدائرية، الذي عُثر عليه في إحدى غرف مستوطنة البنة (الغزي، ١٩٩٦م، ص ١٣-١٤)، والهاون والمدقات لطحن الحبوب، وهي من الضروريات لأي ربة بيت آنذاك، والكؤوس بدليل ما وُجد منها على صخرة في موقع ٢٠٦-٥٧ بواي مأسل (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٣٢-٣٣)، وبدليل الكأس الفضي الذي عُثر على جزء منه في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨)، والملاعق المصنوعة من الفخار التي جاءت من موقع حزم عقيلة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٥م، ص ١٨٧)، إضافة إلى الملاعق والطاسات الخشبية التي جاءت من قرية الفاو. والزبديات المصنوعة من الحجر الصابوني، كما في موقع ٢٠٧-٧٢ بواي حرض (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٥؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠)، والزبديات المصنوعة من الفخار الخشن التي عُثر عليها في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٩)، بالإضافة إلى القدور المصنوعة من الفخار الخشن والمعدن، والإبر، والمفاتيح، ومقابض الأواني، والمصافي المصنوعة جميعها من المعدن، والمهراس المصنوع من الحجر، والأزيار التي صنعت من الفخار الخشن، والأطباق الخشبية ناعمة الملمس، وكذلك المجامر بنوعيهما، الحجري والفخاري؛ كل هذه الأدوات عُثر عليها في حفريات قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨-٣٢). ولا ننسى كذلك المنامات، وهي الأسرة التي كانت عبارة عن مصاطب من الحجر أو أسرة خشبية، وأبسطة الجلوس التي كانت من الحصير، وأخيراً المسارج أو القناديل التي كانت تستخدم آنذاك للإنارة (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨). والقنديل أو السراج يتكون من إناء صغير من البرونز على شكل كمثرى يملأ بالزيت مع وضع فتيلة تبرز من خلال ثقب في الأعلى.



كأس مزجج وإناء يستخدم كمصفاة
مصنوعين من الفخار، قرية الفاو

ثانياً: العمارة الدينية والمعابد:

ارتبط الإنسان القديم ارتباطاً وثيقاً بالأمور الغيبية، بسبب الظواهر الطبيعية وبيئية، مثل الليل والنهار، والرياح، والأمطار، والشمس والقمر... إلخ، وأيضاً بظواهر لها علاقة مؤثرة به نحو المرض والصحة، والجوع والشبع، والولادة والموت، وغيرها من الظواهر ولم يكن، آنذاك، لدى الإنسان تفسير منطقي ومعين لهذه الظواهر. سوى ربطها بالأمور الغيبية، مما قاده تدريجياً إلى الاعتقاد، بل وربما الإيمان في مرحلة لاحقة بوجود قوى معينة وراء كل ما يحدث أمامه، عرّفها فيما بعد بالأرباب والمعابد التي كانت خلف هذه الظواهر الكونية المرتبطة ببيئته أو به مباشرة. فجعل -واهماً- لنفسه معبوداً للمرض، وثانياً للشفاء، وثالثاً للرياح، ورابعاً للشمس، وخامساً للظلام... وهكذا، وفي فترة لاحقة ونتيجة لتطور العلاقات والاتصالات البشرية المختلفة الحربية منها والسلمية، التي لها علاقة بالبعد الإنساني جعل هناك أرباب للحرب، وأخرى للحب وثالثة للقوافل... إلخ.

وتوصل الإنسان، بهذا المفهوم الديني البدائي، مع تقدم الزمن إلى ضرورة إيجاد الطرف الآخر من المفهوم الديني، وهو المكان، فإذا كان هناك معبود فيفترض أن يكون له مكان تمارس فيه الطقوس الدينية الخاصة بهذا المعبود، أو تلك المعبودة، فأنشأ المعبد. ومن ثم استغل البعض التوجه الطبيعي للإنسان المحب والراغب، وتحديداً، الأفراد الذين استغلوا الحالة النفسية للإنسان الراغبة دائماً وأبداً بإيجاد تفسير

غيبى لقضاياه، فظهرت شريحة رجال المعبد، الكهنة والسدنة، وهم المسؤولون مسؤولية مباشرة عن إدارة شؤون المعبد، وهم القادرون على تفسير إرادة الآلهة. وهم أيضاً حلقة الوصل بين الأرباب والناس. وبهذا أصبحت المعادلة في فترة ما من تاريخ الإنسان متكاملة: فهناك معبود، وراء كل ما يحدث من تغيرات وتقلبات في الكون والحياة من خير وشر، ومعبد تقام فيه الطقوس الدينية المختلفة، وكاهن مفسر لإرادة المعبود، عالم بيواطن الأمور، حاذق بالسحر وعلومه .

ونرى، قبل أن ننتقل إلى الحديث عن معبودات منطقة الرياض قديماً، التوقف بشكل مختصر، عند ثلاث نقاط رئيسية: الأولى: التوحيد والشرك (الوثنية)، والثانية: متى شُيد أول بيت للعبادة؟ والثالثة: من هم الكهنة والسدنة؟ فبالنسبة للنقطة الأولى، قد يطرح البعض سؤالاً مشروعاً، وهو هل يتعارض ما ذكرناه آنفاً من تطور المفهوم الديني مع حقيقة ما نعرفه جميعاً من أن التوحيد بالواحد الأحد كان هو الأصل والأساس، وأن الوثنية هي حالة تالية لمرحلة التوحيد؟ نقول: إننا لا نعتقد أن هناك تعارضاً، فالتوحيد بالله سبحانه وتعالى الذي جاء مع أبينا آدم وأمنا حواء كان هو الأصل، لكن تفرق أولاده بين الأهواء وابتغاهم التدريجي عن مصدر التوحيد، وتعاليم والدهم آدم، وإرادة الله سبحانه بخلق الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والجنة والنار -دفع أحفاد آدم لاحقاً إلى التفكير بالشرك، والوثنية، (لمزيد عن هذا الموضوع، انظر الدراسة الوافية لباخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٧٣-٩٢) .

النقطة الثانية، وهي كيف نوفق بين حقيقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، رغم أن الإشارة إلى مكة من الناحية التاريخية تعود إلى فترة إبراهيم عليه السلام، والتي أعادها المؤرخون إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وتحديداً عام ١٨٠٠ ق. م وقيل ١٩٥٠-١٩٠٠ ق. م: مع أننا نعرف من الدراسات التاريخية والأثرية أن المعبد الوثني عُرف قبل هذه الفترة بزمان طويل، نقول: إنه لا يوجد -إن شاء الله- تعارض في ذلك؛ نعم، إن الإنسان لم يعلم بالبيت العتيق إلا بعد رفع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام لقواعده في الألف الثاني قبل الميلاد، وإنه -أي الإنسان- عُرف مكان العبادة قبل هذا التاريخ بمدة زمنية طويلة، إذ كيف مارس الأنبياء والرسل والأولياء الصالحون وأولهم آدم عليه السلام عبادة الواحد الأحد. وعليه فلا بد أنهم -أي الذين سبقوا إبراهيم عليه السلام- قد أقاموا مساجد ومعابد تمارس فيها هذه العبادة، فالقصد من الآية الكريمة أن البيت العتيق، المرفوع في نقطة الوسط من الكرة الأرضية، هو المكان الأول (البيت الأول) الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لتقام فيه عبادته سبحانه وتعالى الحقّة، ولم يأذن الله سبحانه -لحكمة لا يعلمها إلا هو جل وعلا، بالبدء بهذه الممارسة إلا في فترة إبراهيم عليه السلام، وذلك بعد أكثر من مليوني سنة من ظهور الإنسان على سطح هذه المعمورة.

النقطة الثالثة، قلنا: إن الكاهن والسادن يلزمه أن يكون حاذقًا بالسحر وأساليبه، وهذا القول ليس اعتباطًا، فهو يعتمد على الحقائق التي دلت عليها الدراسات العلمية المتعلقة بالكهنة والسدنة، الذين وجدوا لهم مكانة خاصة في المجتمع لاستخدامهم السحر ونجاحهم في تضليل الناس كي يقنعوهم بقدرتهم، وبالتالي قدرة معبودهم الخارقة. وقد أشار القرآن الكريم في العديد من آياته الحكيمة إلى ذلك، فالكافرون بالأنبياء ينعنون الأنبياء والرسول بالسحرة الكذبة أو بالسحرة المجانين، فهو يعرف - أي هذا الكافر- أن الكاهن ساحر، لكنه جعل الرسول والنبي ساحرًا كذابًا أو مجنونًا، فقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْعَانِ وَقَرُّوهُ فَقَالُوا أَسْحَرُكَ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَيَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُّذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاغِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: ٤)، وغيرها من الآيات، لهذا نقول: إن الناس إبان المرحلة الوثنية كانوا يعتبرون الكاهن وسادن المعبد ساحرًا، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة للكاهن الساحر لا تزال موجودة حتى يومنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها؛ فالذين يستغلون الدين مثلاً للعلاج خالطين به الدجل والكذب، هم سحرة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، إضافة إلى أن بعض رجال الدين - من أهل الأهواء - جعلوا أنفسهم كهنة؛ لأنهم يعتقدون أنهم هم المؤهلون الوحيدون لتفسير القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وللتحريم والتحليل، بينما البقية المخالفة لأرائهم، ليست مؤهلة للتصدي لمثل هذه الأمور، بل إن بعضهم يرى أن مناقشة آرائهم مجرد محاولة الفهم هو قدح بعالم رجل دين، وهذا -لعمري- نوع من أنواع الكهنوتية.

ولعل أقدم المعابد وأقربها إلى البدائية كانت التماثيل الصغيرة للنساء العاريات المكتنزات الأكتاف والأرداف، وكان بعضهن حوامل بنهود ممتلئة يكاد يتصبب منها الحليب (الصويان، ١٩٩١م، ص ٢٣). وهذه المعبودة -حسب علمنا- لم يُعثر عليها حتى الآن في منطقة الرياض. لكن لعل أقدم ما يشير إلى المعابد في منطقة الرياض هي الرسوم الصخرية، مثل رسوم الأيدي ذات البعد الديني في جبل النصلة بالمجمعة (الرسيني وآخرون، ٢٠٠٢م، ص ٢١٦)، والكف هي رمز الإله عثر عند المعينيين (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٨)، ورسمتي قرص الشمس المربوط بالأشعة، والشكل الهلالي اللذين عُثر عليهما في موقع أوراظ بالمجمعة (الرسيني وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٢٣٧)، وأشكال الكواكب التي عُثر عليها في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤)، وقد يكون للرسوم الهندسية التي جاءت بأشكال مختلفة مثل تلك التي عُثر عليها في وادي صفار بالدرعية (الحمود وآخرون، ٢٠٠٠م، ص ٩٣) -وهي رسوم هندسية على شكل مربعات- مفاهيم دينية عند إنسان الرياض القديم. وبالرغم من ندرة المعلومات عن معتقدات إنسان منطقة الرياض القديم، نتيجة لقلة الحفريات والتنقيبات ذات العلاقة، إلا أنه يتبين لنا، عند المقارنة، أنه قد مارس، مثله مثل غيره من معاصريه، عبادة تقديس الحيوان، إما خوفًا منه وتجنبًا لبطشه،

أو رجاءً لفائدته الاقتصادية، ولعل أبرز هذه الحيوانات التي قدسها إنسان منطقة الرياض القديم هو "الوعل"، وذلك لكثرة ظهوره في الرسومات الصخرية. والمعلوم عند المختصين (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ١٦٢)، أن الحيوان الذي يقوم الإنسان بأصطياده هو المقدس. وقد يتساءل أحدهم: كيف يقوم الإنسان بتقديس حيوان ما ثم يقوم بذبحه والاستفادة من لحمه؟ نقول: إن هذا من الأمور الطبيعية في المعتقدات الوثنية البدائية، ولا أدل من ذلك أن بعض مشركي العرب يأكلون أصنامهم المصنوعة من التمر عند الجوع. وبطبيعة الحال لكل منطقة حيوانها المفضل. فإذا كان إنسان الرياض اختار الوعل حيوانه المقدس، فإن إنسان النياندرتال في أوروبا عبّد الدب (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ١٢٥). لهذا فليس من المستبعد أن يكون هنالك حيوان آخر قدسه إنسان الرياض، إما خلال تقديسه للوعل أو بعده، مثل النعام وبيضه الذي ارتبط كثيرًا بالمعابد والممارسات الدينية، وقد وجدت كسر بيض النعام في العديد من مواقع منطقة الرياض القديمة، منها، على سبيل المثال، موقع ٢٠٧-٧٩ (انظر الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠). بل إن حفائر موقع قرية الفاو كشفت عن كميات من بيض النعام الكامل، بعضه مثقوب مما يدل على استخدامه من قبل إنسان الرياض القديم في معتقداته الدينية. ومن هذه المعثورات التي لها علاقة بالدين والعبادة الخز الذي يستخدم تماثم وتعميدات، وُجد كذلك في مواقع كثيرة، منها موقع ٢٠٦-١٦٧، ٢١٠-٧٣ (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٢٦).

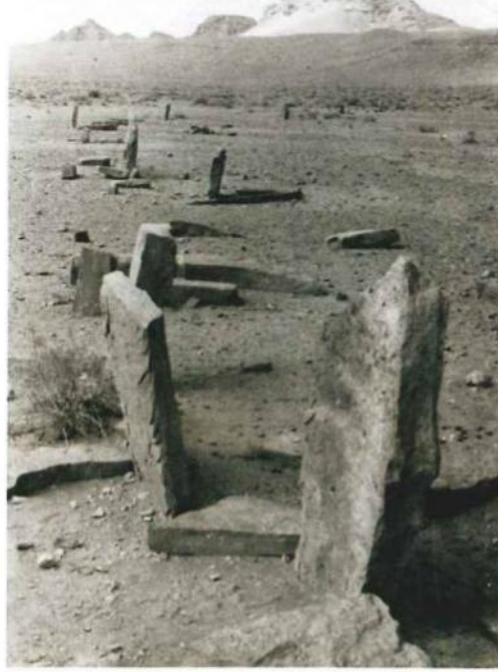
وفي مرحلة لاحقة شيد إنسان منطقة الرياض القديم معابده وأماكن ممارسته الدينية، ولعل أبرز هذه الأماكن ما يعرف حاليًا بالأعمدة المنصوبة. وبرغم صعوبة تحديد وظيفة هذه الأعمدة وماهيتها، نرى أن لها علاقة بعبادة الشمس أو القمر -خصوصًا أنها تعود للعصر الحجري الحديث (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥١؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤١)- وهذه أعمدة يصل ارتفاعها ما بين مترين، كما في الموقع الذي جاء بين الرياض والخرج (Thompson, 1994, p.48)، وأربعين سنتيمترًا، كما في موقع الملح ٢١٢-٨٣ بالقويعة (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٢٧)^(٤)، في حين أن عرضها يصل إلى المتر الواحد كما في موقع مجيرة ٢٠٦-٨٩ بالدوادمي (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٢٧).

ومما قد يشير في تصوراتنا إلى أن لها علاقة بعبادة الشمس أمران: أولهما: أنها جاءت في مناطق مكشوفة، ثانيهما: أن اتجاهها كان إلى الشرق (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٢٧؛ أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ١٠٠). لكن وضعها الذي جاء مكشوفًا قد يكون له أيضًا علاقة بعبادة القمر، لكي يسهل

(٤) عثر على أعمدة منصوبة يصل ارتفاعها قرابة مترين في موقع جاء بين الرياض والخرج (Thompson, 1994, pp 18, 48). وأعمدة جاءت بارتفاع يصل إلى ما بين ثمانين وخمسين سنتيمترًا ومنزلة "وعشرة سنتيمترات في موقع بوادي مَرخ بمحاضرة السليل (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥١). يجدر بنا الإشارة إلى أن زارينس وآخرين، ١٩٨٠م، ص ٢٧ قد أشاروا إلى ألواح يصل ارتفاعها إلى الثلاثين سنتيمترًا تشبه الأعمدة.

ممارسة عبادته ليلاً، فممارسة عبادة الشمس صيفاً أمر لا يطاق، إلا إذا كانت الطقوس تمارس مع شروق الشمس. أما إذا غضضنا الطرف عن علاقة هذه الأعمدة بعبادة ما له علاقة بالسماء: الشمس، القمر، النجوم؛ فليس من المستبعد أن تكون هذه الأعمدة مزارات أو حرماً للمعبودات، وليست معابد، خصوصاً أننا لا نعرف -في ظل شح المعلومات- أنها قد خُصصت لإله معين، أو أن تكون مكاناً لممارسة الطقوس المواكبة لدفن الموتى؛ نظرًا إلى أن العديد منها قد شيد بجانب مدافن.

على كل حال، عُثر على هذه الأعمدة المنصوبة في سبعة مواقع، ستة منها جاءت في جنوب مدينة الرياض. أما الموقع السابع فقد عُثر عليه في شمال شرقها بالثمامة (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥١). وتكمن أهمية هذا الموقع في أنه الوحيد بالمنطقة، الذي أجريت به حفريات أثرية. فقد كشفت هذه الأعمال عن أدوات حجرية مثل رؤوس السهام والحراشيف ذات التقنية العالية (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ١٠٠)، وهذه المواقع هي:



أعمدة قائمة في موقع ٢٠٧-٧٦
أطلال ١٩٨٢، ٦م، لوحة ٤٣ج

- ١ - موقع في وادي مرخة يبعد نحو عشرين كيلاً جنوب وادي مَرخ بمحافظة السليل، اكتشف في عام ١٤١٨هـ، وصف الغزي (١٤١٩هـ، ص ٥٢) أعمدته بأنها أعمدة متلاصقة، وضعت على هيئة سور إلى جانب منشآت حجرية مربعة ومثلثة ومستطيلة.
- ٢ - موقع مجيرة، ٢٠٦ - ٨٩، يقع بمحافظة الدوادمي، وهو عبارة عن أعمدة منصوبة يزيد ارتفاعها في بعض الحالات عن المتر والنصف، وعرضها يصل إلى متر واحد. وتشبه إلى حد كبير أعمدة الرجاجيل التي وجدت بالجوف. وهي أعمدة مصطفة بمحاذاة محور غير منتظم، يمتد من الشمال إلى الجنوب، ومع الأسف لم يعثر الفريق الأثري سوى على عدد قليل جداً من الأدوات الحجرية.
- ٣ - موقع الملح، ٢١٢ - ٨٣، غرب محافظة القويعة، يشير الفريق الأثري، إلى أن الموقع قد تعرض للنهب من قبل الأهالي، فقد استخدموا الألواح التي يزيد طولها عن مترين في بناء منازلهم. أما المتبقي منها فلا يزيد ارتفاع اللوح الواحد عن أربعين سنتيمتراً. والملاحظ أن كل لوح يبعد عن الآخر مسافة ثلاثين سنتيمتراً. وبخلاف الموقع الثاني، فلم يعثر الفريق على أي من المعثورات بجانب هذه الأعمدة (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٢٧).



دوائر حجرية من النمامة
أطلال ٨، ١٩٨٤م، لوحة ٩٧

- ٤ - موقع ٢٠٧-٤٣ في محافظة ضرماء، يختلف عن الموقعين الثاني والثالث، بقلة أعمدته، وبأنها تركيبات تقع على مصطبة بارزة تشرف على وادي ضرماء بمساحة تبلغ ستة عشر مترًا. والمسافة بين ألواحها تقل عن مسافة الألواح في الموقع الثالث بعشرة سنتيمترات أي أنها تبلغ العشرين سنتيمترًا (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ١٠٠؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥١).
- ٥ - موقع جاء بين مدينتي الرياض، والخرج، اكتشفته البريطانية ثمبسون (Thompson, 1994, pp.18, 48). ويشتمل على مجموعتين من الأعمدة المنصوبة، جاءتا على شكل دائرتين يصل أقصى ارتفاع للعمود الواحد منها إلى مترين (انظر الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥١).
- ٦ - موقع في وادي مَرخ بوادي السليل، وفيه أعمدة على شكل دائرة قطرها قرابة خمسة عشر مترًا. وكانت حالة هذه الأعمدة سيئة جدًا فقد تساقط معظمها وتآكلت أجزاؤها العلوية بسبب الأحوال الجوية. وتراوح ارتفاعاتها فيما بين ٥٠سم، و ٨٠سم، و ١١٠سم، لكن أبرز ما توصل إليه العلماء -كما يذكر الغزي (١٤١٩هـ، ص ٥١-٥٢) أن هذه الأعمدة قد جلبت إلى هذا المكان وشيدت لغرض ديني معين.
- ويظهر أن إنسان المنطقة اتخذ -إما في زمن معاصر لهذه الأعمدة المنصوبة أو لاحقًا- مبان جاءت كما حدد أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ١٠٠-١٠١؛ بخمسة أشكال، وهي المباني المستطيلة الشكل، والدائرية، والبيضوية، وذات الشكل الشريطي، وأخيرًا المباني التي شيدت على هيئة رجم حجري (انظر أيضًا الأمين، ٢٠٠٣م، ص ٣٠).
- ولنترك فترة العصر الحجري بمختلف أقسامه، لنذهب إلى الفترة التالية لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، إذ سنجد صورة أكثر وضوحًا للمعابد والآلهة التي قدسها إنسان الرياض القديم وارتبط بها، ولعل الصورة تكون أكثر وضوحًا في موقع قرية الفاو؛ نظرًا لعدد المواسم التي وصلت إلى ثمانية وعشرين موسماً من التقييب، ونحن لا نعرف إلا ما كُشف عنه في المواسم الستة الأولى، أما بقية المواسم فما زال القائمون على هذه الحفريات يعكفون على دراستها لتكون في متناول الجميع في القريب العاجل.
- وقد عرفنا من خلال المصدرين التاريخي والأثري أن المنطقة، شهدت خلال الفترة من منتصف الألف الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث/ الرابع الميلادي، تسعة معبودات، واحد فقط عُرف من خلال المصادر الإخبارية ويعود إلى مملكة أو قبيلة طسم وهو المعبود "كثري"؛ أما بقية الآلهة فقد جاءت من موقع قرية الفاو عاصمة كندة، وهي: كهل، له، وعثتر الشرق، وعيط، وأحور، عثتر ود، واللات، وأخيرًا معبد المعبودين سن وشمس، وللأربعة الأخيرة معابد عُثر عليها في قرية الفاو.

كثري:

أشارت الروايات الإخبارية أنه صنم لملمس، ولعله الصنم الذي بقي حتى مجيء الإسلام، ومن ثم حطمه نهشل بن الربيعي بن عرعرة (علي، ١٩٨٠م، مج ٣، ص ٣٣٦؛ الوشمي، ١٤١٢هـ، ص ٧٩). وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أن كثر (CIS 624; Harding, 1971, p.495)، وكثر (انظر في النقوش الصفوية، والشمودية (ph350a)، (Branden, 1956A). ونعتقد من المعنيين الآتين (للمعاني الأخرى للجذر كثر، انظر ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٥، ص ١٣١-١٣٤). وهما رجل كثر أي "كثير العطاء والخير"، "السيد كثير الخير"، وطلب الكثرة من المال، والثاني أن الكثر هو طلع النخل - أن الوظيفة الأساسية لهذا المعبود "كثري" هي الخير والعطاء، والزراعة، فيبدو أن هذا الإله كان عند طسم رباً للزراعة. يجدر بنا الإشارة إلى أن الفعل كثر ورد في السريانية بمعنى "دام، انتظر" (Costaz, 1963, p.165)، وفي العهد القديم بمعنى "أحاط" (انظر Brown and Others, 1906, p.509)؛ كما أن الاسم كوثراً يعني في السريانية "بقاء، فمود، ثبات" (Costaz, 1963, p.165). ومع ترددنا قليلاً، لكن يمكن مقارنة الإله كثري، بالمعبود المعروف بصيغ كوثر، كوثار، كوثور، كوشور في الأوجاريتية، حيث عُرف عندهم رباً للحرف والفنون، فهو يعني "الحاذق، الصانع" وذلك عند مقارنته مع الكلمة العبرية كثرون أي "مهار، حذافة" (Brown and others, 1906, p.507)، وبالأكادية كاشارو تعني أيضاً "الحاذق، الصانع الماهر" (ادزارد، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٦)؛ ولهذا فقد يكون هذا المعبود رباً للصناعة والحرف. أما الأرباب الأربعة الأخرى كهل، ولهل، وعثر، راشرق، والبت، فإن الثلاثة الأولى ظهرت في نقش عجل بن هفعم (الأنصاري، ١٩٧٧م، ص ٥٠٦)، في حين كان الأخير في نص يعمر بن عامس التقربي (Kropp, 1992, p.55). الأول يُعد المعبود الرئيس لقرية القوا، فقد جاء في العديد من معثوراتهم خاصة المسكوكات والكتابات، ومصوراً على جبل طويق بهيئة رجل طويل يتمنطق بالسيف، ويحمل في يده رمحاً طويلاً، وفي الأخرى ما يشبه الحربة.

وعند مقارنته بما ورد عن لفظة كهل من معاني في اللغتين العربية والآرامية نجد أن معنى اسم هذا المعبود لا يخرج عن "الكبير، المنيع، العظيم، القادر، جالب الحظ والخير"، فالجذر كهل في اللغة العربية يحمل العديد من المعاني، منها على سبيل المثال "كهل" إذا كان له جد، حظ في الدنيا، أو كاهل وهو المنيع، فيقال: فلان كاهل بني فلان أي "معتمد في الملهمات وسندهم في المهمات"، كما يقال: هل في أهلك من كاهل؛ أي من تعتمد للقيام بشأن عيالك الصغار (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ١١، ص ٦٠١-٦٠٢)، وكذلك بمعنى كهل في الآرامية، وهو "لكن قادراً"

(Brauner, 1974, p.255; Brown and Others, 1906, p.1096) الذي جاء بالمعنى نفسه في اللغة الحبشية القديمة (Leslau, 1987, p.277). يجدر بنا الإشارة إلى أمرين أولهما أن ك هـ ل فعل ورد في السبئية بمعنى "نجح، فاز، أفلح" (بيستون وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٧٧)؛ وثانيهما أن ك هـ ل، عُرف علمًا لشخص في العديد من الكتابات العربية القديمة (الذبيب، ١٩٩٥م، ص ٦٦). أما الثاني ل هـ، فقد تكون من صياغة لفظ الجلالة (الله) دون ألف التعريف العربية، وهذه الصيغة ل هـ جاءت كثيرًا في أسماء الأعلام العربية القديمة حيث وردت على سبيل المثال في النبطية بصيغة ع ب د ا ل هـ (الذبيب، ٢٠٠٢م، نق: ٤٣؛ ٢)، وبصيغة د د ل هـ في الصقوية (الذبيب، ٢٠٠٢م، نق: ٤٨) وبصيغتي س ع د ل هـ، و هـ ب ل هـ، في التمودية (الذبيب، ١٤٢١هـ، ص ١٢١، ١٢٢). أما الربة الأخيرة اللات، فهي من معبودات الشمال، وقد عُرفت بكثرة عند القبائل الشمالية (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٧١). استمرت عبادة هذه الربة -التي مثلت عند أهل الحضرة بفتاة ترتدي زيًا حربيًا ومدججة بالسلاح- عند العرب قبيل الإسلام. وكانت صخرة مربعة في الطائف خصتها بثقيف بالتعظيم (الكلبي، ١٩٢٤م، ص ١٦، ٢٧)، وتشير باخشوين (٢٠٠٢م، ص ٢٧٣) إلى عدم ظهور نقش جنوبي يعبر عن تقديس اللات، سوى ظهورها ضمن الأعلام المركبة، للمزيد من المعلومات عن هذه المعبودة انظر (الفاسي، ١٩٩٣م، ص ٢٤٠-٢٤٣؛ الناشف، ١٩٩٠م، ص ٤٠٩-٤١٦؛ ١٤-١٠٤ pp. (Macani, 1988, Healey, 2000). وفيما يتعلق بمعابد الأرباب التي عُثر عليها بموقع قرية الفاو فهي على النحو الآتي:

معبد أحور:

وقد أسماه الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٠) باسم معبد "قرية"، في حين أشار طيران (٢٠٠٦م، ص ٥٤) إليه باسم معبد "الأحور". وتكمن أهميته في أمرين، الأول: أنه أولهما أنه أول معبد اكتشف في حدود المملكة العربية السعودية عن طريق التنقيب الأثري، وثانيهما: أهمية معثوراته من التماثيل المعدنية، التي دلت على وجود اتصال حضاري واضح بين شعوب منطقة الرياض وقبائلها مع حضارات الشعوب الأخرى في سوريا الكبرى ووادي النيل. وجاء هذا المعبد، الذي بُني على مرتفع مقارنة بالمباني المحيطة به، على شكل مستطيل، وبواجهة جنوبية، واستنادًا، كما يذكر الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٠) إلى عدم وجود رديم، فهو من المعابد المكشوفة. وقد تبين بعد تنقيبه بالكامل احتواؤه على المظاهر المعمارية الآتية: الغرفة المقدسة، والمصاطب أو الدكك التي توضع عليها الهدايا، والقواعد المربعة المبنية من الحجر، والساحة الخارجية للمعبد المبلطة بحجارة وما زال البعض منها في مكانه بالجهة الشمالية للمعبد.

هذا ما كان بشأن معبده، لكن من هو أح و ر؟ فأحور قد يكون أحد المعبودات الشمسية، وذلك عند مقارنته بالأحور، وهو أحد النجوم الثلاثة التي تتبع بنات نعش (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٤،

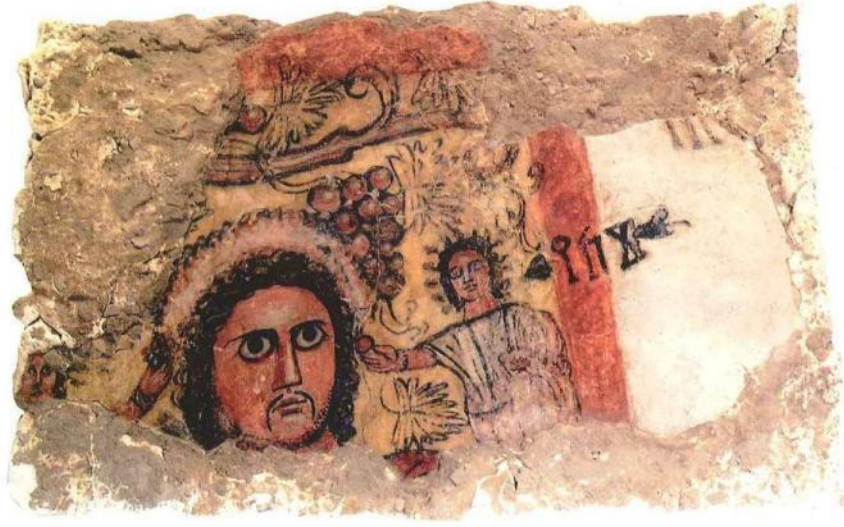
ص ٢٢٢). ولا نستبعد أن يكون رمزه الجمل، فالحُور والجوارهما، ولد الناقة (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٤، ص ٢٢١). ومن المعلوم أن العديد من الأرباب العربية الجنوبية لها رموز حيوانية، مثل المعبود ود، الذي رُمز له بالثور، والحية، والنعام، أو المعبود شمس ورمزه الخيل (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٨). ومما يرجح أن رمزه الجمل، عثور المنقيين على تمثالين برونزيين: أحدهما لجمل، والآخر لناقاة في هذا المعبد (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧). وقد يعني هذا الرب "الخالص، النقي، العاقل"، إذ إن حور، في السريانية (Costaz, 1963, pp.100-1)، والعهد القديم (Brown and Others, 1906, p.301)، وكذلك العربية (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٤، ص ٢١٩)، تعني "البياض، النقاء، شدة بياض العين". أما إذا أخذنا بالمعنى الذي ورد في السبئية للفلح و ر، وهو "أسكن، أنزل، أقام" (بيستون وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٧٣)، فإن هذا المعبود عند أهل قرية الفاو رب السكن والاستقرار، وهكذا فهو معبود "الحب والنقاء"، أو "العقل والفكر" أو "السكن، والهدوء، السكينة" ... إلخ.

معبد سن وشمس؛

كانت الدراسات الأولية قد اعتبرت هذا المبنى الجميل قصرًا كبيرًا (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ١٩)، لكن التنقيب في المواسم اللاحقة، كشف عن عدد من النقوش العربية القديمة، التي دلت بشكل واضح -كما يقول سالم طيران^(٥)- على أنه كان معبدًا خاصًا بالمعبودين المهمين سن وشمس؛ مورست فيه عبادة الرب سن في مرحلة قرية الفاو الأولى، وتحديدًا من أواخر القرن الرابع إلى أواخر القرن الأول قبل الميلاد؛ في حين حلت عبادة المعبود شمس محل عبادة الأول في المرحلة الثانية، التي انتهت أيضًا في القرن الرابع الميلادي، استنادًا إلى النقوش المكتوبة بالقلم المسند (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٤).

وقد امتاز هذا المعبد عن غيره من المعابد الأخرى بقرية الفاو بقاعدتيه الشمالية والجنوبية، حيث اشتملت الأولى على أعمدة ثمانية، واشتملت الثانية على أربعة أعمدة؛ إضافة إلى لوحات الفريسكو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤). وهي لوحات جدارية رائعة إحداها تعود إلى شخص يدعى "زكي" الذي يظهر بعينه الواسعتين، وشاربه الرفيع، وعلى رأسه إكليل توجّه به شخصان يقفان إلى جانبه، وهما يمدان أيديهما إلى رأسه لتتويجه. وقد يكون "زكي" هذا، وهو حتمًا من عليّة القوم، أحد ملوك دولة كندة، أو كاهن المدينة الرئيس. وعلى الرغم من أنه لم يرد في النقوش العربية القديمة المنشورة إلى يومنا الحاضر أو حتى في المصادر الإخبارية والتاريخية ما يفيد أن ملكًا في قرية الفاو أو كندة كان يحمل

(٥) اشكر الأخ سالم بن أحمد طيران، الأستاذ المشارك بالهدر، قسم الآثار والمتاحف، الذي اشترك في حفريات الفاو في السبع السنوات الأخيرة، فقد أوضح أن الفريق الأثري العامل في الفاو، برئاسة عبد الرحمن الطيب الأنصاري الشرف العام واللقب الرئيس، أعادوا النظر، استنادًا إلى التصوص العربية القديمة التي عُثر عليها في الموقع، في كون هذا المبنى قصرًا، واعتبروه معبدًا.



لوحة جدارية رسمت بالألوان على طبقة من الجص تحمل ثلاثة عناصر وهي من اليمين إلى اليسار:
(١) كتابة بالمسند الجنوبي تقرأ: زكي، (٢) صورة لرجل يحمل في يده اليمنى الإكليل،
(٣) وجه رجل بارز العينين يضع إكليلاً من العنب فوق رأسه
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

اسم العلم "زكي"، فقد يكون المنظر يمثل مراسم تتويج الملك. إلا أن البعض قد يشكك بهذا الرأي، وهو لماذا جاء منظر تتويج الملك موثقاً في معبد المدينة؟ خصوصاً وأن مثل هذه المناظر، التي تمثل تتويج ملك -غالباً ما تصور في القصور الملكية أو المباني العامة للدولة، وأحياناً قليلة في المدافن الملكية. لكننا في ظل عدم نشر الدراسات المتعلقة بهذا المبنى، الذي عدّ مرة قصراً، وأخرى معبداً، لا نستطيع إعطاء إجابة مرجحة؛ فالتحور على نقوش عربية مبكرة (علماً بأنها لم تنشر حتى الآن ولا نعرف مضمونها) ليس دليلاً على أنه معبد، فنقل النقوش من مكان إلى آخر وإعادة استخدامها، وتغير المعبودات من الظواهر الواضحة جداً عند المجتمع الفاوي (انظر أدناه). ولهذا نقول -إن أخذنا بالرأي القائل: أن هذا المنظر يمثل تتويج ملك، وبغض النظر عن تلك النقوش، لأنها مجلوبة من مكانها الأصلي-: إن هذا المبنى ليس إلا قصر ملكي؛ خصوصاً أن تخطيطه وتصميمه يختلف كلياً عن تخطيط المعابد الأخرى وتصميمها في قرية الفاو. أما إن أخذنا بالرأي القائل إن هذا المنظر له علاقة بالكهنة، وبالذات إشارة الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٥) إلى أن ملابسهم تتشابه مع ملابس معاوية ابن ربيعة، فنحن نميل إلى أن "زكي" هو

لقب لصاحب العينين الواسعتين ويعني "الطاهر، النقي، صاحب الفضل والنعمة"^(٦). وهو يمثل صورة أحد المعبودين سن، أو شمس. والمعلوم أن العديد من الأرباب العربية وغير العربية صورت بأشكال آدمية، ولعل من أشهرهم بقرية الفاو المعبود الرئيس "كهل"، علماً أن المعبود "سن" صور على العملات، على هيئة رأس رجل بلا ثحية يرتدي جعدات الشعر الطويل (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ١٨٨-١٨٩)، ومما يرجح الرأي الثاني أن بقية اللوحات تحمل مناظر، تمثل كل ما له علاقة بالمعبود والحياة الأخرى، حياة ما بعد الموت، مثل العنب والعناقيد، وأوراق الكروم، وسيقانها، وصورة الشخص، الذي عده الانتصاري (١٩٨٢م، ص ٢٥) ملاكاً كما في لوحات أفسوس. أو منظر المرأة التي تحمل طفلاً وهي سابعة في الهواء، حتى أن المنظر الذي جاء على شكل خيول تعبر بحرًا به أسماك -وهو منظر تخيلي- لا يستطیع القيام به إلا المعبود، بحيث يستطيع جعل الخيول تسير على سطح البحر دون أن تغرق.

ولنعد الآن للمعبودين سن، وشمس، فالأول قيل إنه سامي الأصل أطلقه الأكاديون على معبودهم (الجزو، ١٩٩٢م، ص ٣٣٣)، وقيل إنه سومري الأصل نقله الأكاديون عنهم، وإنه يعني الكتابة والمنظر الجميل (انظر Stehle, 1940, p.439). وأيا كان أصله فقد عُرف بشكل واضح عند شعوب شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، (لهذا الموضوع انظر باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ١٨٧-١٩٩). أما الإله الآخر شمس فهو مصدر الضوء والحرارة، وهو من المعبودات التقليدية المشتركة بين سكان العالم القديم، فالمصري القديم عرفه بالمعبود "رع"، صورته على هيئة قرص الشمس (إرمان، د. ت، ص ١٨-٢٨)، والرافدي القديم عدها إلهًا مذكّرًا، عُرف عند السومريين باسم أوتو (إدزارد، ٢٠٠٠م، ص ٧٥-٧٧)، في حين عُرف عند شعوب شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها بشكل واضح وجلي (للمزيد انظر باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٢٣١-٢٥٨).

ع ث ر ود:

معبد تميز بمخطوطه المتناسق وبأطلاله المعمارية المتكاملة إلى حد كبير، إضافة إلى زخارفه المعمارية ونقوشه الكتابية، التي جاءت على لوحات برونزية (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٤). وهو بناء مربع الشكل شيد على دكة يُصعد إليه بواسطة خمس درجات، توصل إلى بابه المواجه للشرق (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٦٦). والمعبودة عُثتر أو عشتار أو اشتار أو إيشتار، عُرفت في مجمع الآلهة في العالم القديم، وهي تمثل إلهة الحرب والنزعة القتالية (إدزارد، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٩)، وأبانت باخشوين (٢٠٠٢م، ص ٢٠٢-٢٠٣)

(٦) وذلك عند مقارنة ذلك ي، بلفظة ذلك التي ظهرت بمعنى "فضل، نعمة" في نقوش السبئية (بيسنون، ١٩٨٢م، ص ١٧). ويجب أن نغير هنا إلى أنه في ظل عدم نشر المعلومات الخاصة بهذا البنى على وجه الخصوص، والفاو على وجه المعبود، فسيظل النقوش يكثف هذه الترحية، وتحديد وتلفظ هذا المبنى.

عند مقارنتها للاسم عث ر/ع ث ر، التي رُمز إليها عند المعينين بالكف، وفي اللغات السامية الأخرى، مثل الفينيقية والسريانية وغيرها -أن معنى اسم هذه المعبودة يجمع بين معاني القوة، والغيث والزرع. وقد جاءت (عثر) في وسط شبه الجزيرة العربية بلقبين الأول عثر ود، والثاني عثرا شرق، في نقش عجل بن هفعم (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٥:٦)، وبالنسبة للأول الذي لم يرد -حسب معلوماتنا- من قبل فهو يعني عثر المحبة، الودودة، والثاني عثرا شرق، يعني "عثر الشرق" (للمزيد من ألقاب عشتار في جنوب شبه الجزيرة العربية انظر باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٧-٢٣١).



معبد المعبود ود من قرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

ع ب ط:

وهو مذبح عُثر عليه في غرب المنطقة السكنية بقرية الفاو، شيد من الحجر الكلسي المقطوع قطعاً جيداً. ويلحظ العثور بمحاذاته على بئر ماء عميقة (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٤)، يظهر أنها بُنيت لتخدم هذا المذبح العائد للإله عبط. وعلى الرغم من تعدد معاني ع ب ط في الكتابات السامية، فمثلاً في العهد القديم ع ب ط، يعني "قَدَم، أعطى ضمناً، دليلاً على المحبة" (Brown and others, 1906, p.716)، وأنه يحمل في السريانية معاني: سميك، كثيف، غني، وفرة كثرة، جمهور، (Costaz, 1963, p.242)، ويعني في السبئية "بلوى، مصيبة" (بيستون وآخرون، ١٩٨٢م، ص ١١)، وفي الآرامية اليهودية الفلسطينية ورد بصيغة ع ب ي ط، أي "سرج، صهوة" (Sokoloff, 1992, p.393)، لكننا سنأخذ بأحد المعاني الآتية، فهو إما معبود للزراعة، عند مقارنته بالاسم ع ب ي ط أ، أي "سميك، كثيف، شجير" في السريانية (Costaz, 1963, p.242)، أو أنه معبود للماء من عبط الأرض يعطيها عبطاً واعتبطها خُفر منها موضعاً لم يحفر (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٧، ص ٣٤٨)، أو أنه، عند أهل قرية، معبوداً للرعي والحيوانات، وذلك عند مقارنته بالعبط وهو نحر الذبيحة (ابن منظور، ١٩٥٥-١٩٥٦م، مج ٧، ص ٣٤٧-٣٤٨). وبطبيعة الحال، جاء مع المعبد منافعه الخدمية الأخرى مثل الآبار المائية، والأحواض الخاصة بوضع الماء إما للغسيل والتطهير أو التبرك به أو لوضع القرابين، وخزانات المياه؛ إضافة إلى تحضير البخور، الذي حظي باهتمام كبير في الطقوس الدينية، والمناسبات الأخرى مثل الولادة، والوفاة، والزواج... إلخ. وقد استوجب وجود مباخر أو مجامر في امتلاك المعابد كان بعضها مصنوعاً من الفخار كالتى عُثر عليها في الأفلاج (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٦)، وصُنع البعض الآخر من المعدن والحجر بأشكال وأحجام وأساليب مختلفة ومتعددة؛ وقد كُتب على بعض هذه المباخر اسم نوع البخور (التمامي، ١٤١٩هـ).

ثالثاً: المدافن:

تعود معرفة إنسان الرياض القديم للمدفن أو القبر إلى عصور موهلة في القدم، بمعنى آخر منذ وجوده واستقراره في هذه البقعة من شبه الجزيرة العربية، منذ ما يقارب المليون عام من الآن. ومثل المجتمعات الأخرى المعاصرة لمجتمع منطقة الرياض كان هناك نوعان رئيسان من المدافن التي عَرَفها أهل الرياض قديماً خلال العصور القديمة، هما:

النوع الأول: المدافن المنشأة فوق سطح الأرض:

استخدم هذا النوع في عصور ما قبل التاريخ، ثم اختفى في العصر التاريخي ليجل مكانه النوع الثاني. وسوف نبدأ بإعطاء فكرة موجزة عن هذه المدافن مبدئين بالأول منها، الذي كان سائدًا في عصور ما قبل التاريخ، كما قلنا؛ وهو ينقسم قسمين رئيسيين، هما:

١ المدافن الركامية:

عرفت بهذا الاسم، نظرًا لتراكم الحجارة والأثرية المستخدمة في تكوينها مما جعل شكلها مرتفعًا عن مستوى سطح الأرض. وهذه الحجارة التي تستخدم في إنشاء هذا النوع من المدافن؛ إما أنها تكون قد أخذت من المنطقة نفسها كما في موقع ٢٠٧ - ٢٩ بمنطقة مشيرفة المطلة على وادي السبهاء، (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٩٧)، وإما أن تكون مجلوبة من مكان آخر، كما في مدافن الموقع رقم ٢٠٧ - ٣١ (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٤).

وقد تبين للدارسين (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٨)، إمكان تقسيم هذا النوع من المدافن على أساس شكلها الخارجي إلى سبعة أنواع هي:

أ - مدافن ركامية دون ملحقات، تتكون بصفة أساسية من قطع الحجارة غير المصقولة، التي رُصت دون انتظام.

ب - مقابر ركامية ترابية مستوية، وضعت أساساتها وطبقاتها بعناية. وهي في الغالب الأعم مبنية على شكل جدار مليس.

ج - مدافن ركامية ترابية دائرية، حجارته غير مصقولة، وغير مرصوفة بانتظام، وتختلف عن النوع الأول (أ)، بأن لها ذيلًا يتكون من ركائز حجرية صغيرة، تبعد كل ركيزة حجرية عن الأخرى مسافة تتراوح بين المتر الواحد والمترين.

د - مدافن ركامية ترابية مستوية ذات أساسات وطبقات مبنية بعناية على جدار مليس، تختلف عن النوع الثاني (ب) بذيلها، الذي جاء من ركائز حجرية صغيرة.

هـ - مدافن ركامية ترابية دائرية، ذات حجارة غير مصقولة ومرصوفة دون انتظام مع ذيل، تمامًا مثل النوع الثالث (ج)، إلا أن الذيل الذي جاء من ركائز حجرية منفصلة كان مبنياً على شكلين: مستطيل أو شبه منحرف.

و - مدافن ركامية ترابية دائرية مستوية ذات أساسات وطبقات وضعت بعناية. وهي مبنية على شكل جدار غير مليس، تمامًا مثل النوع (د)، غير أن الذيل جاء في هذا النوع من ركائز حجرية منفصلة، بنيت على شكلين: مستطيل صغير أو شبه منحرف.

ز - مدافن ركامية ترايبية، لكن بأذيال يتراوح طول واحد ما بين خمسة أمتار إلى ما يقرب من مئة وخمسين متراً.

وقد عُثر على هذا النوع من المدافن في العديد من محافظات منطقة الرياض مثل الزلفي، وحوطة بني تميم، والسليل، ومراكزها الإدارية مثل سدوس ووادي الدواسر، وقرية الفاو (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٨٧-٨٨)، وكذلك في الخرج، الذي وصلت أعداد المقابر في أحد الحقول إلى سبعة مئة ركام ترايب، في حين أنها امتدت في ليل إلى أكثر من ثلاثة أو أربعة أكيال (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٩). وبالرغم من هذا الكم الكبير من المدافن الركامية، إلا أن عمليات التنقيب فيها تكاد لا تذكر، ومع هذا فقد كانت نتائج هذه التنقيبات القليلة مخيبة للآمال، ففيما عدا مخلفات عظيمة بشرية في المواقع ٢١٢-٢-٤-٦، (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٩)، والسوار النحاسي الصغير الذي عُثر عليه سطحياً في موقع ٢٠٧-٢٠، بالخرج، فإنه لم يتم العثور على معثورات أو مواد ذات أهمية (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٩؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٥). وقد أعاد بعض الباحثين، زارينس وآخرون (١٩٧٩م، ص ٢٨) ندرة المعثورات إلى عمليات النهب والسلب التي تعرضت لها هذه المدافن مثل المدفن ٢١٢-٢٢؛ في حين يضيف الغزي (١٩٩٦م، ص ٧٠) سبباً آخر، وهو أن خلوص بعضها من المعثورات عائد إلى رغبتهم في التحايل على لصوص المدافن؛ ليحتاروا في العثور على المدفن الصحيح الذي يحوي محتويات ثمينة بالنسبة لهم، آنذاك.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى محاولتين مختلفتين، يفصل بينهما ما يزيد على العقدين من الزمن، قام بهما باحثان سعوديان بهدف الكشف عن غموض هذه الأشكال، الحفرية الأولى قام بها حمد الجاسر، (الجاسر، ١٩٩٣م، ص ٢٠)، في القرن الهجري الماضي، وتحديداً فيما بين عامي ١٣٦١-١٣٦٣هـ. وإن صحت هذه المعلومة فيكون الجاسر أول سعودي يقود حفرة أثرية محلية. أما الثانية فكانت حفرة عبد العزيز الغزي، وتحديداً في عام ١٩٨٨م/ ١٤٠٧-١٤٠٨هـ (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٥-٦٦)، إلا أن ما يؤسف له، أن هاتين المحاولتين، التي تعمق الأولى فيها في الحفر إلى المترين، لم تكشف أيّاً من المعثورات الأثرية، وهو ما قد يرجح رأي الغزي، في أن بعض هذه التلال الركامية كانت بهدف تضليل لصوص المدافن.

على كلٍّ، خيبة الأمل هذه بالنسبة للمعثورات حالفتها التوفيق بالنسبة للعمارة، فقد كشف الموقع ٢٠٧-٢٠ عن غرفة رئيسة دائرية الشكل تقريباً، مشيدة من قوالب الحجر الجيري شبه المرصوفة، مغطاة بكسر من الحجارة، المتبوعة بقوالب حجرية ضخمة من الحجر الجيري، المردومة بطبقة من الحجارة الصغيرة (الدبش) (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٩-٣٠؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٩٥).

٢ - المنشآت المدببة:

على الرغم من اختلاف وجهة النظر حول ماهية هذه الأشكال المدببة ووظيفتها، فمن قائل إنها لصيد الحيوانات (كفاي، ١٩٩٠م، ص ١٦٥)، بينما يعتقد الأنصاري أن لهذه الأشكال علاقة بالفلك (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦١، هـ ٨٨)، في حين اعتبرها زارينس وآخرون (١٩٧٩م، ص ٣١) مدافن، فالتنقيب الذي تم على أحد هذه الأشكال بالموقع ٢٠٧ - ٢٠ بالخرج كشف عن عظام آدمية. أما الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٤، فيضيف إلى الرأي الأخير احتمال أن تكون بعض هذه الأشكال منازل^(٧)، وذلك أن عمليات الدفن في عصور ما قبل التاريخ كانت تتم في الغالب داخل إحدى غرف المنزل.



مباني مذبة، سلسلة جبال طويق
أثار منطقة، ٢٠٠٣م

(٧) تشير هنا إلى أن محسن، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٢٤٤، أشار إلى أن المدافن التي وجدت في تل حلف قد تكون من خلال معثوراتها معابد، مورست فيها الشعائر الدينية. لكن إن صح هذا التفسير على المدافن في تل حلف، فلا نستطيع قبوله على الأشكال المدببة في منطقة الرياض، وإلا لجعلنا أن لكل منزل ولكل فرد معبدًا خاصًا به، وهو أمر يصعب الأخذ به وقبوله؛ والمعروف أن الأفراد كانوا يقتنون أَسْنَامًا لمعبوداتهم في منازلهم منذ أقدم العصور حتى ظهور الأديان السماوية، لكنهم لم يعتبروا منازلهم معابد.

وأما عدها وسائل لصيد الحيوانات أو أن لها علاقة بالفلك، فإنه يحتاج إلى أدلة مقنعة؛ لأن تشييدها بالعشرات وأحياناً بالمئات وبعضها إلى جانب بعض، إضافة إلى تشييدها على قمم الجبال يقلل من احتمال أن لها علاقة بصيد الحيوانات أو بالفلك. ونحن نرى - استناداً إلى الحقيقة التي تقول إن عملية الدفن في عصور ما قبل التاريخ كانت تتم داخل المنازل كما في موقعي أريحا بفلسطين (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، ص ١٩٠)، وغاورا في العراق (لويد، ٩٢-١٩٩٣ م، ص ١١٤)؛ كما نعلم أن الرسول ﷺ قد دُفن في منزل عائشة أم المؤمنين بالمدينة المنورة. إضافة إلى نتائج الحفريات الأثرية التي دلت على وجود عظام بشرية (زارينس وآخرون، ١٩٧٩، ص ٣١)، يؤكد أن بعض هذه المنشآت المدببة كانت تستخدم لغرضي السكن والدفن كما اقترح الغزي، كما أننا لا نستبعد أن بعضها خصوصاً تلك التي وجدت على قمم الجبال ومداخل الأودية^(٨)، كانت علامات طرق، إذ يبدو أن المنشآت المدببة ذات الذيل القصير كانت منازل ومدافن، في حين أن الأخرى ذات الذيل الطويل قد يكون بعضها علامات طرق.

وهذه الأشكال المدببة التي تميزت بها منطقة الرياض (نجد) عن غيرها من مناطق العالم القديم وجدت في العديد من محافظات المنطقة كالخرج (موقع ٢٠٧-٢٠)، والأفلاج (مواقع ٢١٢-٥٧؛ ٢١٢-٦٨؛ ٢٢-٧٣)، ووادي الدواسر (موقع ٢١٢-٤-٦)، إضافة إلى موقع ٢٠٧-٢٨، الواقع شمال الرياض (زارينس وآخرون، ١٩٧٩ م، ص ٣٠؛ طيران، ٢٠٠٦ م، ص ٣٨).

والجدير بالذكر أن المنشأة المعمارية عبارة عن رأس مثلث (الغزي، ١٩٩٦ م، ص ٥٩)، أو على هيئة وتد (انظر زارينس وآخرون، ١٩٧٩ م، ص ٣١)، يتصل بذيل رفيع جداً، يتم تشييده بوضع لوحين حجريين، يبعدان بعضهما عن بعض بمقدار خمسين سنتيمتراً، ثم ملأت المسافة بينهما بالبدش (الحجارة الصغيرة). كما أنها تختلف فيما بينها من حيث الطول والحجم والعدد، إذ يتراوح طول الذيل ما بين ثلاثة أمتار إلى مئة وسبعين متراً، (زارينس وآخرون، ١٩٧٩ م، ص ٣١)^(٩)، وأحياناً مئات الأمتار (الغزي، ١٩٩٦ م، ص ٥٨).

(٨) جاءت هذه المنشآت المذيلة -إضافة إلى وجودها على قمم الجبال (المرتفعات)، ومداخل الأودية- في أماكن الرعي مثل الهضاب والأماكن المطلة على الأودية، والمناطق المجاورة للأودية الكبيرة، وإلى جانب الدوائر الحجرية والمقابر الركامية، والأحواض، وفي الأماكن القريبة لمصادر المياه مثل العيون (الغزي، ١٩٩٦ م، ص ٥٩؛ طيران، ٢٠٠٦ م، ص ٣٩).

(٩) جاء الذيل الملحق بهذه المنشأة في الموقع ٢٠٧-٨٠ بطول أربعة أمتار، في حين كان طوله ثمانية وثلاثين متراً في ذيل منشأة موقع ٢٠٧-٨٢. أما الذيل الملحق بالمنشأة في موقع ٢٠٧-٧٦، فكان طوله مئة متر (زارينس وآخرون، ١٩٨٢ م، ص ٣١).

النوع الثاني: المدافن المحفورة المنحوتة تحت سطح الأرض:

وهي المدافن التي انتشرت وعُرفت في منطقة الرياض خلال العصر التاريخي، والتي حلت محل النوع الأول الذي سبق تناوله، ومنها مدافن العيون، بالأفلاج (al- Saud, 1997, pp.126- 31). وكان السعود (al- Saud, 1997, p.103)، قد قارن هذه المدافن بمدافن وجدت في فلسطين تعود إلى أوائل العصر البرونزي، مما حدا به إلى القول بأن مقابر الأفلاج تعود إلى فترة أقدم من فترة مستوطنة العيون، لكنها استخدمت مرة أخرى في الفترة الهلنستية (الممالك العربية)، وجاءت هذه المدافن على شكلين: دائري ومستطيل (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٣). وكان زاريس وأخرون (١٩٧٩م، ص ٣٢) قد قاموا بإجراء حفرة لاثنتين من هذه المنشآت، التي أطلقوا عليها المباني السفلية للقبور، فتبين أنها مدافن تبدأ بمهوى رأسي أطواله ٥X١ م، ويعمق ٥،٢ م، وهو بمثابة المدخل إلى المدافن الداخلية، ولبعض هذه المداخل مراكز لتثبيت الأقدام أو درجات محفورة لتساعد على الهبوط إلى مدخل الغرف السفلية، وإضافة إلى هذا فقد حوت هذه المدافن دعائم شبيهة منفصلة مع فواصل للغرف بعضها قصير. لكن أهم هذه المدافن هي التي عُثر عليها في قرية الفاو بوادي الدواسر جنوبي مدينة الرياض، فقد أُنمر التقيب الأثري عن العشرات من هذه المدافن؛ واستناداً لعمارتها ومحتوياتها ونقوشها فهي تنقسم إلى ثلاث فئات، هي:

أ - فئة الموك:

ويمثله مدفن ملك قحطان ومذحج معاوية بن ربيعة، الذي تميز عن مدافن النبلاء بوجود غرفة خاصة بصاحب المدفن، وبعدم بناء برج على سطحه، مثلما بُني على مدافن النبلاء. ويتكون مدفنه من غرفة مربعة الشكل مبنية فوق المدفن بجدران من الحجر الجيري بارتفاع تسعين سنتيمتراً، وكان مدخلها في الجهة الشرقية منها، وقد عُثر فيها على فتحة مربعة الشكل، تليها فتحة أصغر على عمق خمسين سنتيمتراً، تقود إلى مدخل المدفن المزود بدرجات صغيرة تساعد على النزول وتسلق المدخل. وعند الوصول إلى الأرضية التي كانت على عمق خمسة أمتار، نلاحظ أربعة أبواب، أحدها يقود إلى غرفة صاحب المدفن. وجاءت جدران هذه الغرفة مطلية بالجبس الأبيض، والغريب أنها تقع مباشرة أسفل الغرفة المبنية فوق المدفن، والجزء الوحيد المطلي بخلاف جدران هذه الغرفة هو المهيبط إضافة إلى الأبواب (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٠-٢١). ولم يسعف الحظ المنقبين، فقد تبين أن المدفن قد تعرض للنهب والسلب ليس مرة واحدة، بل عدة مرات.

ب - فئة النبلاء:

وهم علىه القوم ووجهاء المدينة، ويمثل هذه الفئة مدفنان من مدافن قرية الفاو أولهما يشبه مدفن الملك معاوية، عدا خلوه من غرفة خاصة بصاحبه، وعدم وجود فتحتين. بينما امتاز عن مدفن الملك ومدفن النبيل الآخر بأن له غرفتين مبنيتين على سطح المدفن شرقية وغربية، كما أنه احتوى على نص صاحبه عجل بن هفعم (انظر أدناه). أما المدفن الآخر، وهو للوجيه مسعد بن أرش، فجاء مختلفاً بعض الشيء عن المدفنين الآخرين، إذ إنه أنشئ حول برج، وحوى ثلاثة أبواب فقط، وتميز بوجود خمس درجات تقضي إلى أرضيته، مما قد يشير إلى أنه أحدث عمراً من المدفنين السابقين. وكان هذا المدفن ثرياً بعض الشيء في معثوراته، فقد ترك للصمصام بعض المخلقات والأدوات التي دلت على غنى وثراء صاحبه والمجتمع الكندي في قرية الفاو. أما مدافن الأفلاج فإننا نستطيع القول استناداً إلى عمارتها أنها تعود إلى فئة نبلاء مستوطنة العيون.



مقبرة سعد بن أرش، قرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

ج - فئة عامة الناس:

وهي تعود إلى عامة الناس في مجتمع كندة ، جاءت في الشمال الشرقي لقرية الفاو^(١٠). وهي عبارة عن مهبط غير منتظم وغير مجصص ينتهي بلحد مقفل بطوب من اللبن كبير الحجم، يبلغ حجم الواحدة منها نحو ٢٨×٢٨×١٢ سم، وكان هذا الطوب من اللبن المستعمل في المباني. وبالنسبة لأعماق هذه المدافن العامة فهي تختلف بعضها عن بعض، إذ تتراوح بين متر وخمسة أمتار (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢١). ولم تزودنا هذه المدافن بمعثورات أو أي أدوات أو رسومات، والتي قد تقدم لنا معلومات كافية عن طقوس الدفن ومفاهيمهم عندهم، وعن مفاهيمهم الدينية؛ لكننا نستطيع القول، من خلال المعثورات الصحيحة مثل حبات الخرز من موقعي ٢٠٦-٢٧، و ٢١٠-٧٣ (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٣)، والسوار النحاسي من الموقع ٢٠٧-٢٠ بالخروج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٠؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٥) - أن إنسان عصر ما قبل التاريخ في هذه المنطقة كان يضع أدوات لمرافق المتوفى في قبره كما كان متبعاً ومعروفاً عند إنسان ذلك العصر في مناطق العالم القديم المختلفة (الصويان، ١٩٩١م، ص ١٦؛ محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ١٢٢-١٢٤). واستمر هذا المفهوم حتى فترة قرية الفاو التاريخية فقد دلت معثورات مدفن الوجيه مسعد ابن أرش، التي تضمنت كسر الزجاج والفخار والمرمر المتنوع في ألوانه وأسلوب صنعه وتشكيله، إضافة إلى الجرار التي عُثر عليها في المقابر العامة (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢١). وكانت بعض هذه المدافن، تُستخدم لشخص أو أكثر سواء تلك التي تعود لعصر ما قبل التاريخ أو التي تعود إلى العصر التاريخي؛ فأحد النقوش الذي عُثر عليه مكتوباً على جبل طويق يدل على أن بعض المدافن العامة يقبر بها أكثر من شخص؛ ويقرأ (الأنصاري، ١٩٧٤-٧٣م، نق) على النحو الآتي: (و) ج ر م د س م و قير تمام ودسّام.

أما المدافن العائلية فيدل عليها أمران: المعثورات والنقوش، فكمية العظام البشرية التي عُثر عليها في غرف المدافن تدل دلالة واضحة على أن بعض المدافن استخدمت أكثر من مرة من قبل أفراد أسرة واحدة يزيد عددها عن أربعة أشخاص، إن لم يكن أكثر، فخلال مشاركتي في حفريات قرية الفاو، لمدة موسمين، أحدهما كان لتدريس مادة الكتابات العربية القديمة، والآخر للتنقيب في المنطقة السكنية، لاحظتُ تكديس العظام البشرية!! في أركان غرف المدفن، وهو ما يشير إلى أن أفراد الأسرة يضعون الجثة الجديدة محل القديمة، وذلك بإزاحة العظام القديمة إلى أحد أركان الغرفة، وهكذا دواليك. وهذا الأسلوب ما زال

(١٠) لا نعرف لماذا يفضل عليه القوم بما فيهم أفراد العائلات المالكة وضع مدافنهم خارج مدافن العامة من الثقب، معطفاً فعل المصريون القدماء، حيث توجد مدافنهم بوادي الملوك ووادي الملكات، وبطيبة الحال، فإن اختيار عليه القوم والملوك لقابر خاصة بهم هو من باب التعالي المبني والظلمة الدولية إلى العامة من الناس.

-حسب علمي- مستخدماً حتى الآن في بعض مقابر مكة المكرمة، وفي المقابر العائلية بمصر. أما الدليل الآخر وهو النقوش، فيمثلته نقش عجل بن هفعم (انظر أدناه: الكتابات)، نأخذ منه الأسطر ٢-٤:

٢- ... ق ب ر / و ل ه و / و ل و ل د ه و / و م

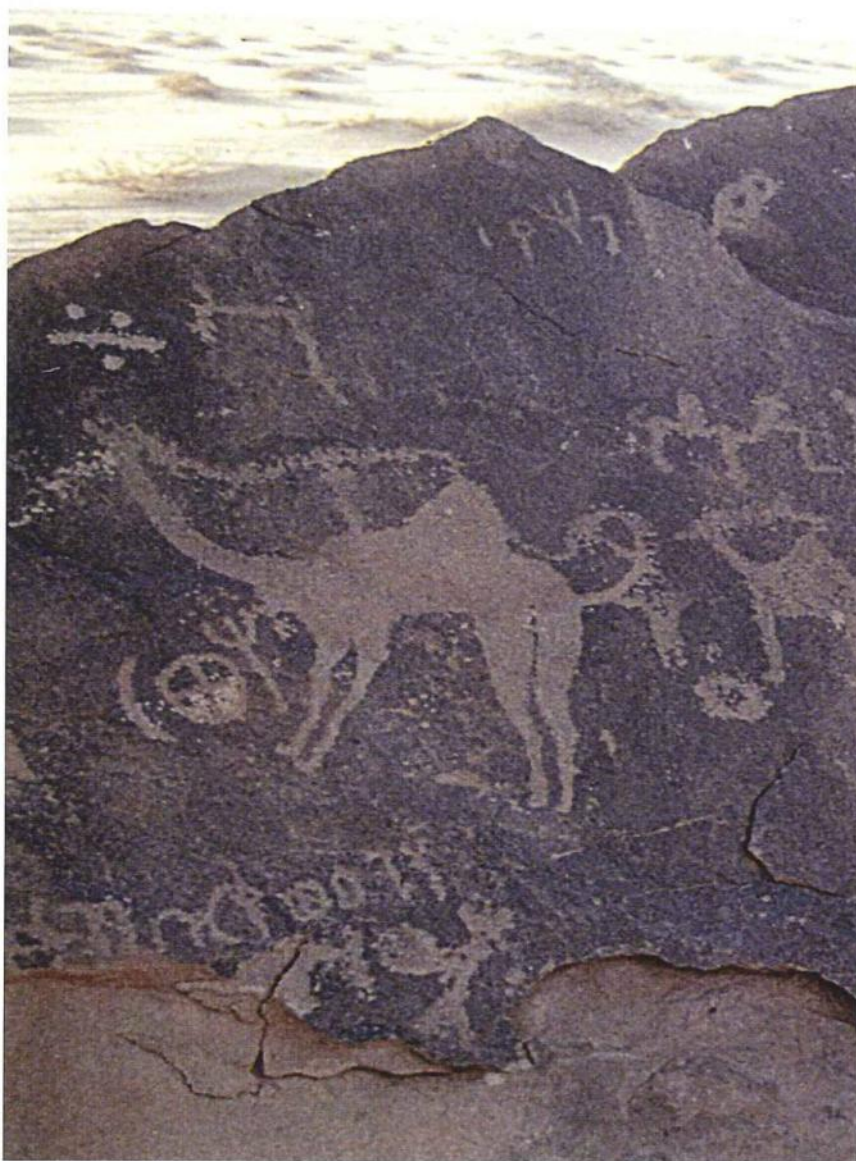
٣- ر أ ت ه / و و ل د ه و / و و ل د / و ل د ه م

٤- و ن س ي ه م / ح ر ي ر / ذ و أ ل / غ ل و ن / ذ ذ

... قبرا و (هو) له ولأولاده (لولده) وامراته وأحفاده (وأولاده وذرياتهم) وأحفاد أحفاده ونسائهم الحرائر من آل غلوان...

وعلى الرغم من أن المدافن التي تعود لفترة الممالك العربية، قد تعرضت للنهب والسلب، وعدم إشارة الأنصاري إلى الكيفية التي كان يقبر بها المتوفى في المقابر العامة، إلا أننا فهمنا أن إنسان عصور ما قبل التاريخ كان يضع متوفاه على هيئة القرفصاء على وضع الجنين في بطن أمه، بينما يكون رأس الجسد إلى الشمال، والجسد ملقى على الظهر، وذلك كما جاء في مقابر الثمامة (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ١٠١). أما في العصر التاريخي فكانت أحد الأوضاع هي اتجاه رأس المتوفى إلى الشمال الشرقي، بينما كانت السيقان متجهة إلى الجنوب الغربي، كما جاء في المقبرة الثالثة في موقع الأفلاج (انظر al- Saud, 1997, p.127).

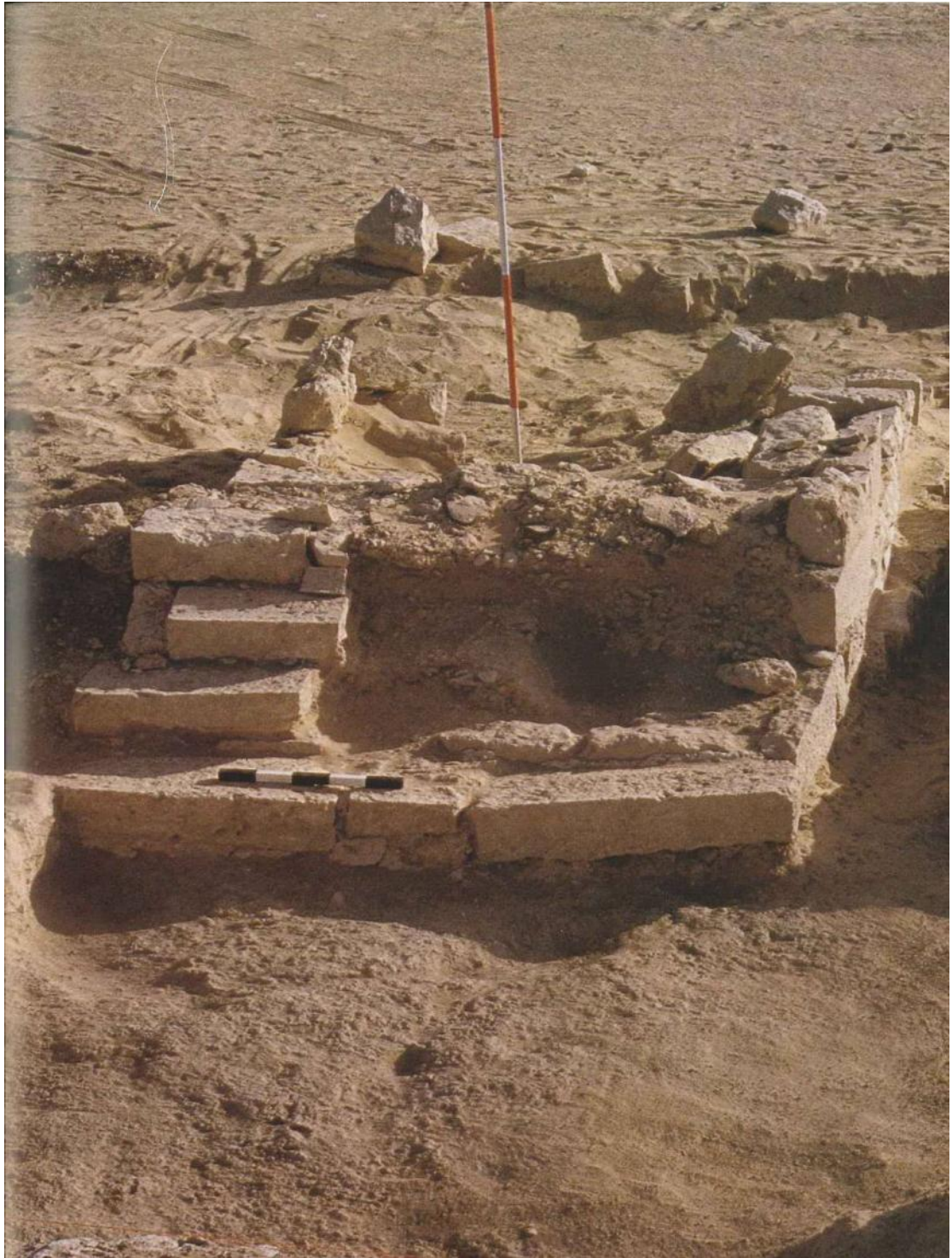
وأخيراً يجدر بنا الإشارة، نظراً لضخامة وحجم هذه المدافن التي ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ أو العصر التاريخي، إلى أن بعض هذا المدافن كان يشيّد قبل وفاة صاحبها، بل إن بعضها يكون معروّضاً للبيع، لهذا لا نستبعد -والحال كذلك- أن البعض كان يزاوّل مهنة حفر المدافن وإنشائها، لكن المدافن التي تأتي على هيئة لحد، فتعتقد أن حفرها يتم بعد الوفاة. وليس أدل على ذلك من نقش عجل بن هفعم (انظر ما سيأتي: الكتابة) الذي يكشف عن أن أهل قرية الفاو يبيعون ويشترون ويرهنون مدافنهم، تماماً كما عُرف عند معاصريهم الأنباط في شمال شبه الجزيرة العربية.





الفصل الخامس
المظاهر الحضارية





تمهيد :

يندر أن يخلو مجتمع متحضر ، يهدف إلى الحرية والاستقلال من الهيمنة الخارجية ، من وجود صناعة تتناسب ومستواه الحضاري لتوفر له العديد من المواد الضرورية ، التي لا يمكن الاستغناء عنها مثل الأسلحة وأدوات البناء والزراعة ، إضافة إلى الأدوات اللازمة للنشاطات الحياتية الأخرى. وهكذا كان مجتمع الرياض القديم ، فقد دلت معثوراته وأدواته على احتلال الصناعة مكانة واضحة من نشاطات الإنسان القديم فيها . واستناداً إلى طبيعة المعثورات التي وجدت وماهيتها ، فإن الصناعات تنقسم حسب مادتها الخام إلى ستة أنواع هي: الصناعات الحجرية ، والمعدنية ، والخشبية ، والجلدية ، والفخارية ، والطينية .

أولاً : الصناعات الحجرية :

هي الحرف التي تنتج الأدوات التي صنعها الإنسان القديم من مادة الحجر : الذي كان نقطة انطلاق واضحة فيما يتعلق بالثقافة الإنسانية . وكما يقول الصويان ، ١٩٩١م ، ص ١٠ : "لولا لبقي الإنسان سائحاً هائماً بدون أدوات ، يعيش على الظفر والثنايب كسائر الحيوانات" . ومن الواضح أن العلاقة الودية بين الحجر والإنسان ، لم تكن سهلة ، فقد مرت بمراحل متعددة حتى تمكن الإنسان القديم من فهم طبيعة الحجر ، وبالتالي تطويعه وترويضه لمصلحته . فالبدية بينهما كانت التقاط الإنسان القديم للحصاة المناسبة لغرضه من البيئة . ومع مرور الوقت ونمو علاقة الود والارتباط بينهما عرّف الإنسان خواص بعض الأحجار مثل الصوان (Flint) ، والظران (Chert) ، التي كانت تشطر في انكسارات منتظمة يسهل على الإنسان تكشيطها وتشطيتها ليصنع منها أدواته . والمعلوم أن التطور في هذه الصناعة استغرق وقتاً طويلاً جداً وصل أحياناً إلى عشرات ومئات آلاف من السنين للانتقال من مرحلة إلى أخرى . والغريب بالرغم من التطور الهائل الذي يعيشه إنسان عصرنا الحالي إلا أن علاقته بالحجر ما زالت قوية ؛ فما زال يستخدمه في البناء وبعض الصناعات الأخرى ذات العلاقة به ، بل إن بعض الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتي تعاني من الاحتلال والهيمنة الخارجية وجدت في الحجر أداة مقاومة ضد المحتل الأجنبي . تماماً كما فعل الإنسان القديم في محاربته ومجابهته مع الحيوانات المتوحشة آنذاك ، لهذا فالقول بأن الحجر صديق من صادقه وعدو من عاداه مقولة غير بعيدة عن الصواب .

وقد تعامل إنسان منطقة الرياض القديم مع الحجر بأسلوب نفسه والطريقة ذاتها التي تعامل بها الإنسان المعاصر له في مختلف بقاع المعمورة ، وتحديدًا العالم القديم . فقد نجح في بناء علاقة قوية مع أنواع الحجارة التي جاءت في بيئته مثل أحجار النابيس ، والإندسايت ، والكوارتزيت الحديدي ، واليازلت ، والحمم ، التي عُثر عليها في مواقع مختلفة من منطقة الرياض (الفزي ، ١٤١٩هـ ، ص ٣١) ؛ وأيضاً الكوارتزيت

والشيرات المعروفان في مواقع مثل ضرماء، وشقراء، والدوادمي (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص١٤؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص١٩)، وإضافة إلى هذه الأنواع من الحجارة فقد عُثر على الحجر الصابوني في عدد من المواقع، مثل مستوطنة البنة وموقعي حزم عقيلة والرغيب في محافظة الخرج (الغزي، ١٩٩٦م، ص٣٩؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص٥٦).

لكن العصر الحجري الحديث شهد تطوراً نوعياً في تعامل إنسان هذه المنطقة مع الحجر، فأضاف إلى حصيلته أنواعاً أخرى مثل الحجر البازلتي الأخضر وحجر الشيرت بألوانه البيضاء والصفراء، والبنية، وحجر الكوارتزيت الرقيق، والجرانيت، وأخيراً الزجاج البركاني (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص١٩؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص٣٥؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص٣٠، ٣٥). فاستفاد من هذه الأحجار المختلفة الأنواع، التي جادت بها بيئته في صناعة أدواته التي يحتاجها في تعاملاته الحياتية اليومية، وقد يسأل البعض كيف حدد الدارسون أن إنسان منطقة الرياض القديم قد صنع هذه الأدوات الحجرية؟ فتجيب بالقول: إن العثور على مخلفات التصنيع الدالة على هذه الصناعة في العديد من المواقع مثل مواقع ٤١-٤٢، ٤٣-٤٤، ٤٥-٤٨، ٤٩-٥٠، ٥١-٥٢، ٥٣-٥٤، ٥٥-٥٦، ٥٧-٥٨، ٥٩-٦٠، ٦١-٦٢، ٦٣-٦٤، ٦٥-٦٦، ٦٧-٦٨، ٦٩-٧٠، ٧١-٧٢، ٧٣-٧٤، ٧٥-٧٦، ٧٧-٧٨، ٧٩-٨٠، ٨١-٨٢، ٨٣-٨٤، ٨٥-٨٦، ٨٧-٨٨، ٨٩-٩٠، ٩١-٩٢، ٩٣-٩٤، ٩٥-٩٦، ٩٧-٩٨، ٩٩-١٠٠، ١٠١-١٠٢، ١٠٣-١٠٤، ١٠٥-١٠٦، ١٠٧-١٠٨، ١٠٩-١١٠، ١١١-١١٢، ١١٣-١١٤، ١١٥-١١٦، ١١٧-١١٨، ١١٩-١٢٠، ١٢١-١٢٢، ١٢٣-١٢٤، ١٢٥-١٢٦، ١٢٧-١٢٨، ١٢٩-١٣٠، ١٣١-١٣٢، ١٣٣-١٣٤، ١٣٥-١٣٦، ١٣٧-١٣٨، ١٣٩-١٤٠، ١٤١-١٤٢، ١٤٣-١٤٤، ١٤٥-١٤٦، ١٤٧-١٤٨، ١٤٩-١٥٠، ١٥١-١٥٢، ١٥٣-١٥٤، ١٥٥-١٥٦، ١٥٧-١٥٨، ١٥٩-١٦٠، ١٦١-١٦٢، ١٦٣-١٦٤، ١٦٥-١٦٦، ١٦٧-١٦٨، ١٦٩-١٧٠، ١٧١-١٧٢، ١٧٣-١٧٤، ١٧٥-١٧٦، ١٧٧-١٧٨، ١٧٩-١٨٠، ١٨١-١٨٢، ١٨٣-١٨٤، ١٨٥-١٨٦، ١٨٧-١٨٨، ١٨٩-١٩٠، ١٩١-١٩٢، ١٩٣-١٩٤، ١٩٥-١٩٦، ١٩٧-١٩٨، ١٩٩-٢٠٠، ٢٠١-٢٠٢، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٠٥-٢٠٦، ٢٠٧-٢٠٨، ٢٠٩-٢١٠، ٢١١-٢١٢، ٢١٣-٢١٤، ٢١٥-٢١٦، ٢١٧-٢١٨، ٢١٩-٢٢٠، ٢٢١-٢٢٢، ٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٥-٢٢٦، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٣١-٢٣٢، ٢٣٣-٢٣٤، ٢٣٥-٢٣٦، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٣٩-٢٤٠، ٢٤١-٢٤٢، ٢٤٣-٢٤٤، ٢٤٥-٢٤٦، ٢٤٧-٢٤٨، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٥١-٢٥٢، ٢٥٣-٢٥٤، ٢٥٥-٢٥٦، ٢٥٧-٢٥٨، ٢٥٩-٢٦٠، ٢٦١-٢٦٢، ٢٦٣-٢٦٤، ٢٦٥-٢٦٦، ٢٦٧-٢٦٨، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧١-٢٧٢، ٢٧٣-٢٧٤، ٢٧٥-٢٧٦، ٢٧٧-٢٧٨، ٢٧٩-٢٨٠، ٢٨١-٢٨٢، ٢٨٣-٢٨٤، ٢٨٥-٢٨٦، ٢٨٧-٢٨٨، ٢٨٩-٢٩٠، ٢٩١-٢٩٢، ٢٩٣-٢٩٤، ٢٩٥-٢٩٦، ٢٩٧-٢٩٨، ٢٩٩-٣٠٠، ٣٠١-٣٠٢، ٣٠٣-٣٠٤، ٣٠٥-٣٠٦، ٣٠٧-٣٠٨، ٣٠٩-٣١٠، ٣١١-٣١٢، ٣١٣-٣١٤، ٣١٥-٣١٦، ٣١٧-٣١٨، ٣١٩-٣٢٠، ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٣-٣٢٤، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٢٧-٣٢٨، ٣٢٩-٣٣٠، ٣٣١-٣٣٢، ٣٣٣-٣٣٤، ٣٣٥-٣٣٦، ٣٣٧-٣٣٨، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٤١-٣٤٢، ٣٤٣-٣٤٤، ٣٤٥-٣٤٦، ٣٤٧-٣٤٨، ٣٤٩-٣٥٠، ٣٥١-٣٥٢، ٣٥٣-٣٥٤، ٣٥٥-٣٥٦، ٣٥٧-٣٥٨، ٣٥٩-٣٦٠، ٣٦١-٣٦٢، ٣٦٣-٣٦٤، ٣٦٥-٣٦٦، ٣٦٧-٣٦٨، ٣٦٩-٣٧٠، ٣٧١-٣٧٢، ٣٧٣-٣٧٤، ٣٧٥-٣٧٦، ٣٧٧-٣٧٨، ٣٧٩-٣٨٠، ٣٨١-٣٨٢، ٣٨٣-٣٨٤، ٣٨٥-٣٨٦، ٣٨٧-٣٨٨، ٣٨٩-٣٩٠، ٣٩١-٣٩٢، ٣٩٣-٣٩٤، ٣٩٥-٣٩٦، ٣٩٧-٣٩٨، ٣٩٩-٤٠٠، ٤٠١-٤٠٢، ٤٠٣-٤٠٤، ٤٠٥-٤٠٦، ٤٠٧-٤٠٨، ٤٠٩-٤١٠، ٤١١-٤١٢، ٤١٣-٤١٤، ٤١٥-٤١٦، ٤١٧-٤١٨، ٤١٩-٤٢٠، ٤٢١-٤٢٢، ٤٢٣-٤٢٤، ٤٢٥-٤٢٦، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٢٩-٤٣٠، ٤٣١-٤٣٢، ٤٣٣-٤٣٤، ٤٣٥-٤٣٦، ٤٣٧-٤٣٨، ٤٣٩-٤٤٠، ٤٤١-٤٤٢، ٤٤٣-٤٤٤، ٤٤٥-٤٤٦، ٤٤٧-٤٤٨، ٤٤٩-٤٥٠، ٤٥١-٤٥٢، ٤٥٣-٤٥٤، ٤٥٥-٤٥٦، ٤٥٧-٤٥٨، ٤٥٩-٤٦٠، ٤٦١-٤٦٢، ٤٦٣-٤٦٤، ٤٦٥-٤٦٦، ٤٦٧-٤٦٨، ٤٦٩-٤٧٠، ٤٧١-٤٧٢، ٤٧٣-٤٧٤، ٤٧٥-٤٧٦، ٤٧٧-٤٧٨، ٤٧٩-٤٨٠، ٤٨١-٤٨٢، ٤٨٣-٤٨٤، ٤٨٥-٤٨٦، ٤٨٧-٤٨٨، ٤٨٩-٤٩٠، ٤٩١-٤٩٢، ٤٩٣-٤٩٤، ٤٩٥-٤٩٦، ٤٩٧-٤٩٨، ٤٩٩-٥٠٠، ٥٠١-٥٠٢، ٥٠٣-٥٠٤، ٥٠٥-٥٠٦، ٥٠٧-٥٠٨، ٥٠٩-٥١٠، ٥١١-٥١٢، ٥١٣-٥١٤، ٥١٥-٥١٦، ٥١٧-٥١٨، ٥١٩-٥٢٠، ٥٢١-٥٢٢، ٥٢٣-٥٢٤، ٥٢٥-٥٢٦، ٥٢٧-٥٢٨، ٥٢٩-٥٣٠، ٥٣١-٥٣٢، ٥٣٣-٥٣٤، ٥٣٥-٥٣٦، ٥٣٧-٥٣٨، ٥٣٩-٥٤٠، ٥٤١-٥٤٢، ٥٤٣-٥٤٤، ٥٤٥-٥٤٦، ٥٤٧-٥٤٨، ٥٤٩-٥٥٠، ٥٥١-٥٥٢، ٥٥٣-٥٥٤، ٥٥٥-٥٥٦، ٥٥٧-٥٥٨، ٥٥٩-٥٦٠، ٥٦١-٥٦٢، ٥٦٣-٥٦٤، ٥٦٥-٥٦٦، ٥٦٧-٥٦٨، ٥٦٩-٥٧٠، ٥٧١-٥٧٢، ٥٧٣-٥٧٤، ٥٧٥-٥٧٦، ٥٧٧-٥٧٨، ٥٧٩-٥٨٠، ٥٨١-٥٨٢، ٥٨٣-٥٨٤، ٥٨٥-٥٨٦، ٥٨٧-٥٨٨، ٥٨٩-٥٩٠، ٥٩١-٥٩٢، ٥٩٣-٥٩٤، ٥٩٥-٥٩٦، ٥٩٧-٥٩٨، ٥٩٩-٦٠٠، ٦٠١-٦٠٢، ٦٠٣-٦٠٤، ٦٠٥-٦٠٦، ٦٠٧-٦٠٨، ٦٠٩-٦١٠، ٦١١-٦١٢، ٦١٣-٦١٤، ٦١٥-٦١٦، ٦١٧-٦١٨، ٦١٩-٦٢٠، ٦٢١-٦٢٢، ٦٢٣-٦٢٤، ٦٢٥-٦٢٦، ٦٢٧-٦٢٨، ٦٢٩-٦٣٠، ٦٣١-٦٣٢، ٦٣٣-٦٣٤، ٦٣٥-٦٣٦، ٦٣٧-٦٣٨، ٦٣٩-٦٤٠، ٦٤١-٦٤٢، ٦٤٣-٦٤٤، ٦٤٥-٦٤٦، ٦٤٧-٦٤٨، ٦٤٩-٦٥٠، ٦٥١-٦٥٢، ٦٥٣-٦٥٤، ٦٥٥-٦٥٦، ٦٥٧-٦٥٨، ٦٥٩-٦٦٠، ٦٦١-٦٦٢، ٦٦٣-٦٦٤، ٦٦٥-٦٦٦، ٦٦٧-٦٦٨، ٦٦٩-٦٧٠، ٦٧١-٦٧٢، ٦٧٣-٦٧٤، ٦٧٥-٦٧٦، ٦٧٧-٦٧٨، ٦٧٩-٦٨٠، ٦٨١-٦٨٢، ٦٨٣-٦٨٤، ٦٨٥-٦٨٦، ٦٨٧-٦٨٨، ٦٨٩-٦٩٠، ٦٩١-٦٩٢، ٦٩٣-٦٩٤، ٦٩٥-٦٩٦، ٦٩٧-٦٩٨، ٦٩٩-٧٠٠، ٧٠١-٧٠٢، ٧٠٣-٧٠٤، ٧٠٥-٧٠٦، ٧٠٧-٧٠٨، ٧٠٩-٧١٠، ٧١١-٧١٢، ٧١٣-٧١٤، ٧١٥-٧١٦، ٧١٧-٧١٨، ٧١٩-٧٢٠، ٧٢١-٧٢٢، ٧٢٣-٧٢٤، ٧٢٥-٧٢٦، ٧٢٧-٧٢٨، ٧٢٩-٧٣٠، ٧٣١-٧٣٢، ٧٣٣-٧٣٤، ٧٣٥-٧٣٦، ٧٣٧-٧٣٨، ٧٣٩-٧٤٠، ٧٤١-٧٤٢، ٧٤٣-٧٤٤، ٧٤٥-٧٤٦، ٧٤٧-٧٤٨، ٧٤٩-٧٥٠، ٧٥١-٧٥٢، ٧٥٣-٧٥٤، ٧٥٥-٧٥٦، ٧٥٧-٧٥٨، ٧٥٩-٧٦٠، ٧٦١-٧٦٢، ٧٦٣-٧٦٤، ٧٦٥-٧٦٦، ٧٦٧-٧٦٨، ٧٦٩-٧٧٠، ٧٧١-٧٧٢، ٧٧٣-٧٧٤، ٧٧٥-٧٧٦، ٧٧٧-٧٧٨، ٧٧٩-٧٨٠، ٧٨١-٧٨٢، ٧٨٣-٧٨٤، ٧٨٥-٧٨٦، ٧٨٧-٧٨٨، ٧٨٩-٧٩٠، ٧٩١-٧٩٢، ٧٩٣-٧٩٤، ٧٩٥-٧٩٦، ٧٩٧-٧٩٨، ٧٩٩-٨٠٠، ٨٠١-٨٠٢، ٨٠٣-٨٠٤، ٨٠٥-٨٠٦، ٨٠٧-٨٠٨، ٨٠٩-٨١٠، ٨١١-٨١٢، ٨١٣-٨١٤، ٨١٥-٨١٦، ٨١٧-٨١٨، ٨١٩-٨٢٠، ٨٢١-٨٢٢، ٨٢٣-٨٢٤، ٨٢٥-٨٢٦، ٨٢٧-٨٢٨، ٨٢٩-٨٣٠، ٨٣١-٨٣٢، ٨٣٣-٨٣٤، ٨٣٥-٨٣٦، ٨٣٧-٨٣٨، ٨٣٩-٨٤٠، ٨٤١-٨٤٢، ٨٤٣-٨٤٤، ٨٤٥-٨٤٦، ٨٤٧-٨٤٨، ٨٤٩-٨٥٠، ٨٥١-٨٥٢، ٨٥٣-٨٥٤، ٨٥٥-٨٥٦، ٨٥٧-٨٥٨، ٨٥٩-٨٦٠، ٨٦١-٨٦٢، ٨٦٣-٨٦٤، ٨٦٥-٨٦٦، ٨٦٧-٨٦٨، ٨٦٩-٨٧٠، ٨٧١-٨٧٢، ٨٧٣-٨٧٤، ٨٧٥-٨٧٦، ٨٧٧-٨٧٨، ٨٧٩-٨٨٠، ٨٨١-٨٨٢، ٨٨٣-٨٨٤، ٨٨٥-٨٨٦، ٨٨٧-٨٨٨، ٨٨٩-٨٩٠، ٨٩١-٨٩٢، ٨٩٣-٨٩٤، ٨٩٥-٨٩٦، ٨٩٧-٨٩٨، ٨٩٩-٩٠٠، ٩٠١-٩٠٢، ٩٠٣-٩٠٤، ٩٠٥-٩٠٦، ٩٠٧-٩٠٨، ٩٠٩-٩١٠، ٩١١-٩١٢، ٩١٣-٩١٤، ٩١٥-٩١٦، ٩١٧-٩١٨، ٩١٩-٩٢٠، ٩٢١-٩٢٢، ٩٢٣-٩٢٤، ٩٢٥-٩٢٦، ٩٢٧-٩٢٨، ٩٢٩-٩٣٠، ٩٣١-٩٣٢، ٩٣٣-٩٣٤، ٩٣٥-٩٣٦، ٩٣٧-٩٣٨، ٩٣٩-٩٤٠، ٩٤١-٩٤٢، ٩٤٣-٩٤٤، ٩٤٥-٩٤٦، ٩٤٧-٩٤٨، ٩٤٩-٩٥٠، ٩٥١-٩٥٢، ٩٥٣-٩٥٤، ٩٥٥-٩٥٦، ٩٥٧-٩٥٨، ٩٥٩-٩٦٠، ٩٦١-٩٦٢، ٩٦٣-٩٦٤، ٩٦٥-٩٦٦، ٩٦٧-٩٦٨، ٩٦٩-٩٧٠، ٩٧١-٩٧٢، ٩٧٣-٩٧٤، ٩٧٥-٩٧٦، ٩٧٧-٩٧٨، ٩٧٩-٩٨٠، ٩٨١-٩٨٢، ٩٨٣-٩٨٤، ٩٨٥-٩٨٦، ٩٨٧-٩٨٨، ٩٨٩-٩٩٠، ٩٩١-٩٩٢، ٩٩٣-٩٩٤، ٩٩٥-٩٩٦، ٩٩٧-٩٩٨، ٩٩٩-١٠٠٠، ١٠٠١-١٠٠٢، ١٠٠٣-١٠٠٤، ١٠٠٥-١٠٠٦، ١٠٠٧-١٠٠٨، ١٠٠٩-١٠١٠، ١٠١١-١٠١٢، ١٠١٣-١٠١٤، ١٠١٥-١٠١٦، ١٠١٧-١٠١٨، ١٠١٩-١٠٢٠، ١٠٢١-١٠٢٢، ١٠٢٣-١٠٢٤، ١٠٢٥-١٠٢٦، ١٠٢٧-١٠٢٨، ١٠٢٩-١٠٣٠، ١٠٣١-١٠٣٢، ١٠٣٣-١٠٣٤، ١٠٣٥-١٠٣٦، ١٠٣٧-١٠٣٨، ١٠٣٩-١٠٤٠، ١٠٤١-١٠٤٢، ١٠٤٣-١٠٤٤، ١٠٤٥-١٠٤٦، ١٠٤٧-١٠٤٨، ١٠٤٩-١٠٥٠، ١٠٥١-١٠٥٢، ١٠٥٣-١٠٥٤، ١٠٥٥-١٠٥٦، ١٠٥٧-١٠٥٨، ١٠٥٩-١٠٦٠، ١٠٦١-١٠٦٢، ١٠٦٣-١٠٦٤، ١٠٦٥-١٠٦٦، ١٠٦٧-١٠٦٨، ١٠٦٩-١٠٧٠، ١٠٧١-١٠٧٢، ١٠٧٣-١٠٧٤، ١٠٧٥-١٠٧٦، ١٠٧٧-١٠٧٨، ١٠٧٩-١٠٨٠، ١٠٨١-١٠٨٢، ١٠٨٣-١٠٨٤، ١٠٨٥-١٠٨٦، ١٠٨٧-١٠٨٨، ١٠٨٩-١٠٩٠، ١٠٩١-١٠٩٢، ١٠٩٣-١٠٩٤، ١٠٩٥-١٠٩٦، ١٠٩٧-١٠٩٨، ١٠٩٩-١١٠٠، ١١٠١-١١٠٢، ١١٠٣-١١٠٤، ١١٠٥-١١٠٦، ١١٠٧-١١٠٨، ١١٠٩-١١١٠، ١١١١-١١١٢، ١١١٣-١١١٤، ١١١٥-١١١٦، ١١١٧-١١١٨، ١١١٩-١١٢٠، ١١٢١-١١٢٢، ١١٢٣-١١٢٤، ١١٢٥-١١٢٦، ١١٢٧-١١٢٨، ١١٢٩-١١٣٠، ١١٣١-١١٣٢، ١١٣٣-١١٣٤، ١١٣٥-١١٣٦، ١١٣٧-١١٣٨، ١١٣٩-١١٤٠، ١١٤١-١١٤٢، ١١٤٣-١١٤٤، ١١٤٥-١١٤٦، ١١٤٧-١١٤٨، ١١٤٩-١١٥٠، ١١٥١-١١٥٢، ١١٥٣-١١٥٤، ١١٥٥-١١٥٦، ١١٥٧-١١٥٨، ١١٥٩-١١٦٠، ١١٦١-١١٦٢، ١١٦٣-١١٦٤، ١١٦٥-١١٦٦، ١١٦٧-١١٦٨، ١١٦٩-١١٧٠، ١١٧١-١١٧٢، ١١٧٣-١١٧٤، ١١٧٥-١١٧٦، ١١٧٧-١١٧٨، ١١٧٩-١١٨٠، ١١٨١-١١٨٢، ١١٨٣-١١٨٤، ١١٨٥-١١٨٦، ١١٨٧-١١٨٨، ١١٨٩-١١٩٠، ١١٩١-١١٩٢، ١١٩٣-١١٩٤، ١١٩٥-١١٩٦، ١١٩٧-١١٩٨، ١١٩٩-١٢٠٠، ١٢٠١-١٢٠٢، ١٢٠٣-١٢٠٤، ١٢٠٥-١٢٠٦، ١٢٠٧-١٢٠٨، ١٢٠٩-١٢١٠، ١٢١١-١٢١٢، ١٢١٣-١٢١٤، ١٢١٥-١٢١٦، ١٢١٧-١٢١٨، ١٢١٩-١٢٢٠، ١٢٢١-١٢٢٢، ١٢٢٣-١٢٢٤، ١٢٢٥-١٢٢٦، ١٢٢٧-١٢٢٨، ١٢٢٩-١٢٣٠، ١٢٣١-١٢٣٢، ١٢٣٣-١٢٣٤، ١٢٣٥-١٢٣٦، ١٢٣٧-١٢٣٨، ١٢٣٩-١٢٤٠، ١٢٤١-١٢٤٢، ١٢٤٣-١٢٤٤، ١٢٤٥-١٢٤٦، ١٢٤٧-١٢٤٨، ١٢٤٩-١٢٥٠، ١٢٥١-١٢٥٢، ١٢٥٣-١٢٥٤، ١٢٥٥-١٢٥٦، ١٢٥٧-١٢٥٨، ١٢٥٩-١٢٦٠، ١٢٦١-١٢٦٢، ١٢٦٣-١٢٦٤، ١٢٦٥-١٢٦٦، ١٢٦٧-١٢٦٨، ١٢٦٩-١٢٧٠، ١٢٧١-١٢٧٢، ١٢٧٣-١٢٧٤، ١٢٧٥-١٢٧٦، ١٢٧٧-١٢٧٨، ١٢٧٩-١٢٨٠، ١٢٨١-١٢٨٢، ١٢٨٣-١٢٨٤، ١٢٨٥-١٢٨٦، ١٢٨٧-١٢٨٨، ١٢٨٩-١٢٩٠، ١٢٩١-١٢٩٢، ١٢٩٣-١٢٩٤، ١٢٩٥-١٢٩٦، ١٢٩٧-١٢٩٨، ١٢٩٩-١٣٠٠، ١٣٠١-١٣٠٢، ١٣٠٣-١٣٠٤، ١٣٠٥-١٣٠٦، ١٣٠٧-١٣٠٨، ١٣٠٩-١٣١٠، ١٣١١-١٣١٢، ١٣١٣-١٣١٤، ١٣١٥-١٣١٦، ١٣١٧-١٣١٨، ١٣١٩-١٣٢٠، ١٣٢١-١٣٢٢، ١٣٢٣-١٣٢٤، ١٣٢٥-١٣٢٦، ١٣٢٧-١٣٢٨، ١٣٢٩-١٣٣٠، ١٣٣١-١٣٣٢، ١٣٣٣-١٣٣٤، ١٣٣٥-١٣٣٦، ١٣٣٧-١٣٣٨، ١٣٣٩-١٣٤٠، ١٣٤١-١٣٤٢، ١٣٤٣-١٣٤٤، ١٣٤٥-١٣٤٦، ١٣٤٧-١٣٤٨، ١٣٤٩-١٣٥٠، ١٣٥١-١٣٥٢، ١٣٥٣-١٣٥٤، ١٣٥٥-١٣٥٦، ١٣٥٧-١٣٥٨، ١٣٥٩-١٣٦٠، ١٣٦١-١٣٦٢، ١٣٦٣-١٣٦٤، ١٣٦٥-١٣٦٦، ١٣٦٧-١٣٦٨، ١٣٦٩-١٣٧٠، ١٣٧١-١٣٧٢، ١٣٧٣-١٣٧٤، ١٣٧٥-١٣٧٦، ١٣٧٧-١٣٧٨، ١٣٧٩-١٣٨٠، ١٣٨١-١٣٨٢، ١٣٨٣-١٣٨٤، ١٣٨٥-١٣٨٦، ١٣٨٧-١٣٨٨، ١٣٨٩-١٣٩٠، ١٣٩١-١٣٩٢، ١٣٩٣-١٣٩٤، ١٣٩٥-١٣٩٦، ١٣٩٧-١٣٩٨، ١٣٩٩-١٤٠٠، ١٤٠١-١٤٠٢، ١٤٠٣-١٤٠٤، ١٤٠٥-١٤٠٦، ١٤٠٧-١٤٠٨، ١٤٠٩-١٤١٠، ١٤١١-١٤١٢، ١٤١٣-١٤١٤، ١٤١٥-١٤١٦، ١٤١٧-١٤١٨، ١٤١٩-١٤٢٠، ١٤٢١-١٤٢٢، ١٤٢٣-١٤٢٤، ١٤٢٥-١٤٢٦، ١٤٢٧-١٤٢٨، ١٤٢٩-١٤٣٠، ١٤٣١-١٤٣٢، ١٤٣٣-١٤٣٤، ١٤٣٥-١٤٣٦، ١٤٣٧-١٤٣٨، ١٤٣٩-١٤٤٠، ١٤٤١-١٤٤٢، ١٤٤٣-١٤٤٤، ١٤٤٥-١٤٤٦، ١٤٤٧-١٤٤٨، ١٤٤٩-١٤٥٠، ١٤٥١-١٤٥٢، ١٤٥٣-١٤٥٤، ١٤٥٥-١٤٥٦، ١٤٥٧-١٤٥٨، ١٤٥٩-١٤٦٠، ١٤٦١-١٤٦٢، ١٤٦٣-١٤٦٤، ١٤٦٥-١٤٦٦، ١٤٦٧-١٤٦٨، ١٤٦٩-١٤٧٠، ١٤٧١-١٤٧٢، ١٤٧٣-١٤٧٤، ١٤٧٥-١٤٧٦، ١٤٧٧-١٤٧٨، ١٤٧٩-١٤٨٠، ١٤٨١-١٤٨٢، ١٤٨٣-١٤٨٤، ١٤٨٥-١٤٨٦، ١٤٨٧-١٤٨٨، ١٤٨٩-١٤٩٠، ١٤٩١-١٤٩٢، ١٤٩٣-١٤٩٤، ١٤٩٥-١٤٩٦، ١٤٩٧-١٤٩٨، ١٤٩٩-١٥٠٠، ١٥٠١-١٥٠٢، ١٥٠٣-١٥٠٤، ١٥٠٥-١٥٠٦، ١٥٠٧-١٥٠٨، ١٥٠٩-١٥١٠، ١٥١١-١٥١٢، ١٥١٣-١



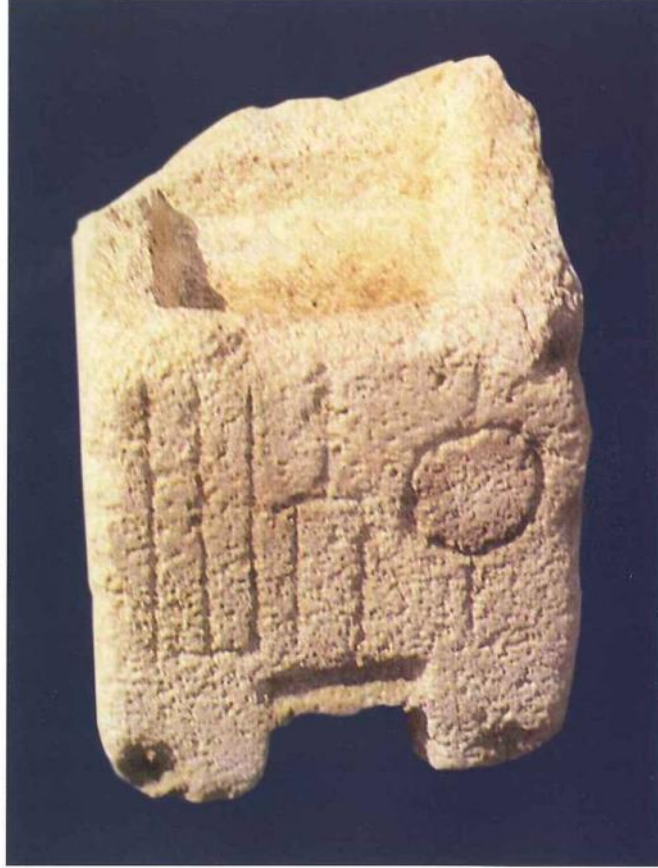
أدوات حجرية من موقع الخيس
آثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ٣٨

- ١ - تكسير العظام الكبيرة الصلبة، وذلك باستخدام القواطع والنوى والأدوات المتعددة الأسطح.
- ٢ - معالجة الجلود باستخدام المكاشط المقوسة والسكاكين.
- ٣ - الجرش والطحن عن طريق الرحى.
- ٤ - تقطيع اللحوم بالاستفادة من الفؤوس والسواطير والسكاكين.
- ٥ - استخلاص الزيوت عن طريق استعمال الرحى.
- ٦ - معالجة الأخشاب والعظام باستعمال المكاشط المستقيمة والمقعدة والمثاقب.
- ٧ - زراعة النباتات وتجهيزها عن طريق المعاول وأدوات أخرى.
- ٨ - الصيد باستعمال رؤوس السهام والسهام والفؤوس.

وهكذا لم يكن تعدد أنواع هذه الأدوات أسمائها عبثاً أو عن طريق الصدفة، بل كان لكل أداة مهمة ووظيفة، أو مهمات ووظائف، محددة ذات قيمة واضحة عند إنسان ذلك العصر الحجري المتعدد الأطوار. وإضافة إلى هذه المهام والوظائف، فقد استخدم الحجر في بناء المقابر الركامية (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٩؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٣)، والأشكال والمنشآت المدببة (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٠)، والقبور المشيدة التي كانت تشيد من حجرة مبنية من الحجر المرصوص كما في قبور هضبة القصيعة (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٩-٣٠؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٦٥)، وأخيراً استخدامه لبناء المنازل البدائية (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ٩٧).

ويمرور الزمن تبين للإنسان أهمية الحجر فأدخله منذ بداية النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد في العديد من الأدوات والأغراض المنزلية وغيرها، فعلى سبيل المثال عُثر على الحجر مستخدماً في عمل الدكاك الحجرية ككراسي وأسرة النوم، وعتبات الأبواب كما جاء في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ١٢)، إضافة إلى أغراض المسكن الأخرى مثل القدور المصنوعة في الفاو من الحجر الصابوني (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٢)، والكؤوس المصنوعة من الحجر الرملي، والمكاحل، والمسارج التي جاءت أيضاً من قرية الفاو (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٥٣)، والزبديات، والهاون كما في الأفلاج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٤٠)، وقد جاء بعض هذه الزبديات مصنوعة من الحجر الصابوني في موقع ٢٠٧-٧٢، بوادي حرض (الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠)، إضافة إلى أدوات أخرى من المرمر والحجر الصابوني (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٤). كما طُوِّع إنسان الرياض القديم الحجر وصنع منه مباخر صغيرة لاستعمالها في حياته اليومية؛ خاصة في منازلهم لغرض التطيب، كما صنع منه مجامر ومباخر أكبر حجماً لوضعها في معابده لحرق البخور؛ إذ عُثر في موقع قرية الفاو على أعداد من تلك المجامر بأحجام وأشكال مختلفة. وقد جاء الحجر مستخدماً في بناء المسكن نفسه، فقد عُثر على عُرف كاملة مثل غرف موقع ٢٠٧-٣٠ المشيدة من الحجارة الكلسية (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٣)، أو من الحجارة الجيرية كما في موقع ٢٠٧-٢٤، الذي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٥). وكما كان للسكن نصيب الأسد في أدواته وبنائه من الحجر، فقد كان ذلك أيضاً واضحاً في المعابد، فمثلاً معبداً "عبط" و"سن" و"شمس" في قرية الفاو شيداً كاملاً من الحجارة المصقولة (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٤)، وبالنسبة للأدوات فهناك أحواض الماء والمذابح ولوحات التأسيس والمباخر وغيرها، والمباخر إضافة إلى أنها عُرفت أيضاً في قرية الفاو (التمامي، ١٩٨٩هـ)، فقد وجدت أيضاً في موقع بالأفلاج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٤١). أما في المدافن فكان الحجر ظاهراً بشكل واضح، فقد استخدم في شواهد القبور والتمائيل (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٣، ٢٧).

وأخيراً استعمل الحجر لكتابة النصوص التذكارية مثل النقش الثمودي المكتوب على لوح حجري صغير عُثر عليه في الثمامة (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ٩٨)، والنقوش الأخرى التي جاءت من قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٣).



مبكرة من موقع الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

ثانياً: الصناعات المعدنية:

دخل المعدن في العديد من أدوات إنسان منطقة الرياض وحاجياته منذ وقت طويل، وذلك في أوائل الألف الأول قبل الميلاد. ولدينا دليلان مهمان يشيران إشارة واضحة إلى ظهور صناعات نحاسية، وإن كانت بدائية في البداية، ويتمثل الدليل الأول في قطعة صغيرة من الخبث عُثر عليها في موقع ٢٠٧-١٠٢ برمال عرق بنبان (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٤؛ زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠؛ الأمين ٢٠٠٣م، ص ٣٠؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٣٠). وجاء الدليل الثاني من الخماسين حين وجد الفريق الأثري مخلفات نتجت عن صهر المعادن (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٤). وهكذا بدأ المعدن يحل تدريجياً محل الحجر الذي كان المادة الأساسية لأدوات إنسان ذلك العصر، فجاءت العديد من الأغراض والحاجيات اليومية مصنوعة من: الحديد والنحاس والبرونز، فصنع الأسلحة (انظر أعلاه: الأسلحة)، والتمائيل المعدنية، والتي كانت على نوعين: آدمي وحيواني. وقد عُثر على ثلاثة تماثيل كاملة من النوع الأول إضافة إلى أجزاء مختلفة من تماثيل محطمة، كانت عبارة عن قدمين وذراعين وقبضتين ليدين، جميعها مصنوعة من معدن البرونز، أما النوع الثاني وهي التماثيل الحيوانية فبلغ عددها أربعة تماثيل مصنوعة أيضاً من البرونز (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٥-٢٧). وهناك أيضاً القدور والسكاكين وأغماد الخناجر والإبر والمخاييط والمراد والمفاتيح ومقابض الأواني ودبابيس صغيرة وأساور. ولعل أهم ما عُثر عليه في قرية الفاو هو جزء كأس من الفضة ومسرجة من البرونز، وعيار وزن (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٣٨). كما كشفت الدراسات الأثرية لعدد من المواقع عن أغراض مصنوعة من المعدن، مثل المسمار النحاسي الصغير الذي عُثر عليه في موقع ٢١٢-٢٢ بالخرج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٠)، والأختام التي وجد أحدها في محافظة الأفلاج، وهو مصنوع من الرصاص (al- Saud, 1997, pp.175-6, 379- 80). أما بقية هذه الأختام التي استخدم في صناعتها معدن الفضة والبرونز، فقد جاءت من موقع الخضرمة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٢١). نجد أيضاً المسكوكات التي كان بعضها مصنوعاً من النحاس مثل العملة الرومانية المتأكلة التي جاءتنا من موقع ٢٠٧-١١٤ (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٢)، وبعضها مصنوعاً من الفضة والبرونز مثل مسكوكتي موقع البنة (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٥٦)، ومسكوكات موقعي قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨)، والسيح بالأفلاج، التي بلغ عددها ثلاث عشرة مسكوكة (al- Saud, 1997, pp.171- 3, 354- 77). وهذه العملات إما أنها كانت محلية الصنع، كما في موقع قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨)، حيث كانت تحمل على أحد وجهيها اسم المعبود كهل؛ وعلى الوجه الآخر شخصاً واقفاً أو جالساً تحيط به أحرف بالقلم المسند؛ أو أنها كانت مجلوبة من أماكن أخرى مثل مسكوكات موقع مطار الملك خالد (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٢)، أو مسكوكات موقع السيح بالأفلاج، التي تؤرخ للقرن الرابع قبل



عملات مختلفة في قرية الفاو
أثار منطقة، ٢٠٠٣ م، ص ١٢٩

الميلاد (al- Saud, 1997, p.17). وتعتبر هذه العملات الأخيرة دليلاً واضحاً على وجود علاقات تجارية واقتصادية مع مناطق أخرى من خارج شبه الجزيرة العربية خلال الفترة المعروفة بالهلينستية (الممالك العربية)، وعلى الأهمية التجارية والاقتصادية للمنطقة التي وُجدت فيها هذه العملات.

ثالثاً: الصناعات الخشبية:

كان للخشب دور واضح في حياة إنسان الرياض القديم، بحيث زادت أهميته ومجالات استخدامه في المنطقة فيما يبدو خلال منتصف الألف الأول قبل الميلاد، فاستعمله في أسقف المساكن كما في موقع حزم عقيلة، ٢٠٧-٢٦ (طيران، ٢٠٠٦ م، ص ٥٣). ومما يدل على هذه المعرفة، الأبواب المصنوعة من الخشب في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢ م، ص ١٣)، وأجزاء من موازين ومزاليج أبواب، وأمشاط، وتوابيت، وأدوات غزل ونسيج، كلها صنعت من الخشب. وجاء من الموقع نفسه جسماً إناء مصنوعان من لحاء الشجر عليهما زخارف نباتية محفورة بألوان متعددة (الأنصاري، ١٩٨٢ م، ص ٢٨)، إضافة إلى استعماله للخشب في صنع أثاثه الجنائزي، وخاصة خشب الصندل الذي كان يستورد من الهند.

ويبدو لنا أن الخشب كان مستخدماً، ولو على نطاق ضيق قبل هذا التاريخ، في منطقة الرياض، فالرسومات الصخرية التي عُثر عليها في محيط المنطقة، مثل المنظر الذي يظهر فيه شخص يحمل عصا، والمرسوم على صخرة تقع جنوب الرياض بنحو مئة كيل (طيران، ٢٠٠٦ م، ص ٤٥)، والرسم الصخري الآخر لكؤوس رسمت بجانب رسم لحيوان صغير بوادي مأسل موقع ٢٠٦-٥٧، (زارينس وآخرون، ١٩٨٠ م، ص ٣٢)، ورسومات الأقواس، وعصا السهام الطويلة المنتشرة في الرسومات الصخرية، كلها تشهد على معرفة إنسان المنطقة للخشب وتعامله معه. ولعلنا أخيراً نشير إلى السكاكين التي عُثر عليها في المنطقة مصنوعة من الخشب المتحجر (انظر بهذا الخصوص طيران، ٢٠٠٦ م، ص ٤٣).

رابعاً: الصناعات الجلدية:

المعلوم أن هذه الصناعة تزدهر عند توفر مصدر الجلود وهي الحيوانات (انظر أدناه: الرعي)، التي تدل عظامها المكتشفة أثرياً ورسوماتها الصخرية على علاقة إنسان منطقة الرياض القوية بالحيوان. وتعود هذه العلاقة إلى بدء استيطانه، سواء كانت هذه العلاقة للاستفادة من لحومها وجلودها، أو لاستخدامها لأغراض أخرى. والجلود تؤخذ من الحيوانات التي يأكل الإنسان لحومها، مثل: الماعز، والضأن، والبقر، والإبل، والخيول، أو الحيوانات المتوحشة مثل: الوعول، الخنازير والأسود.

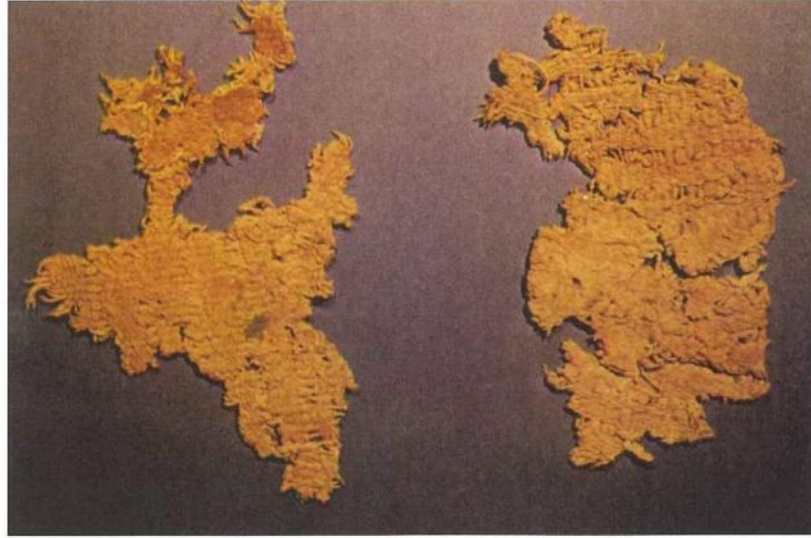
والجلود مصدر مهم في صناعة الملابس والخفوف، وليس أدل من تعامل الإنسان آنذاك مع الجلود كما نشاهد ذلك في رسوماته للأقواس، وهي -كما نعلم- تصنع من الجلود، وأدوات الأقواس مثل المكاشط المقوسة والسكاكين في عصر ما قبل التاريخ (انظر الصناعات الحجرية) والإبر في العصر التاريخي (الأنصاري، ١٩٨٢ م، ص ٣٨)، وهي مادية عضوية لا تبقى طويلاً في المواقع الأثرية.



قطعة من الكتان، قرية الفاو.
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

خامساً: صناعة المنسوجات:

أوضحت الرسوم الجدارية في موقع الفاو والمعثورات الأثرية فيه على تقدم صناعة المنسوجات. فنحن نرى الصور الأدمية المرسومة قد ارتدت جلابيب فضفاضة وأردية منمقة. وبالنسبة للقطع المنسوجة (انظر الزينة والحلي)، التي عُثِر عليها في الموقع ذاته فجاءت غالبيتها معمولة من الكتان وصوف الأغنام ووبر الجمال، فحيك بعضها، كما يقول الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٨) بنعومة فائقة من خيوط رفيعة من الكتان.

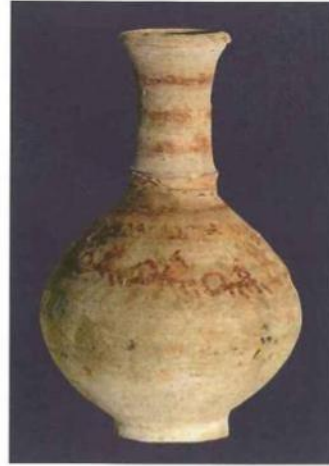
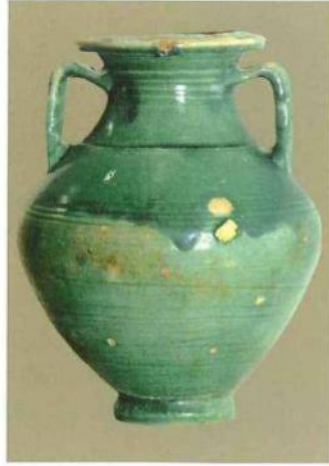


قطعة من الكتان، قرية الفاو،
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

ويدل على أهمية صناعة النسيج في المنطقة عمومًا، وفي الفاو على وجه الخصوص، كثرة الغرف المخصصة للنسيج، نظرًا لموقع الفاو على الطريق التجاري، فغالبية القوافل القادمة والذاهبة إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق تقوم بالتزود بالملابس والأغراض المصنوعة من النسيج، مثل تلك المتعلقة بالجمال؛ فالرسم الصخري الذي عُثِر عليه في جبل طويق يوضح أن بعض الجمال كانت بهودج (انظر الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٣، وطيران، ٢٠٠٦م، ص ٦٠).

سادساً: الصناعات الفخارية والطينية:

استخدم الطين في صناعة الطوب اللبن؛ لذا فهو من المواد القديمة الاستخدام من قبل إنسان المنطقة، فقد جاء الطين في عدد من الأشياء المتعلقة بالسكن (انظر المسكن). ولعل العدد الجيد من الدمى المصنوعة من الطين على شكل دمي يعطي مؤشراً على هذا النوع من الصناعة. وبالنسبة للصناعات الفخارية، فمن المعلوم أن الفخار يُعدّ ثاني أكثر المعثورات الأثرية ظهوراً وانتشاراً، ليس في مواقع منطقة الرياض القديمة فقط، بل في معظم مناطق العالم القديم، التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث؛ وكلما تقدمنا إلى العصور التاريخية يحتل الفخار المرتبة الأولى في قائمة المعثورات الأثرية. ويكفي الفخار تمييزاً أن الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه مثّل خلقه الإنسان من صلصال، كصنع الفخار من الصلصال في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (الرحمن: ١٤)، في تشبيه إلهي بسهولة تكوين الإنسان وتشكيله عند خلقه، فالصلصال -وهي المادة التي يتكون منها الفخار- تتحول إلى مادة طرية لزجة سهلة التشكيل، بحسب رغبة صانع الفخار، وبالسهولة نفسها التي يجدها الفخاري في تشكيل صلصاله، فإن الإنسان بين يدي الله سبحانه وتعالى مثل الصلصال سهل التكوين والتشكيل حسب مشيئته جل وعلا، ولله المثل الأعلى.



جرتان صغيرتان من قرية الفاو
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ١٣٤

وبعد تشكيل الفخاري مصنوعاته يضعها في أفران خاصة، لتُشوى وتتماسك، أو يتركها لتجف تحت الشمس الحارقة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٣). ويظهر أن أقدم تاريخ للفخار في منطقة الرياض هو الفخار غير الملون الذي عُثر عليه في موقع ٢١١-٦٢ جنوب الرياض (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٠). وهو عبارة عن فخار بُني وخشن ممزوج بالقش (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٩). وبالنسبة للفخار الملون فأقدمه يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد.

أما في فترة الممالك العربية فقد كشفت المسوح والتنقيبات الأثرية عن نوع من الفخار الجديد وهو الفخار المزجج، مع استمرار استخدام الفخار الملون وغير الملون بطبيعة الحال، فالنوع الثاني عُرف في الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٩)، وموقع حزم عقيلة (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٣)، وموقعي الخضرمة وعين الضلعة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٩)، وأخيراً الأفلاج التي جاء منها ثمانية أنواع من هذا الفخار (al-Saud, 1997, pp.133- 64): أما النوع الأول فعُثر عليه في عدد من المواقع منها على سبيل المثال موقع حزم عقيلة (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٣). فيما ظهر الفخار المزجج أيضاً في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٣٠)، وحزم عقيلة والخضرمة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٧)، والأفلاج بنوعين مختلفين (al-Saud, 1997, pp.164-6). ومن حيث الصناعة، فقد عُثر على أوان فخارية محلية الصنع وأخرى مجلوبة، ويؤكد الدليل على الصناعة المحلية للأواني الفخارية العثور على مكب كبير للنفايات وبقايا تصنيع الفخار في موقع ٢١١-٢٢ بوادي الدواسر (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٩). وقد صُنعت الأواني الفخارية المصنوعة محلياً بطريقتين، أولاهما: آلية بواسطة الدولاب الفخاري، مثل فخار موقع حزم عقيلة (٢٠٧-٢٦)، وثانيهما: يدوية مثل فخار الموقع ٢٠٧-٣٠ بالخرج (الغزي، ١٩٩٢م، ص ١٧٣، ١٧٧).

وقد اشتملت الأدوات المصنعة من الفخار على العديد من المعثورات، منها المجامر، كما في موقعي الأفلاج التي عُثر فيها على أربع مجامر فخارية (al-Saud, 1997, pp.166-7)، وقرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٣٠)، والزابادي أيضاً من موقعي الأفلاج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٤١)، وقرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٩)، وكذلك العديد من الأواني الفخارية، مثل الزمزميات، والمصافي، والقذور، والأزيار، والجرار (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٩)، وغير ذلك من الأواني (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٤١؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٦).

وأخيراً جاءت هذه القطع الفخارية بعدة ألوان وبزخارف هندسية ونباتية مستوحاة من البيئة المحلية.

سابعاً: الزينة والحلي:

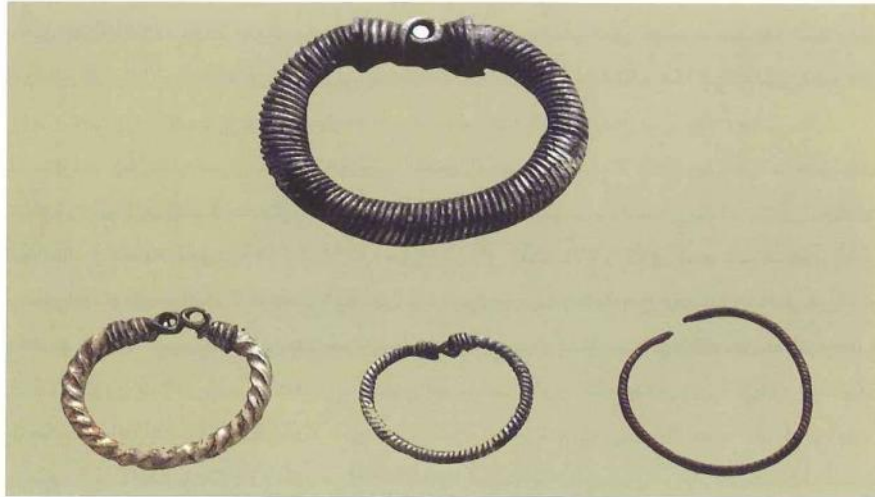
هي الأدوات التي استخدمها إنسان الرياض القديم، ذكراً وأنثى، للترزين. وقد صنعت من مواد مختلفة، مثل الأحجار، والمعادن، والجلود، والعظام ... إلخ. وبرغم أننا أشرنا أعلاه إلى أن الحلي تلبس للترزين والتجمل، إلا أننا لا يمكن أن نفعل الجانب الاعتقادي وراء لبس الحلي، فهي تلبس -كما يعتقدون- لدفع الشر أو جلب الخير، أو لكليهما، إضافة إلى طلب مرضاة المعبود أو خوفاً من عقابه، و الخرز من الحلي التي صنعت من الحجر وتحديداً، من الحجر الصابوني - (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٢). وهو من أدوات الزينة المهمة، وقد جاء من موقعين هما ٢٠٦-٦٧، و ٢١٠-٧٣ (هويلن، علي، ١٩٨٤م، ص ٢٦؛ الغزي، ٢٠٠٦م، ص ٢٧)، إضافة إلى الخرز الذي عُثر عليه في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨)، المصنوع من البلور الصخري والشست. والدولومت. أما الحلي المصنوعة من المعدن فهي متعددة، كالأختام مثل الختم المصنوع من الرصاص الذي عُثر عليه في موقع السبع بالآفلاج (al-Saud, 1997, pp.175-6)، ودبابيس الشعر، والمراد التي صنعت من معدن النحاس، كالتّي عُثر عليها في موقع قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨)؛ بل إن حفريات قرية الفاو دلت على أن بعض الخواتم صنعت من الفضة والحديد. وبالنسبة لفصوص هذه الأختام فجاءت إما بيضوية الشكل أو على هيئة القطر، وصنعت هذه الفصوص من ثلاث مواد: فكانت الأحجار الكريمة مثل العقيق بعدة ألوان، منها البرتقالي، والعسلي، والبنّي، وكانت الأقراص الزجاجية بحجمين مختلفين الصغير والمتوسط (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨). أما النحاس، مثل الختم الذي عُثر عليه في الآفلاج فقد استخدم فيه فص نحاسي لأحد الأختام (al-Saud, 1997, pp.175-6). وهناك الحلي المصنوعة من العظام والعاج، مثل الأساور التي عُثر عليها أيضاً في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨).

أما الحلي المصنوعة من الزجاج فتتمثلها الأساور الزجاجية التي جاءت من ذموقع الخضرمة (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٢٢١)، ونوع من الخرز المصنوع من الزجاج المعتم والشفاف عُثر عليه في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٨). وتمثل الأمشاط المختلفة الأحجام والأشكال أدوات الزينة المصنوعة من الخشب والعاج (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧-٢٨)، وأخيراً نشير إلى حلية جاءت على شكل جُعل (جُعران) أو خنفساء عُثر عليها في قرية الفاو (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٢)، كانت تستخدم فيما يبدو مع قلادة كتمويذة لطرود الشر؛ وهو الجُعران الذي كان حشرة مقدسة عند المصريين، رمز المعبود الخالق الأول واستخدموها -كما يقول دوما (١٩٩٨م، ص ٧٣٤) كتمائم وخواتم.

هذا ما قدمته لنا المعثورات التي حصلنا عليها نتيجة لحفريات وتقيبات قرية الفاو والخضرمة، لكننا قد نحصل على معلومات أكثر عن الحلي والزينة من الرسومات الصخرية أو الجدارية، نحو الرسم



أختام من قرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف



أساور فضية مختلفة المقاسات من قرية الفاو
آثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ١٣٠

الذي عُثر عليه في بئر حمى (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٥٢)، فقد أوضح الرسم أن النساء كن -آنذاك- يتزينّ بحلي على نحورهن مثل العقود؛ وأن الرجال كانوا يلبسون خلاخيل في سيقانهم، ربما خلال الاحتفالات الخاصة أو العامة فقط.

ولنتقل الآن إلى نوع آخر من التزين، وهو ستر العورة بما عُرف فيما بعد بالملابس، إذ إن إنسان العصر القديم لم يكن -كما يعتقد- يلبس إلا قطعة واحدة أو أكثر تغطي أجزاء معينة من جسمه، وهي العورة. فقد عُثر على بعض الرسوم الصخرية تبين أن العري للجنسين كان أمراً مألوفاً، خصوصاً عند ممارسة الطقوس الدينية أو في بعض الاحتفالات والمناسبات العائلية والاجتماعية. ونحن نعلم من المصادر الأثرية والتاريخية أن الكهنة والأسرى هم الوحيدون الذين صوروا عراة في الرسوم الجدارية أو الصخرية، فيتعري الكهنة أثناء قيامهم ببعض الطقوس الدينية، كما في آشور (ساكر، ١٩٩٩م، ص ٢١٥). أما تصوير الأسرى عراة في اللوحات السومرية والأكادية (مورتكات، ٢٠٠٤م، ص ٤١)، فيظهر أن مرده الزيادة في الإذلال والتشكيل. ويجب ألا يغيب عن بالنا أن العرب كانوا يمارسون شعائر الحج كالطواف حول الكعبة المشرفة والسعي وهم شبه عراة، واستمر هذا الوضع حتى بُعث سيد البشر محمد ﷺ. وعندئذ فرض لباس الإحرام للرجال والحجاب للنساء.

ويظهر أن كلا الجنسين في فترة لاحقة وجدأ أنه من الضروري ستر عورتهما، فكانت البداية للجنسين -كما ذكرنا أعلاه- وضع قطعة عبارة عن رداء حول الردفين لستر العورة، بحيث يمر هذا الرداء بين الرجلين ثم يربط بعقدة. ثم ارتدت المرأة بعد فترة رداءً يستر ثدييها، واستمر هذا الوضع حتى تطور هذا الرداء، وبدأ يزداد تدريجياً في ستر غالبية الجسد للجنسين.

ولنعد الآن إلى إنسان منطقة الرياض القديم الذي مر بالمرحلة المذكورة أعلاه، فقد بينت عدد من الرسوم الصخرية مثل اللوحة التي عُثر عليها في بئر حمى لرجال ونساء يؤدون رقصات مختلطة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٥٢)، أو المنظر الآخر الذي رسم على صخرة بوادي مأسل الجمع في محافظة الدوادمي لأشخاص في وضع راقص (مقدمة عن آثار...، ١٩٧٥م، ص ٢٦). ولاحقاً أمدتنا الحفريات الأثرية، خصوصاً من موقع قرية الفاو، بدلائل تؤكد أن إنسان منطقة الرياض تزّين بملابس كانت تحاك من النسيج؛ فلبس نساء قرية الفاو نوعين من الملابس: الجلابيب الفضفاضة الطويلة، والأردية المختلفة، وهذا واضح من الرسم الجداري في معبد المعبودين "سن" و"شمس" (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٧٢-٧٤)، كما ارتدت الواحدة منهن الرداء الذي يبدأ من الكتف حتى الركبتين فقط، بدليل لباس التمثال النصفي لامرأة رجح الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٦، ٩٦) أنها قد تكون المعبودة منيرفا الرومانية. وفي حين عرفنا من التماثيل (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧، ٨٨)

أن النساء كن يضعن الشعر المستعار (الباروكة) الذي ينتهي أحياناً بضفائر، فلا أدلة لدينا حتى الآن على أن الرجال كانوا يضعون شعراً مستعاراً مثل النساء. والواقع أن الشعر المستعار كان معروفاً عند عدد من شعوب العالم القديم، فهاهم أولاد الآشوريون يضعونه (ساكز، ١٩٩٩م، ص ٢١٦)، وكذلك وضعته المصريات، فنساء مقبرة تحتمس الرابع وضعن شعراً مستعاراً باللون الأسود، والأميرة نوفرت من الأسرة الرابعة صُورت وهي تضع شعراً مستعاراً (دوما، ١٩٩٨م، ص ٦٦٦، ٧٢٦). وبما أننا ما زلنا نتحدث عن الشعر فأرى أنه من الضروري الإشارة إلى أن النساء قبل نحو ألفي عام من الآن اتبعن طريقتين (موضتين) في تصنيف شعرهن، الأولى عرفناها من الجزء العلوي لتمثال حجري صغير لسيدة عُثر عليه في السوق (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧)، كان تصنيف شعرها على شكل جدائل ملفوفة ومدلاة إلى الخلف من الرأس وعلى الجانبين، مع وجود عصاية تحيط بالرأس، لكي يبقى الشعر مرتباً؛ ويبدو أن المرأة أحياناً كانت تصنع جدلتين تغطيان الأذنين، مع وضع قلنسوة على الرأس، ويتضح هذا من الوجه الآدمي المصنوع من الخزف الذي عُثر عليه في المنطقة السكنية بقرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧). أما الطريقة الثانية، فكان عبارة عن تسريحة الشعر المستعار الذي ينتهي بضفائر تتسدل على الكتفين.

وبالنسبة للملابس الرجال، فكانت، استناداً إلى التماثيل والرسوم الصخرية، على نوعين: الأول الجلباب الطويل، الذي يشبه كثيراً الجلباب الحالي، لكن بدون فتحة للصدر، فهو رداء من قطعة واحدة كما هو واضح من المنظر المرسوم في معبد "سن" و "شمس" (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٨٥). والثاني الإزار الذي كان واضحاً من تمثال الشخص الخاشع والتمثال الآخر الناقص (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٣٦، ٩٧، ١٠٠). ونحن نعلم أن الإزار كان معروفاً عند المصريين القدماء (ديروش، ١٩٩٠م، ص ٢٢٣)، وأنه كان لباس الكهنة في الفترة السومرية (٢٥٥٠ - ٢٢٥٠ ق.م) (انظر مورتكارت، ٢٠٠٤م، ص ١٢٠). وأبان أحد التماثيل أن الرجال كانوا يلبسون الصنادل المصنوعة من الجلد، وأن بعضهم لم يكتف بوضع خاتم واحد، بل خاتمين (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٦، ٩٧، ٩٩).

وعرفنا من الرسوم الصخرية أن بعض رجال منطقة الرياض -آنذاك- كان يعفي لحيته والبعض يكتفي بشاربه فقط، في حين أن بعضهم الآخر يزيلهما كلياً (انظر الرسم الجداري، الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٧٢)، وهناك من يعفي اللحية والشارب، كما في الرسم الصخري الذي عُثر عليه في بئر حمى (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٢). ونحن نعلم من التراث المصري القديم أن الكهنة كانوا يحلقون الشعر من الجسد والرأس بعناية فائقة، لاعتقادهم بأن الشعر هو إراز نجس (دوما، ١٩٩٨م، ص ٧٢٦)، وكذلك في بلاد الرافدين التي كان الكهنة يقومون أحياناً خلال ممارستهم لطقوس معينة بحلق لحاهم؛ لهذا فلعل الشخصين اللذين كانا يقومان بتتويج الرجل ذي العينين الواسعتين (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٧٢-٧٣) ليسا إلا كاهنين في معبد



تمثال من البرونز لرجل يلبس ملابس مخرّبة في وضع تعبدي من قرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

المعبودين "سن" و "شمس"، خصوصاً وأن تصفيف شعرهما جاء مجعداً، والمعلوم أن بقايا المعبد اللاتي يهبن أنفسهن لخدمة المعبد كن يعرفن في الفترة الآشورية بشعرهن المتجعد (ساكز، ١٩٩٩م، ص ٢١٧). أو أنهما، نظراً لعدم وجود لحية أو شارب لهما، غلامان لم يبلغا الحلم، يخدمان سدنة أو كهنة في المعبد. وحتى لا يغضب أصحاب الشعر المتجعد نقول لهم إن الدراسات أثبتت أن الشعر المتجعد كان الذوق السائد عند الجنسين في مصر القديمة خلال فترة الأسرة الثامنة عشرة، (دوما، ١٩٩٨م، ص ٧٢٧). وإذا كان الرجال يتزينون بتمنطقهم بالسيوف والخناجر، كما في الرسم الصخري الذي عُثر عليه في موقع ١١-٢١١ بمحافظة وادي الدواسر (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥)، فإنهم أيضاً كانوا يلبسون الخلاخيل في أرجلهم أثناء حفلات الرقص، كما دل على ذلك الرسم الصخري في بئر حمى (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٥٢؛ الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٢). وفي حين كان الرجال يلبسون الإكليل، (لرسم انظر الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٧٢-٧٤)، وغطاء الرأس المزركش بزخارف حسب الرسم الصخري في بئر حمى (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٢)، فإن النساء -كما ذكرنا آنفاً- كن يضعن عصا على الرأس. لكن الجنسين اللذين اتفقا في البداية على العري، اتفقا في الفترة التاريخية، كما في بئر حمى (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٣) على لبسهما للتميمة، والأطواق والعقود في الرقبة، وكذلك على لبسهما للأساور في الرسغين.



ثامناً: الرعي:

هي من المهن التي رافقت الإنسان القديم، وما الرسوم الصخرية، سواء داخل منطقة الرياض أو خارجها، إلا تأكيداً على العلاقة الوثيقة التي نشأت بين الإنسان والحيوان، وكانت هذه العلاقة دافعاً واضحاً في الرقي العقلي والثقافي للإنسان. فكي يحقق نجاحاً واضحاً باتصاله وتعامله مع هذه الحيوانات، كترويضه لبعضها، كان عليه أن يدرس عاداتها ويستوعب أسلوبها في الحياة. لهذا نعتقد أن للحيوان، كما كان للبيئة، دوراً قوياً في جعل الإنسان -آنذاك- يستخدم ما أعطاه الله من عقل. فكانت هذه العلاقة وراء مفهوم الصيد وأدواته المختلفة، بل والسلاح أيضاً. وبالنسبة لإنسان وسط شبه الجزيرة العربية، فإن أدواته التي عُثر عليها في موقع صفاقة بمحافظة الدوادمي أكدت لنا أن النشاط البشري كان بسبب وجود البحيرات التي دعمت وجود النبات والحيوان (هويلن، وعلي، ١٩٨٤م، ص ١٦)، مثل مواقع: ٢٠٧-٨٩-٩٠، ٢٠٧-٩٢، ٢٠٧-١١٢ (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٢٩).

وكما كانت الرسوم الصخرية دليلنا على العلاقة بين الإنسان والحيوان، فإن التحاليل العلمية التي جرت على عظام ملتقطة من مواقع عدة في منطقة الرياض (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠، ص ٧٩-٨٠)، وعلى وجه الخصوص من موقعي ٢١١-٢٤، ٢١١-٤ بوادي الدواسر، بينت أن الماعز والأغنام والأبقار والخيول كانت من الحيوانات التي رافقت إنسان العصر الحجري الحديث وعاصرته في منطقة الرياض (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٧-٢٨).

ومن الطبيعي أن العلاقة بينهما تطورت من اهتمام الإنسان بقتل الحيوان مباشرة، إلى محاولة اصطیاده، ثم السعي إلى استئناسه عندما عرف مدى أهميته القصوى، لا في الاستفادة من لحمه ولبنه فقط، بل وكذلك من جلده ووبره وبقية أعضائه المهمة له آنذاك.

وللرعي أصول ومفاهيم عرفها إنسان الرياض القديم عن طريق التجربة، مثله مثل أقرانه الآخرين في العصور والممالك القديمة، فعرف النبات السام والضار، والنبات النافع والشاقي، وتبين له ما تفضله الجمال أو الغنم أو البقر... إلخ، وما تستسيغه وما لا تستسيغه. وهكذا دخل الإنسان برفقة الحيوان ورعيه عصرًا فتح له آفاقاً ومهنًا جديدة أخرى، فعرف على سبيل المثال التحريم والتحليل في أكل اللحوم، كما تبين له أهمية حيازة المراعي وامتلاكها، فأدى به حب الامتلاك والسيطرة إلى خلافات وصراعات، كانت دموية أحياناً، في سبيل سيطرته على مناطق الرعي. فدعته هذه الخلافات، إلى سنّ الأعراف والقوانين التي لم يكن يعرفها من قبل، في سبيل حماية حقوق الجميع، حتى عرفنا لاحقاً الحمى.

وقبل أن نشير إلى أنواع الحيوانات التي تفاعل إنسان الرياض القديم معها وتعامل، علينا التنبيه إلى أن رعي القطعان مثل الماعز والإبل... إلخ كان يعهد به إلى الرعاة الذين كان من واجبهم حماية

القطعان أثناء الرعي، تساعدكم الكلاب على صد هجمات الذئاب أو لصوص الحيوانات. وستتناول باختصار الحيوانات التي تعامل معها الإنسان آنذاك -حسب علمنا-.

١ - الخنزير:

جاء في رسم صخري عُثر عليه في جبل البيضتين بالدوادمي، واعتبر خنزيراً وحشياً (مقدمة عن آثار...، ١٩٧٥م، ص ٢٢). ولا تكمن أهميته -آنذاك- في لحمه فقط؛ بل في كمية السمن التي يقدمها. ونحن لا نعرف -حسب المصادر المعروفة لدينا- هل استساغ إنسان الرياض القديم أكل الخنزير، أم أنه، خصوصاً بعد انتشار الأديان السماوية مثل اليهودية، قد تبنى تحريم أكل لحمه واستعمال سمنه، لما اشتهر عنه من قذارة. والمعلوم أن الآشوريين كانوا يحرمون أكل لحم الخنزير، أو تقديمه للمعبودات (ساكر، ١٩٩٩م، ص ٢٣٩).



رسوم لأشكال أنمية وحيوانية، جنوب وادي الدواسر
آثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ١٥٦

٢ - القط:

ظهرت القطط في ثلاث لوحات صخرية من المواقع الآتية: ٢١١-١٠، ٢١١-١١، ٢١١-١٢، بجنوب الخماسين بوادي الدواسر (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٤). وبطبيعة الحال، لا نتصور أن للقطط دوراً في حياة إنسان الرياض القديم الغذائية، لكن أهميتها عرفت باعتبارها خطراً دفاعياً استخدمه ضد الجرذان وبعض الحشرات، وبعبارة أخرى كانت القطط مبيداً لهذه الجرذان والحشرات غير المرغوبة. بالإضافة إلى أهميتها كحيوان منزلي أليف. ولا نملك دليلاً واضحاً -حتى الآن- على أن القط قد حظي بمعاملة خاصة، كالتي حصل عليها في مصر القديمة عندما رفع إلى مصاف المعبودات. ويلحظ أنه صور في التراث المصري القديم بأشكال متعددة منها الجاد والطريف (بيك، ١٩٨٧م، صور: ١٣، ٧٦، ٧٨). أما في داخل شبه الجزيرة العربية فقد عثر على منظر في أحد قبور هيلي بالإمارات العربية المتحدة، لقطين يمزقان حيواناً أصغر منهما، لعله فأراً (رايس، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٢؛ بوتس، ٢٠٠٣م، مج ١، ص ٦١٠). وكذلك رسوم لقطط في مواقع مختلفة من المملكة العربية السعودية مثل: جبة في حائل، والحناكية شرق المدينة المنورة، والطائف وغيرها (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٨).

٣ - الثعبان:

ظهر رسم لثعابين على صخرة في الموقع ٢١١-١٢، جنوب الخماسين بوادي الدواسر (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٨؛ طيران، ٢٠٠٥م، ص ٤٤). ونتصور أن إنسان الرياض القديم اهتم بالثعبان، الذي كان رمزاً للمعبودين ود، وعم، على التوالي عند المعينيين والقتبانين (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٨)، للاستفادة من سمّه في أمرين مهمين، هما: القتل، والعلاج. ونحن نعلم إن صح ذلك من المصادر الإخبارية أن امرأ القيس مات مسموماً. كما يستفاد من جلد الثعبان في أمور عدة. ومن الملاحظ أن رسماً آخر للثعبان عُثر عليه في الحناكية، يشبه إلى حد كبير رسم هذا الثعبان (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٨).

٤ - النعام:

للنعام أهمية دينية كبرى، إذ يعتقد أن بيضه كان يستخدم لطقوس دينية متعددة. وجاء رسمه في العديد من اللوحات الصخرية، فقد عُثر عليه مرسوماً في جبل يقع شرق الرياض بنحو ستين كيلاً (الحمود، ٢٠٠٠م، ص ٢٢)، وفي جبل في بلدة الغاط شمالي غرب الرياض (الرسيني وآخرون، ٢٠٠١م، ص ١٤٢)، وعلى جبل الطعينة شمالي غرب القويعة (الحمود، ٩٧-١٩٩٨م، ص ٤٩٤)، وكذلك على صخرة جنوب الرياض بنحو مئة وعشرة أكيال (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٣؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥). وكذلك في نفود الثويرات بالزلفي، وبكميات كبيرة في قرية الفاو. والنعام من الحيوانات التي نجدها في الرسوم الصخرية في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية.

٥ - الوعل:

صُوِّر الوعل بقرون طويلة ملتوية إلى الخلف. وتتميز بأهميته الدينية والاقتصادية، إذ لا نستبعد أنه كان من الحيوانات التي قدّسها إنسان الرياض القديم، بل إنه لاحقاً في المرحلة التاريخية أصبح رمزاً لثلاثة آلهة مشهورة في اليمن هي ود، عند المعينيين، وعم، عند القتبانيين، وسين عند الحضارمة (ياخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٨). أما من الناحية الاقتصادية، فقد استفاد الإنسان من لحمه ووبره. وإضافة إلى ظهوره بشكل واضح في الرسوم الصخرية، فقد عُثِر في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧)، على تمثال نحاسي صغير لوعل؛ وبالنسبة للرسوم الصخرية فقد جاء مرسوماً على صخرتين جنوب الرياض، الأولى على بعد مئة كيلٍ والثانية على بعد مئة وعشرة أكيال (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥). وعلى صخور بوادي الدواسر (كباوي وآخرون، ١٩٩٦م، ص ٤٧-٤٩)، وفي أحد جبال بلدة الغاط (الرسيني وآخرون، ٢٠٠١م، ص ١٤١-١٤٢)، وأخيراً في جبل الظلمة شمالي غرب القويعة (الحمود، ٩٧-١٩٩٨م، ص ٤٩٤؛ الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٣٦٦). المعلوم، أيضاً أن الوعل، مثله مثل النعام، انتشر بشكل واضح في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، فقد ظهر، على سبيل المثال لا الحصر، في رسم على إحدى الصخور في دولة الإمارات العربية المتحدة لحيوانين من المها يتناطحان (رايس، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٣؛ بوتس، ٢٠٠٣م، مج ١، ص ٦١٠).

٦ - الظبي:

لا أعرف له منظرًا سوى ما عُثِر عليه مرسوماً على صخرتين تقعان جنوب الرياض: الصخرة الأولى تبعد نحو مئة كيل، وتبعد الأخرى بنحو مئة وعشرة أكيال عن مدينة الرياض (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥).

٧ - البقرة الوحشية:

على الرغم من أنني شخصياً لا أعرف الكيفية التي يصف المختصون على أساسها الحيوان هل هو وحشي أو مستأنس فقد اعتبر زارينس وآخرون (١٩٨٠م، ص ٢٢) رسم البقر الذي جاء على صخرة في منجور (٢٧٠-٢٧) بمنطقة خشم دلقان، من نوع الأبقار الوحشية. وكذلك محرر الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٣، الذي عدّ الأبقار التي ظهرت في رسم صخري ببئر حمى، أبقاراً وحشية؛ وأيضاً الرسيني وآخرون (٢٠٠١م، ص ٢٣٧) الذين صنفوا البقر الذي ظهر على جبل في موقع أواط بالمجموعة من النوع الوحشي. وفي حين اعتبرت الأبقار المذكورة أعلاه أبقاراً وحشية، فقد صنف كباوي وآخرون (١٩٩٦م، ص ٤٧-٤٩) رسوماً لأبقار عُثِر عليها بوادي الدواسر أبقاراً مستأنسة؛ وكذلك صنف الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٣) رسوماً لأبقار وجدت في جبل طويق أنها أبقاراً مستأنسة؛ وكذلك فعل طيران (٢٠٠٦م، ص ٤٥) لرسوماً لأبقار عُثِر عليها في موقع ١٠-٢١١ جنوب الخماسين بوادي الدواسر.

ولا يخفى على أحد الأهمية الاقتصادية والزراعية للأبقار؛ لذلك احتلت مكانتها المتميزة في حياة الإنسان القديم بمختلف بقاع العالم القديم، فمن منافعها المتعددة لحومها وجلودها، وحليبها الذي يحول -بسبب حرارة الجو- إلى زبدة وجبن. كما استخدمت الأبقار مثل الثيران في جر العربات وغيرها. وما تزال أهمية هذا الحيوان مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بل إن الهندوس في الهند في وقتنا الحاضر يقدسون البقر، حيث رفعوها إلى مصاف المعبودات.

٧ - الثور:

حيثما وجدت البقرة فلا بد من الثور، وهكذا رسم إنسان الرياض ثيراناً برية ذات قرون طويلة، رسمها على صخرة عُثر عليها بجبل البيضتين في الدوادمي (مقدمة عن آثار.....، ١٩٧٥م، ص ٢٢). وتكمن أهمية الثور في استخدامه كقوة لجر العربات، وحرث الأرض.

٨ - الحصان:

هو الحيوان الوحيد، خصوصاً في فترة الممالك العربية، الذي نال معاملة خاصة، مع الكلب صديق الإنسان؛ فالخيل رمز الشجاعة ودليل الثراء والغنى، ولها أهمية كبرى في الحرب والقتال، بل إن البعض شبه استخدام الخيل في الحروب بمثابة اختراع الطيران (العتيبي، ١٤٢٢هـ، ص ٣١٨). فلها سرعة الوصول لأي غرض كان، سلمي أو حربي، شخصي أو عام؛ حتى أن المعينين في فترة ما قبل الميلاد اتخذوه رمزاً للمعبود "شمس" (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٨).

وجاءت رسوماته في مناطق متعددة بمنطقة الرياض فمثلاً على صخرة تقع جنوب الرياض بمئة كيل (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥)، وفي جبل طويق بالقرب من قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٣)، وعلى جبل بالغاظ (الرسيني وآخرون، ٢٠٠٢م، ص ١٤٢)؛ وكذلك في موقع ٢١١-١٢ بجنوب الخماسين؛ عُثر على رسوم لخيول تشبه تلك التي عُثر عليها في ياطب والفوطة بمنطقة حائل (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٧). وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن المنقبين في قرية الفاو، قد عثروا على نحت بارز لحصان، جاء منحوتاً على وجهي كتلة من المرمر (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧)، وبالنسبة للتماثيل، فقد عُثر في موقع قرية الفاو على تماثيل صغيرين الأول من البرونز، والثاني وجد حلية لسرير جنائزي (al-Ansary, 1996, p.38, no: 31).

٩ - الجمل:

عُرف الجمل عند العربي باسم سفينة الصحراء، وتعود رفقته للإنسان منذ عصور موغلة في القدم (السعود، ١٩٩٦م، ص ٩٩؛ صراي، ١٩٩٩م، ص ٢١-٧٠)، فهو الحيوان الذي شارك الإنسان في صراعه مع بيئته المحيطة، ثم لاحقاً في التعامل معها، وتعلم من رفقته للإنسان العديد من العادات السيئة والجيدة،



تمثالان لناقة وجمل من البرونز من قرية الفاو
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

فتعلم عدم كبت مشاعره، والحق، والحسد، بل والانتقام. ولم تكن أهميته للحمة وجلده فحسب؛ بل للمهام الكثيرة التي أنيطت به، نحو نقل البضائع في القوافل التجارية وغيرها، فها هو رسم صخري عُثر عليه في جبل طويق يبين جملاً عليه هودج (الأنصاري، ١٩٨٢، ص ٢٣)، ومن المعلوم أن رسوماته جاءت في العديد من المواقع: على جبال بوادي الدواسر (كباوي وآخرون، ١٩٩٦ م، ص ٤٧)، وعلى جبلين أحدهما في ملهم والآخر بالفاط (الرسيني وآخرون، ٢٠٠٢ م، ص ١٤٢)، وأيضاً على جبل يقع على بعد تسعين كيلاً غرب الرياض (الحمود، ٢٠٠٠ م، ص ٢٢)، وأيضاً في موقع ٢١١-١٢ بالخماسين (زارينس وآخرون، ١٩٧٩ م، ص ٢٨)؛ وكذلك في العديد من المواقع الأخرى، لهذه المواقع الثقافة التقليدية (٢)، (٢٠٠٠ م، ص ٨٣). هذا بالنسبة للرسوم الصخرية، أما عن المعثورات الأثرية، فقد عُثر على تمثالين: أحدهما لجمل، والآخر لناقة مصنوعين من البرونز في معبد الإله الأحمور (الأنصاري، ١٩٨٢ م، ص ٢٧، ١٠٣).

ولعل من المفيد الإشارة إلى أن الناقة هي الحيوان الذي وجد له مقبرة خاصة به في قرية الفاو (طيران، ٢٠٠٦ م، ص ٥٤)، إضافة إلى أن المدعو "أفن"، الذي عاش بالقويعة لم يتردد في كتابة نقش بالقلم الشمودي يذكر محبته لناقته (الحمود، ١٤١٨ هـ، نق ٦)، ويقرأ النص هكذا: وأفن أحب الناقة.

١٠ - الخروف ذو الذيل السمين:

لم يُعثر -حسب معلوماتنا- سوى على منظر وحيد يمثل خرافاً سمينة، وتحديدًا على أحد جبال بئر حمى (الثقافة التقليدية (٢)، (٢٠٠٠ م، ص ٨٣).

١١ - الماعز الوحشي:

رسم إنسان الرياض القديم الماعز الوحشي (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٣)، والماعز المستأنس، مثل الرسمين اللذين عُثِر عليهما في جبل برمة شمالي شرق الرياض بنحو ستة وستين كيلاً (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٣٢)، وعلى صخرة جاءت إلى الشرق من الرياض بنحو ستين كيلاً (الحمود، ٢٠٠٠م، ص ٢٢). وهو من أقدم الحيوانات التي عرفها الإنسان وتعامل معها في العصور الحجرية القديمة.



سمكة دولفين من البرونز من قرية الفاو
الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٩٥

١٢ - الدلفين:

هو الحيوان الغريب الذي نعتقد أن إنسان وسط شبه الجزيرة العربية لم يتعامل معه بشكل مباشر، فقد عُثِر على تمثال معدني من البرونز في معبد أحور بالفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧، ٩٥). وقد صنع وكأنه يسبح في حركة انسيابية جميلة. ويعرف عن الدلفين أنه كان الحامي من المخاطر والواقي من المخاوف في عباب البحر. وكان الدلفين من الحيوانات المقدسة عند الأنباط.

١٣ - الكلاب:

جاء في منظر عُثِر عليه في بئر حمى (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٨٣)، وكذلك في موقع آخر بالخماسين (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٢٨). والكلب هو رفيق الإنسان منذ نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبداية العصر الحجري الحديث، وقد يكون أول حيوان استأنسه الإنسان، أو بالأحرى استأنس نفسه لمتابعته الطويلة للإنسان، فتعلم منه -عكس الجمل- الوفاء والرغبة في المساعدة والدفاع عن الحمى؛ كما كان له مكانة واضحة في الرعي. وقد دلت الرسوم الصخرية أن الكلب شارك في حراسة القوافل التجارية مثل الرسم الذي عُثِر عليه في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤)، وكذلك المنظر الذي عُثِر عليه بوادي عريقية في محافظة القويعية، ويمثل المنظر رجلاً يقود جملًا، وبمعيته كلب يقوم بحراسته (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص ٣٧٢).

١٤ - فرس النهر:

عُثر على قطعة من الحجر الجيري مستطيلة الشكل، جاءت مقدمتها بشكل رأس فرس النهر (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٧)، وهو من الحيوانات المجنوبة من منطقة أخرى بيئة المنطقة، إذ لا نعتقد أن الإنسان - حسب الأدلة المعروفة لدينا حتى الآن - قد تعامل مباشرة مع هذا النوع من الحيوانات، والمعلوم أن المصري القديم قد قدس أنثى فرس النهر كإحدى أرباب الحمل والولادة.

١٥ - الأسد:

جاء رسم الأسد في منظرين، عُثر على الأول على صخرة تقع شرق الرياض بنحو سبعين كيلاً (الحمود، ٢٠٠٠م، ص ٢٢)، وعثر على الثاني على جبل الطعينة شمالي غرب القويعة (الحمود، ١٤١٨هـ، ص ٤٩٤)؛ وإضافة إلى هذين الرسمين فقد جاء مرسومًا على ختم معدني عُثر عليه في الأفلاج (al-Saud, 1997, pp.379- 80). ومع هذه الرسوم لشكل الأسد فقد صنع سكان قرية الفاو القديم رأسين لأسدين من النحاس، يمثلان - كما يذكر الأنصاري (١٩٨٢م، ص ٢٧) - نهاية لأنبوب، ويحيط بالوجهين لبد كثيفة وعليهما تعبيرات قوية، ولعل هذين الأنبوبين كانا مركبين على ذراع كرسي لشخصية مهمة، خصوصاً أن بها فتوياً تدل على أنها مركبة (انظر أيضاً الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ١١٦). ويعلم الجميع أهمية الأسد في الحضارات القديمة، فقد صور، ونحت، وصنع من الحجر والمعدن وغيرها في جميع الحضارات القديمة، فهو يمثل رمز السلطة والهيبة، بل اعتبره القتيانيون والحضارمة أحد رموز الإله "شمس" (باخشوين، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٨).

١٦ - الضب:

رغم أننا لم نجد - حتى الآن - رسوماً صخرية يمكن اعتبارها تصويراً لهذا الحيوان الصحراوي، إلا أن النقش، المكتوب بالقلم الشمودي، الذي عُثر عليه في الطعينة (الحمود، ١٤١٨هـ، نق ١٠)، والمقروء كما يلي:

ب ب ع م ع س ض ب م بواسطة باعم (الذي) طارد (صاد) ضباً

يدل دلالة قاطعة على معرفة أهل الرياض في العصر القديم بهذا الحيوان، ونعتقد نظراً لعدم عثورنا على رسم صخري لهذا الحيوان أنه لم يكن معروفاً ومحبطاً في فترة العصر الحجري الحديث، فالظروف البيئية كانت جيدة إلى درجة أن إنسان الرياض القديم، لم يلقِ بالاً لهذا الحيوان. وفي العصور التاريخية على وجه الخصوص، بدأ الإنسان في التعرف إلى الحيوانات الصحراوية (ومنهما الضب) من خلال الطرق والقوافل التجارية، فعرف أهمية هذا الحيوان الصغير، وبدأ في مزاولة صيده، ومن ثم أكله بعد القرن الثاني قبل الميلاد.

ولعلنا قبل أن نختم حديثنا عن هذا الحيوان، نشير إلى موضوع مهم نعتقد أن إنسان وسط شبه الجزيرة العربية (منطقة الرياض) قد مارسه، وهو الرفق بالحيوان، فإذا كان الرافدي القديم قد وضع مستشفيات خاصة للحيوانات -كما يعتقد البعض-، فإن إنسان الرياض القديم ارتبط كثيراً بالحيوان إلى أن تحول هذا الارتباط وتلك العلاقة إلى محبة وودٍّ كبيرين، كما دل على ذلك النقش الثمودي الذي أوضح فيه صاحبه محبته لناقته؛ وإذا كانت العلاقة قوية أيضاً بين الإنسان القديم والكلب، بدليل عثور المنقبين على مدافن خاصة بالكلاب في موقع عين الملاحه (محيسن، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ١٦٢)، فإن مواطن قرية الفاو القديم قد قام بدفن ناقته أو بغيره تماماً كما يدفن الإنسان. لقد سعى إنسان المنطقة منذ بدء علاقته بالحيوان إلى تهيئة كل الظروف المناسبة لراحة الحيوانات، فهذا هو ينشئ الأحواض المائية، خصيصاً -كما يعتقد البعض- لتزويد الحيوانات بما تحتاجه من المياه (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٣؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥٣؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٢). وتتكون هذه الأحواض من ألواح حجرية، جاءت على نوعين، الأول: مستطيل الشكل عبارة عن خطين رأسيين من الألواح، بارتفاع يصل إلى الثلاثين سنتيمتراً عن سطح الأرض. وهذان الخطان يسيران بشكل متوازٍ مسافة خمسة أمتار أو أكثر. وقد عُثر على هذا النوع في وادي الدواسر في أحد عشر موقعاً وهي: ٢١٢-٤-٦-٢١٢، ٩-٢١٢، ١١-٢١٢، ١٦-١٨، ٢١٢-٣٤-٢٢-٣٦، ٢١٢-٧٣ (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٧٢؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥٢-٥٣؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٢)، وإضافة إلى هذه المواقع فقد عُثر على أحواض في موقع العفجة بالخرج، لكنها أصغر حجماً من المذكورة أعلاه (الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥٣؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٣٧). أما النوع الثاني فهو على شكل دائرة بيضوية قطرها يزيد عن العشرين متراً، وتتبعد ألواحها الحجرية عن بعضها مسافة عشرين سنتيمتراً، ويمثل هذا النوع الحوض الذي عُثر عليه في موقع ٢٠٧-٤٦ الواقع بالغرب من مدينة الرياض (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٢-٣٣؛ الغزي، ١٤١٩هـ، ص ٥٣).

تاسعاً: الزراعة:

قد تعود معرفة إنسان منطقة الرياض القديم بالزراعة إلى بدايات العصر الحجري الحديث (علي، ٢٠٠٠م، ص ٧٣)، فالأدوات مثل المعاول التي عُثر عليها في الثمامة (الأمين، ٢٠٠٣م، ص ١٨)، وأدوات الرحي والطحن من موقع ٢٠٧-٧٩ بعرق بنبان (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص ٣٠) -تدل دلالة واضحة على تعامله مع النبات، وكما قلنا سابقاً من أن الرعي أنشأ فكراً جديداً عند الإنسان القديم، فمما لا شك فيه أيضاً أن معرفة الإنسان للزراعة قد أوجدت لديه مبادئ وأفكاراً جديدة، لعل من أهمها وأكثرها تأثيراً على الإنسان هو الاستيطان الذي تطور لاحقاً، بعد مدة وجيزة إلى الإقامة الدائمة، فالزراعة كانت وسيلته وطريقه الواضح في تعرفه إلى أحواله الجوية والبيئية، ومع الوقت زاد استيعابه وفهمه، بل اخترع طرقاً للتعامل مع

هذه الأحوال البيئية المختلفة والمتقلبة، وعرف كذلك التربة وأنواعها الصالحة للزراعة وغير الصالحة؛ ومنها تبين له متى يزرع ومتى يحصد، وفيما يتعلق بإنسان الرياض القديم، فلعل تصويره للكواكب في رسم عُثر عليه في قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤)، أو لشكل الهلال، وقرص الشمس في رسم جاء على جبل النصلة بحرمة (الرسيني وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٢١٦)، أو تصويره للأشكال الهندسية التي عُثر عليها في عدد من المواقع مثل جبل برمة (مقدمة عن آثار...، ١٩٧٥م، ص ٣١)، وفي جبل خنوفة بالدوادمي (مقدمة عن آثار...، ١٩٧٥م، ص ٢٤) لها علاقة بالفلك لمعرفة التغيرات الفصلية خلال العام؛ كي يعرف على سبيل المثال الوقت المناسب للبذر أو الحصاد، لهذا نرى أن الزراعة كانت سبباً رئيساً لبدء الإنسان اتصاله وتعامله مع الفلك بكواكبه ونجومه المتعددة. ومع هذه الإيجابيات الكثيرة التي استقاها من تعامله ومحاولة فهمه للبيئة فإنه، أحياناً لسوء نفسه البشرية، يأتي بسلبيات جديدة؛ فقد دفعت الزراعة مع مرور الزمن، والحاجة الملحة لمصادر المياه الإنسان إلى الاستغلال والهيمنة وحس السيطرة، فظهر الظلم، بل الاستعباد، فحاجته إلى الأراضي الصالحة للزراعة، ولمصادر المياه، والأيدي العاملة في الزراعة اضطرتة -آنذاك- إلى الدخول في حروب وصراعات؛ فاستولى ظمناً على أراضي غيره واستعبد أخاه الإنسان لخدمته من خلال تشغيله في الزراعة. ولهذا فإضافة إلى الجانب المضيئ لنتائج معرفة الإنسان للزراعة، لا يمكننا إغفال الجانب الممتلئ لنتائجها، وهو ظهور الاحتكار والرغبة والسيطرة والاستعباد، ثم الثراء والطبقية.

وكانت الزراعة في منطقة الرياض في بداياتها بدائية في كل شيء تقريباً، كما هو الحال في مواقع الثمامة، (أبو درك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ٩٧)، فحيثما وجدت المياه الجارية مثل السيول، أو الرائدة مثل البحيرات نجد نشاطاته الزراعية. لذلك عُرف نمط استيطاني جديد، بسبب الزراعة، وهو الاستيطان في الواحات المنخفضة والحرار لتوفر المياه، خصوصاً العذبة، وحول البحيرات وعلى حواف الأودية، تماماً كما في مواقع صفاقة الأثرية (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ١٤٧). ولعل أهم هذه المواقع موقعاً ٢٠٦-٦٨، فقد عُثر على مجرى شلالين فرعيين يجلبان المياه من المرتفعات إلى المنطقة المنخفضة في الوادي، حيث تتجمع هذه المياه (هويلن، وعلي، ١٩٨٤م، ص ٩-١٠).

ولأن الهدف من الزراعة ومحصلتها النهائية هي الحصول على الغذاء، ولكي يحقق إنسان ذلك العصر هدفه المنشود هذا؛ كان لا بد من توفر ثلاثة عناصر رئيسة هي: الأرض الصالحة للزراعة، والمياه، والأدوات الزراعية. وبالنسبة للعنصر الأول، فكما أوضحنا أعلاه، فقد عرف عن طريق التراكم المعرفي أن الأراضي الأسهل والأنسب للزراعة هي تلك التي تكون بجانب المصادر المائية.

أما العنصر الثاني، وهو المياه، ففي البداية كان يحصل عليها من البحيرات والأودية، لكنه، لاحقاً، توصل الإنسان إلى حفر الآبار وشق القنوات، للاستفادة القصوى من هذه المصادر المائية، فقد حفر الآبار

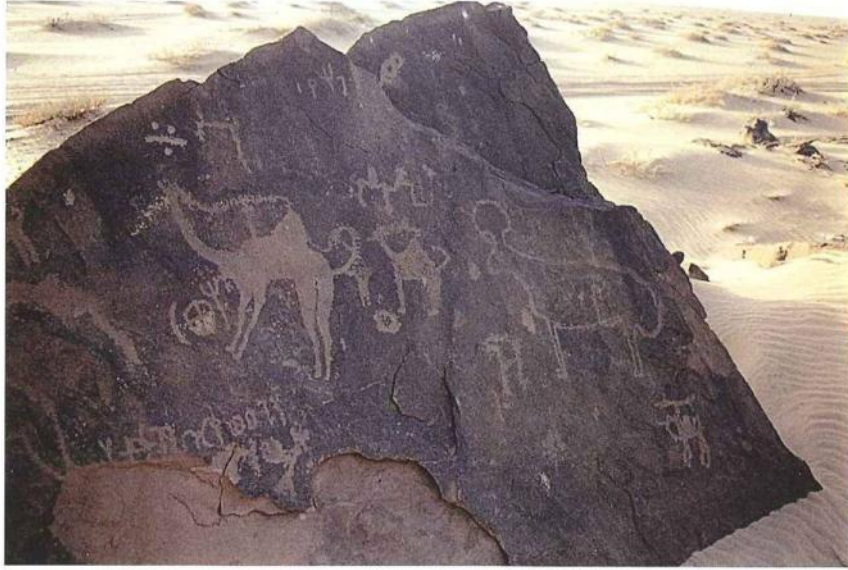
في مختلف المناطق، ويجب التذكير بأن الهدف من هذه الآبار لم يكن الزراعة فقط؛ وذلك لانتشارها الواضح بمحاذاة الطرق التجارية. فالآبار التي حفرت بجانب هذه الطرق هدفت إلى توفير الماء للمسافرين وأصحاب القوافل التجارية، وتزويدهم بما يحتاجونه وحيواناتهم منه. أما الآبار التي كان الغرض من حفرها الزراعة، فهي تلك التي انتشرت بكثرة في المستوطنات مثل هذا العدد الهائل من الآبار التي وجدت في موقع الرغيب بالخرج، كما يذكر الغزي (١٩٩٢م، ص ١٩٨) إضافة إلى الآبار التي عُثر عليها في موقع ٢٠٧-٢٠ بالمنطقة نفسها؛ وحسب علمي فإن قرية الفاو بها العشرات من الآبار التي كانت تستخدم في أغراض الزراعة وتزويد أهل المدينة بالماء المنزلي. ورغم أننا نعتقد أن الآبار كانت معروفة منذ القدم، إلا أننا لا نستطيع تأكيد الفترة التي تعود إليها هذه الآبار، إذ قد يمتد استخدامها من فترة ما قبل الميلاد حتى الفترة الإسلامية.

القنوات:

يبدو أن البيئة كانت من العوامل الأساسية في توصل الإنسان ومعرفته للقنوات، فأهميتها لم تكن فقط في المجال الزراعي، ولكن أيضاً في نقل المياه من مكان إلى آخر داخل المستوطنة وخارجها. وكانت البداية مع الشلالين الفرعيين اللذين يجلبان المياه من المرتفعات إلى المنطقة المنخفضة في الوادي، كما في موقعي ٢٠٦-٦٨، و٢٠٦-٧٦ (الأمين، ٢٠٠٣م، ص ١٦)، فقد استوحى من هذين الشلالين حفر القنوات المائية وبناءها، والغريب أن بعض هذه القنوات، التي أنشئت في الفترة التاريخية، جاء مجراها بمساحة تسمح للرجل بالسير فيه وتنظيفه عند الحاجة، وقد بلغ ارتفاع مجرى إحدى القنوات متراً ونصف المتر (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٧٤)، بل إن بعضها مثل قنوات جنوب العيون (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٥-٣٦)، كانت بعرض يتراوح فيما بين عشرة أمتار وأربعة عشر متراً، وبعمق يزيد بقليل عن المترين، وهناك قنوات تسير إلى مسافة تزيد على الكيل (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٦)؛ وقنوات تسير إلى مسافة تزيد على كيلين مثل قناة ٢٠٧-٢٤، وأربعة أكيال مثل قناة أبرق فرزان (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٦)؛ وقد عُثر على هذه القنوات في العديد من المواقع مثل موقع ٢٠٧-٢٨، شمال مشيرفة (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٣). وشبكة القنوات الواسعة والمركبة في موقع العيون بالأفلاج (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٤؛ al-Saud, 1997, pp.106-8)، وقنوات هضبة القصيبة بالخرج (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٧٤). وعُثر على بعضها مبنية بالكامل مع قيعانها من الحجر الكلسي والمونة، مثل قنوات العيون (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٢).

ولكثرة هذه القنوات، فقد قسمها المختصون إلى ثلاثة أنواع، هي:

- ١ - قنوات الري المكشوفة: ويمثلها بشكل واضح قناة عين فرزان شمال الخرج، وهي عبارة عن قناة مكشوفة طويلة المسار. وقد شقت بين الطمي والصخور، وبنيت بجدران من الحجر المصقول، وقد جاء سقفها على هيئة جملون، استخدم في تشييده ألواح صخرية (الغزي، ١٩٩٦م، ص ٧٣).



رسوم لأشكال حيوانية وكتابات عربية، جنوب وادي الدواسر
أثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ١٥٦

٢ - قنوات الري المحفورة والمسقوفة: ويمثل هذا النوع قناة موقع ٢٠٧-٢٤ بعين الضلعة، وهي قناة تسير باتجاه الشرق، يقول زارينس وآخرون (١٩٧٩م، ص ٣٦) أنه لم يتبق منها شيء. بينما يشير الغزي، ١٩٩٦م، ص ٧٣، الذي زار الموقع، إلى أن مجراها يبلغ عرضه نحو المتر، وعلى جانبي المجرى خطان متوازيان، احتوى كل منهما على سلسلة من القنوات المحفورة، وكانت أجزاؤها العلوية مبنية من اللبن الطيني.

٣ - قنوات الري المعلقة أو ذات الخط المتعرج من الأعلى إلى الأسفل: ويمثل هذا النوع قناة موقع ٢٠٧-٢٨ الواقع في شمال مشيرفة، وهي قنوات تسير باتجاه شرق - غرب لمسافة تصل إلى كيل واحد ونصف، وهي كما يذكر زارينس وآخرون (١٩٧٩م، ص ٣٦؛ الغزي، ١٩٩٦م، ص ٧٤) في حالة سيئة تماماً. والآن لنأت على العنصر الثالث، فبعد اختيار الإنسان للأرض الزراعية، ومعرفة مصدر مياهها، لم يتبق له سوى الأدوات التي يستخدمها في الحرث وتنظيف الأرض وغيره؛ فإضافة إلى الحيوانات التي استخدمها في الزراعة مثل الأبقار والثيران وغيرها، فقد استخدم السكاكين والمعادن التي عُثر عليها في

عدد من المواقع مثل موقعي ٢٠٦-٧٦، ٢٠٦-٦٨ (هويلن وآخرون، ١٩٨٣م، ص٩)، والشفرات الخفيفة المهذبة لقطع المحصول، التي وجدت في العديد من المواقع مثل موقع ٢٠٧-٨٢ بهضبة العرمة (زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص٢٩)، والفؤوس التي عُثر عليها على سبيل المثال في موقع ٢٠٧-٧١ بهضبة العرمة (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص٢٧؛ زارينس وآخرون، ١٩٨٢م، ص٢٧)، بالإضافة إلى المناجل الصوانية، وأحجار لدق الحبوب والمجارش، كما في موقع العبينة (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص١٥٠). وإننا على ثقة تامة بأن الحفريات التي نأمل تنفيذها في المواقع التاريخية أو نشر أبحاث قرية الفاو ستكون كفيلة بإعطائنا المزيد من المعلومات عن الأدوات التي استخدمها إنسان ذلك العصر في منطقة الرياض.

الغذاء:

ليس لدينا أدلة واضحة عن نوعية الغذاء الذي كان معروفًا آنذاك، لكننا نستطيع التأكيد أن الحبوب مثل الشعير والحنطة، استنادًا على عثورنا على الرحي والمدقات والمجارش، كانت هي مصدره الأساس من النباتات، فمنها صنع خبزه بأنواعه المختلفة. أما اللحوم فكانت من الأغنام، والماعز، والغزلان، والأبقار، والجمال، إلا أننا نرى أن الإنسان -آنذاك- لم يكن كثيرًا من تناول اللحوم إلا في المناسبات الخاصة أو العامة مثل المناسبات الدينية. ويحق لنا أن نضيف الخنزير إلى قائمة اللحوم التي كان الإنسان يتناولها، نظرًا لظهوره في أحد المناظر الصخرية، ولا نعرف ما إذا كان أهل الرياض القديم -كما فعل الآشوريون في إحدى مراحلهم التاريخية- قد حرموا أكل لحم الخنزير، في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، (وتحديدًا عام ١٤٠٠ ق.م)، لأنه آنذاك كان محرمًا عند جميع المعبودات (ساكر، ١٩٩٩م، ص٢٣٩)، علمًا بأننا لا نمتلك أدلة واضحة على تحريم تناول لحم الخنزير عند السومريين والبابليين (ساكر، ١٩٧٩م، ص٢٠١). ومن المعلوم أن لحم الخنزير محرم في الديانتين اليهودية والإسلام. وإن أخذنا بالمنظر الجداري الذي عُثر عليه في قرية الفاو وفيه رسم سمك، فإننا قد نقرر أن إنسان الرياض القديم قد عرف الأسماك وتناول لحومها، وإن كان بشكل نادر جدًا، خصوصًا الأسماك التي تعيش في البحيرات والأودية الكبيرة. إضافة إلى اللبن والزبدة والجبن، ولا يستبعد أن يكون الإقط منها أيضًا، المأخوذة كلها من الحليب، الذي يحصلون عليه من الأغنام، والماعز، والجمال، والأبقار. هذا ما كان بشأن الحبوب واللحوم، لكن ماذا بشأن الفاكهة التي عرفها إنسان منطقة الرياض القديم؟ الفاكهة الوحيدة التي نقرر أن سكان قرية الفاو القديم عرفها هي العنب الذي ظهر مرسومًا مرات عدة في الرسوم الجدارية بقرية الفاو. والنوع الآخر، الذي قد يكون إنسان الرياض القديم عدّه نوعًا من أنواع الفاكهة هو التمر، فلا يستبعد أن التمر كان جزءًا من الغذاء الرئيس، فقد انتشرت زراعة النخيل في أنحاء متفرقة في المنطقة، فالرسوم الصخرية التي عُثر عليها مرسومة في جبل وادي عريقية بمحافظة القويعة (الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص٣٧٢)، وعلى جبل

مريببخ غرب قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٣)، وموقع منجور ٢٠٧ - ٢٧، بمنطقة خشم دلقان (زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٨) - تؤكد معرفته التامة بالنخل، وأنه عماد زراعته، وأهم محصولاته التي استفاد منها كثيرًا التمر المعروف بغناه بالسكريات، ولا ننسى الاستفادة من سعفها ولحاءها في العديد من النواحي المختلفة.

وبالنسبة للشراب، فتعتقد أنه لا يخرج عن الحليب، الذي يستفاد منه كما ذكرنا، في الأجبان والألبان. وكذلك أخذ شرابه من الشعير مصدر غذائه الرئيس، حيث وفر الجعة. ومن التمر عرف أيضًا نبيذ التمر، ومن العنب حصل على نبيذه. والجدير بالإشارة أن نبيذ العنب هو من أقدم الخمور، إذ كان معروفًا منذ حضارة جمدة نصر بالعراق (ساكر، ١٩٧٩م، ص ١٩٩)، وكذلك عند المصريين القدماء (دوما، ١٩٩٨م، ص ٨٢٣). وهكذا كان الشعير والتمر والعنب من مصادره التي كان يأكلها ويصنع منها شرابه كذلك.

عاشراً: الألعاب والنشاطات الترفيهية:

لا يخلو أي مجتمع سوي من نشاطات ترفيهية يمارسها أفرادها خلال أوقات فراغهم، بل إن المجتمع الذي لا يمارس نشاطات ترفيهية يعتبر من المجتمعات المستهلكة غير العاملة وغير المبدعة، فالنشاط الترفيهي وممارسته يقترب بالعمل اليومي الجاد. ومجتمع وسط شبه الجزيرة العربية مارس عددًا من النشاطات التي نعتقد أنها كانت جزءاً من نشاطاته الترفيهية ومنها:

الرقص:

وهو نوعان: ديني، وترفيهي، وقد عُرف عند شعوب العالم القديم كافة، فعلى سبيل المثال نجده عند المصريين (دوما، ١٩٩٨م، ص ٧٥٨)، ويكون الرقص أحياناً فردياً يقوم به شخص واحد، وقد دل عليه الرسم التجريدي لشخص راقص، عُثر عليه في جبل خنوفة بالدوايمي (مقدمة عن آثار...، ١٩٧٥م، ص ٢٤)، والثاني جاء من موقع ٢١٧ - ٣٣، لشخص في وضع راقص يحمل رمحاً وترساً بكلتا يديه (زارينس وآخرون، ١٩٨١م، لوحة ٣٥)، وربما يكون لأكثر من شخص نحو المشهد الراقص لعدد من الأشخاص صوروا دون حواسهم الخمس جاء على جبل ماسل في الدوايمي (مقدمة عن آثار، ١٩٧٥م، ص ٢٦). وأحياناً يكون الرقص مختلطاً، يشارك فيه النساء والرجال، كالذي عُثر عليه في بئر حمى وهذا قد يكون من الطقوس الدينية (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٥٢). وكما هو معروف في أيامنا هذه حيث يزاول العمال أو المزارعون الغناء والنشيد الجماعي، وقد ظهر رسم صخري عُثر عليه في جبل مريببخ الواقع غرب قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٣)، يمثل رقصاً ونشيداً ترفيهياً أثناء جني الثمار.

الصيد:

نظر المصريون القدماء إلى الصيد نظرة مقدسة، إذا أن النظام الإلهي - كما اعتقد المصريون القدماء - كان يمتد بفضل إلى أقسام العالم (انظر دوما، ١٩٩٨م، ص٧٧٦). وقد مارس إنسان هذه المنطقة الصيد بأنواعه المختلفة. لكن هل اعتبره مقدسًا مثل المصري القديم؟ لا ندري، لكننا نرجح أنه لم يبتعد في تفكيره وتصوره كثيرًا عن المصري القديم، إذا أخذنا بالحسبان أن الوعول، التي كان يصطادها إنسان المنطقة، تعتبر من الحيوانات المقدسة، مما يعني وجود نوع من أنواع الصيد المقدس. وقد صاد إنسان المنطقة الوعل، والماعز، والجمال... إلخ، وسجل ذلك في مناظر جاءت من وادي الدواسر (كباوي وآخرون، ١٩٩٦م، ص٤٧)؛ وهناك لوحة تمثل رحلة لصيد جمال يقوم بها شخص يمتطي صهوة فرس (الأنصاري، ١٩٨٢م، ص٢٤). كما مارس إنسان المنطقة صيد الضب، منذ ما يزيد عن ألفي عام من الآن، فقد أوضح "أفن" في نقشه بالقلزم التمودي مطاردته لضب كما ذكر أعلاه.

الأحجيات:

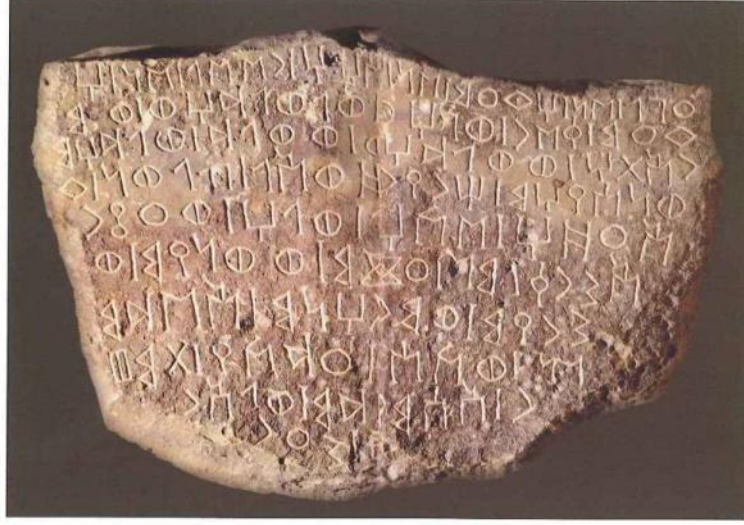
على الرغم من أننا قد اعتبرنا بعض الرسوم الهندسية غريبة الشكل ذات بُعد ديني عقدي، والتي جاءت في عدد من المواقع (الغزي، ١٤١٩هـ، ص٣٧)، وجبل النصلة بحرمة (الرسيني وآخرون، ١٩٧٥م، ص٢٤، ٣١)، إلا أن بعضها قد يكون نوعًا من أنواع الألفاظ والأحجيات التي كان يمارسها أبناء المنطقة آنذاك، أو ضريبًا من الكتابات اللغزية والطلسمية وهو أمر يصعب تأكيده.

المبارزة:

أحد الأنشطة الترفيهية المهمة التي مارسها وافتخر بها العربي القديم، وجاءت المبارزة في مناظر عدة، منها المنظر الذي يمثل شخصين يتبارزان مستخدمين السيف و الترس (Thompson, 1994, p. ١٩)، وعثر عليه على صخرة تبعد مئة كيل جنوب الرياض (طيران، ٢٠٠٦م، ص٤٥)، وآخر عُثر عليه في موقع منجور، ٢٠٧-٣٧ بخشم دلقان وقد رسم على ارتفاع يقارب ٢٥سم، يمثل أيضًا شخصين، يتبارزان، لكن هذه المرة وهما يحملان بأيديهما هراوات (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص٣٢).

الرسم:

مارس ابن المنطقة الرسم كنوع من الترفيه، وكذلك للكسب المالي، بوصفه وظيفة يحصل من خلالها على دخل اقتصادي ثابت مثل رسام قرية الفاو، الذي كان يمارس مهنته في حانوته إن كان سوقًا، أو في ورشته إن كان قصرًا ملكيًا، والطريف أن المنتقبين عثروا على حوض صغير يذكر الأنصاري (١٩٨٢م، ص٢٤) أن آثار المادة اللونية الحمراء التي كان يحتويها ما زالت باقية فيه حتى اليوم، وكذلك الرسوم



شاهد قبر عجل بن هفعم
المصدر: قسم الآثار والمتاحف

الحيوانية، والنباتية، والهندسية، التي ظهرت على الأواني والقطع الفخارية، أو على المسكوكات، أو على الخزف أو المباخر، فهي على الأرجح قد رُسمت من رسام امتهن الرسم، كما ذكرنا للحصول على دخل اقتصادي معين؛ لكن ما نقصده بالرسم الترفيهي هو الذي يأتي غالباً على صخور الجبال، المعروف بالرسوم الصخرية. وقد تنوعت مواضيعه مثل مناظر الصيد، التي تجمع أشكالاً آدمية وحيوانية، كالمنظر الذي عُثر عليه في وادي الدواسر (كباوي وآخرون، ١٩٩٦م، ص ٤٧). والرسوم الحيوانية الأخرى أيضاً الأخرى (انظر أعلاه). أو مناظر الحروب والمعارك التي يظهر فيها أشخاص يمتطون خيولاً، عُثر عليها جنوب الرياض بمئة كيلاً (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥)، كما جاءت رسومات أخرى من الجائر تفسيرها أنها مثل المنظر الذي عُثر عليه في موقع ٢٠٦-٥٧ الرسوم الساخرة، وهو عبارة عن أشخاص ذوي عصي وذيول وأذرع مبالغ في طولها (زارينس وآخرون، ١٩٨٠م، ص ٣٢)، والمنظر الآخر الذي صور في الموقع ٢١١-١٠، وهو عبارة عن أشكال آدمية لها رؤوس مستديرة وأذرع مقوسة قليلاً من الجانبين ذات طول غير متناسق (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٤٥)، وأخيراً المنظر الذي جاء من موقع ٢٠٧-٣٧، المعروف باسم منجور في منطقة خشم دلقان (طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٤).

حادي عاشر: الكتابات:

كما تميز إنسان هذه المنطقة بإعمارها الواضح لها بهذا العدد الوفير من المواقع الأثرية العائدة للعصور المختلفة، فقد امتاز باستيعابه للاختراع الجديد الذي غير وجه التاريخ، وهو مزاولته للكتابة، للتعبير عن أشجانه وهمومه، ولتوثيق ما يرغب في توثيقه. ورغم أن المنطقة لأسباب لا نستطيع تحديدها، (لبعض هذه الأسباب انظر علي، ١٤٢١هـ، ص ٨٩) لم تحظ من المختصين بدراسات علمية دقيقة، إلا في السنوات الأخيرة فقط، فإن ما عُثر عليه -حتى الآن- من النقوش العربية يقدم صورة واضحة عن النشاط الجيد الذي قام به إنسان المنطقة في الجدار الحضاري لشبه الجزيرة العربية. فالصورة التي رسمها البعض، إما تعمدًا أو لعدم معرفته بآثارها، يبددها العدد الواضح من المواقع الأثرية والكتابات العربية القديمة، وهذا التنوع الحضاري في المعثورات والكتابات يدل على أن المنطقة وإن كانت في بعض مراحلها طاردة، فإنها أيضًا كانت حاضنة لمن يريد أن يتفاعل مع بيئتها وظروفها بالشكل الصحيح. فقد تم التعرف -حتى الآن- على ثلاثة أنواع مختلفة من الكتابات، هي: الكتابات العربية الجنوبية المعروفة بالمسند بلهجاته المعينية والحميرية والسبئية، والكتابات العربية الشمالية، وتحديدًا ما عُرف منها بالخط الثمودي، والكتابات النبطية، وإن تميزت المواقع الجنوبية في المنطقة مثل الدوادمي ووادي الدواسر بانتشار واضح لمئات النقوش العربية المبكرة خصوصًا الجنوبي والشمالي منها، فإن بقية المناطق سواء الشرقية منها مثل جبل برمّة، والشمالية مثل موقعي ملهم والقرنية -تضمنت عددًا لا بأس به من هذه النقوش التي تزيد على المئة نقش بكثير.

١١/١: الكتابات العربية الجنوبية:

وهي نصوص انتشرت بالمئات خاصة في المواقع الجنوبية من منطقة الرياض، وقد غطت جوانب مختلفة من حياة الفرد آنذاك. فمنها التذكاري التقريبي، والمعماري، وتحديدًا الجنائزي (حسب المنشور حتى الآن)، والسياسي ذو الطابع الحربي. فالنقوش التذكارية جاءت بالمئات، منها المنشور (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٤٤١؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٩-٦٠)، وغير المنشور، وهي أيضًا جاءت بالمئات، فقد تسنى لي شخصيًا برفقة الأخ عبدالعزيز بن سعود الغزي، الاطلاع على العشرات من النقوش التي قام بتصويرها وتسجيلها الأخ عبدالعزيز اللعبون من مواقع بجنوب وادي الدواسر ومحافظة السليل؛ نأمل أن ترى هذه المجموعة من النقوش النور قريبًا. وكما جاءت هذه النصوص التذكارية بكثرة في جنوب المنطقة، فإنها كانت نادرة جدًا في وسطها وشماليها، فلم يُعثر -حتى الآن- على سوى ثلاثة نقوش، واحد في موقع ملهم (الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٥١٦)، والثاني في القرينة (عند الجاسر، ١٣٩٥هـ، ص ٦٢٢)، والأخير جاء مكتوبًا على جبل يقع شمالي غرب مدينة الرياض بنحو مئة كيل (الحمود، ١٤٢٣هـ، ص ٢٤-٢٥)، وهو عبارة عن كلمة واحدة تتكون من ثلاثة حروف تقرأ هكذا: قَيْس، وهو على الأرجح اسم علم لشخص.

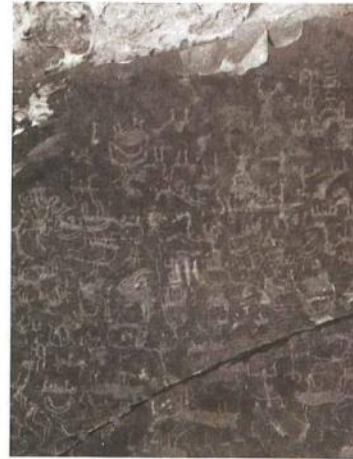
أما النقوش الجنائزية المعروفة حتى يومنا الحاضر فهي ثلاثة، أحدها يعود لشخصين من عامة الناس عُثر عليه في خشم الواد، الواقع شمالي غرب قرية الفاو ببضعة أكيال (الأنصاري، ٧٣-١٩٧٤م، ص ٢٣) وهو يقرأ هكذا:

(و) ج ر ت م م و د س م م قَبْرَ تميم وداسم.

وكان الأنصاري (٧٣-١٩٧٤م، نق ٦) قد قرأ الحرف الذي تلا العلم د س م، وأوًا، لكن رسم النقش (الأنصاري، ٧٣-١٩٧٤م، ص ٥١ نقش ٦) يبين صعوبة قراءته وأوًا، إذ إنه أقرب إلى شكل حرف الحاء بالقلم الثمودي، والميم بالمسند الجنوبي، أما الثاني فهو نقش يعود إلى أحد عليّة القوم ووجهاء قرية الفاو المدعو عجل بن هفعم، الذي شيد مدفنًا خاصًا به وعائلته وزوجته وأولاده، مضيًا إليهم أخاه ربيب إل وأحفاد أحفاده وأحفادهم. وقد قام بعض المختصين مثل: الأرياني (١٩٨٣م، ص ١٨٩-٢٠) وعبدالله (١٩٩٠م، ص ٨٨) والذبيب (١٩٩٨م، ص ٢١٩-٢٢٠)، بإعادة قراءة هذا النص المقروء في الأصل من الأنصاري (١٩٧٧م، ص ٨٦٤-٨٧٥؛ والأنصاري، ١٩٧٩م، ص ٨) مرجحين تفسيرات جديدة خصوصًا لبعض الكلمات التي وردت في الأسطر من السادس إلى العاشر، إلا أن محرر آثار منطقة الرياض (٢٠٠٣م، ص ١٥٨) لم يأخذ هذه التصويبات بالحسبان، وسنورد هنا القراءات الثلاث، ومن ثم قراءتنا لهذا النص، التي سبق أن نشرناها في عام ١٩٩٨م.



نقوش ثمودية بالقرب من سد ملهم
أطلال ١٦، ٢٠٠١م، لوحة ٧٥ ب



نقوش صخرية ثمودية ورسومات مختلفة من موقع ٢٠٧-٣٧
أطلال ٣، ١٩٧٩م، لوحة ١١ ب

قراءة الأنصاري	قراءة يوسف عبد الله	قراءة الأرياني
٥ - فأعاده بكهل ولاه وعثر	فأعاده (أي القبر) بكهل ولاه وعثر	فأعاذ بكهل ولاه وعثر
٦ - أشرق من كل ضيق ووني	(الشرق من كل عزيز (قوي) ووان (ضعيف	الشارق من كل قوي وضعيف
٥ - وشر زوجاتهم ابدا	وشار (أي مشتر)، ومرتهن (أي راهن) أبداً	وشار ومرتهن أبداً
٨ - من كل خسارة وإلا فلتمطر	ما بني واكس (و) عدة ما تمطر	ومن كل منتقص إلى أن تمطر
٩ - السماء دماً والأرض	السماء ديمًا و(تبت) الأرض	السماء دمًا والأرض
١٠ - سعيًا	شعيًا	سعيًا

أما قراءتنا المقترحة، فهي على النحو الآتي:

- ١ - عجل بن هفعم بنى لآخيه ربيب إل بن
- ٢ - هفعم قَبْرًا و(هو) له ولأولاده (لولده)
- ٣ - وامرأته وأحفاده وأحفاد أحفاده
- ٤ - ونسائهم الحرائر من آل غلوان
- ٥ - فأعاده (أي القبر) بكهل والله (لاه) وعثر
- ٦ - الشرق من كل جبار ووان (وضيع)
- ٧ - وشار وراهن، دائمًا (أبدًا)
- ٨ - من (أي) مخرب. وإلا تمطر
- ٩ - السماء دومًا والأرض (تخرج)
- ١٠ - مرضًا (امراضًا)

وآخر هذه النصوص الجنائزية (القبورية)، يعود لأحد ملوك قرية الفاو (الأنصاري، ١٩٧٩م، ص ٨). الذي قرأه على النحو الآتي:

- ١ - قَبْرٌ مُعَاوِيَةَ بْنِ رَبِيعَةَ مِنْ آل ...
- ٢ - القحطاني مَلِك قحطان ومذجع بنى عليه
- ٣ - عَيْدَهُ هَفْعَمُ بْنُ بَرَانَ م ...

ونشر الألماني كروب (Kropp, 1992, p.55) دراسة لنص نشرت صورته الفوتوغرافية من الباحث وفيق غنيم (Ghoneim, 1980, pp.317-24)، الذي عَمِلَ فِي التَّقْيِيبَاتِ الأثرية بقرية الفاو لمدة تزيد عن العقد. وقد بين أنه نصٌّ تقريبي للمدعو يعمر، الذي تقرب للإلهة (اللات) ببناء رواق لمعبدها. ويذكرني أسلوب كتابة النص بالأسلوب المعروف عند الآراميين خلال القرن السابع قبل الميلاد، واللافت للانتباه أن هذا النص يبين مدى الود الجيد والراقي الذي كان يكتفه إنسان الرياض القديم، وتحديدًا سكان قرية الفاو، تجاه عبيده، فقد أشركهم مع أولاده بهذا النص التقريبي، فهو من النصوص القليلة بخلاف النص

النبطي (الذبيب، ١٩٩٨م، نق١٢٠)، الذي يشرك فيها هؤلاء عبيدهم أو جواريتهم في أعمالهم التقريبية للآلهة. ويقرأ النص على النحو الآتي:

يعمر بن عامس بن آل (عشرة) علي من قبيلة احنكن
بنى للآلهة (اللات) رواقها هذا لسلامته وسلامة
أولاده، وعبيده، فاستجاب لهم (فاستجاب لدعائهم).

هذا ما كان بشأن النقوش التذكارية والجنازية والتقريبية. لكن ماذا بشأن النقوش السياسية الحربية، فإن كانت الكتابات التذكارية والجنازية قد كتبت من أهل المنطقة أنفسهم، فإن هذين النقيشيين السياسيين الحربيين، برغم العثور عليهما في حدود منطقة الرياض، قد كتبا من قبل أفراد من الجيش الحميري الذي قَدِمَ لشن حملات عسكرية في المنطقة؛ وهو ما قد يعني أن الجيش الحميري كان يرافقه كاتب خاص مهمته كتابة الحملات العسكرية الخاصة بملكه وتوثيقها، تماماً كما كان يفعل الجيشان اليوناني والروماني بالسماح للمؤرخين بمرافقتهم خلال حملاتهم العسكرية بغرض توثيق هذه المعارك والفتوحات لاحقاً.

والنص الأول (Ryckmans, 1953, 509)، هو للملك الحميري أب كرب أسعد، ويعود إلى الربع الأول من القرن الخامس الميلادي.

- ١ - أب كرب أسعد وابنه حسان يها من ملكا سبأ
- ٢ - وذى ريدان وحضرموت ويمنة، واعراب طود وتهامة
- ٣ - ابنا حسان مالك كرب يها من ملك سبأ وذى
- ٤ - ريدان وحضرموت ويمنة قطعوا هذا المقطع بالوادي
- ٥ - مأسل الجمع عندما ساروا وحلوا بأرض
- ٦ - معد وضمو قطناً من شعوبهم (عشائر معد) بمعية شعوبهم (من)
- ٧ - حضرموت وسبأ أبناء (ي) مأرب وصغار
- ٨ - الأقيال والراجلة (المشاة) وكل قادتهم
- ٩ - ومن يليهم ورماتهم وأعوانهم (وبصحبة) أعرابهم
- ١٠ - من كندة وسود وغله

أما النقش الثاني، وهو للملك الحميري معدي كرب يعفر، فيعود إلى سنة ٥١٦م، وهو يشير إلى أن قدومه للمنطقة كان بغرض دعم القبائل العربية المتحالفة معه لقتال ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء، ويقرأ النص (Ryckmans, 1953, 510) على النحو الآتي:

- ١ - معد كرب يعفر ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت
- ٢ - ويمنه واعرابهم في النجاد والتهائم

- ٣ - أعلنوا ودونوا هذا النص في مأسل الجمع
 - ٤ - عن الحملة التي قاموا بها في عرق (سهل) كتأ لنصرة من
 - ٥ - استنصروهم من العرب الثائرين المحاربين للمنذر
 - ٦ - وقد تحاربت قبائل سبأ وحمير ورحبتن
 - ٧ - وحضرموت ويحن ومعهم قبائل كندة
 - ٨ - ومذحج ومعهم بني ثعلبة ضد المنذر الذي استسلم
 - ٩ - وفي شهر قيظان من سنة إحدى وثلاثين وستمئة
- وجاءت هذه النقوش، بخلاف النقوش النبطية والتمودية، مكتوبة أيضاً على المعادن، مثل المسكوكات والتمائيل، والعظام، والأخيرة ظاهرة لم تظهر حتى الآن، إلا في الفاو، التي استخدم أهلها العظام للكتابة. كما جاء خط الزبور، وهو خط سريع مشبك، مكتوباً على جدران المنازل.

١١/٢: الكتابات التمودية:

أطلق المهتمون على هذا النوع من النصوص، الكتابات التمودية، استناداً إلى ظهور لفظة هـ ث م د، أي "التمودي"، التي ظهرت ست مرات في هذه النقوش (انظر JS 280, 300, 339)، وقد استمر استخدام هذا الخط من القبائل العربية لفترة تصل إلى ألف ومائتي سنة، وتحديدًا من الفترة الواقعة فيما بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد حتى الرابع الميلادي (الذبيب، ١٩٩٩م، ص ٧-٢٨). ويمتاز هذا الخط بخلاف الخطوط العربية الأخرى (النبطي، اللحياني، الصفوي، المسند الجنوبي) بأمرين: انتشاره تقريباً في كل موقع أثري يتضمن رسوماً صخرية في شبه الجزيرة العربية، والثاني أنه أكثر الخطوط العربية القديمة استخداماً، إذ يصل عدد النقوش المعروفة المكتوبة به، حتى يومنا الحاضر، إلى ما يزيد عن عشرين ألف نقش، ولهذا يمكن عدّه بحق الخط الشعبي لشعوب شبه الجزيرة العربية وقبائلها. وبالنسبة لمنطقة الرياض، فالمعروف من النصوص التمودية - حتى يومنا هذا - يعد بالمئات، لا يتعدى المنشور منها، حسب علمنا، العشرين نصاً (انظر على سبيل المثال عند الجاسر، ١٣٩٥هـ، ص ٦٣٠-٦٣٧؛ الحمود، ٩٧-١٩٩٨م، ص ٤٩٤-٥٠٣). أما بقية ما عرفناه من النقوش فجاء إما عن طريق المسح الأثري الذي قام به الباحثون في وكالة الآثار والمتاحف (انظر على سبيل المثال، زارينس وآخرون، ١٩٧٩م، ص ٣٣؛ كباوي وآخرون، ١٩٩٦م، ص ٤٥-٥٢؛ الرسيني وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٢١٦؛ الرسيني وآخرون، ٢٠٠٢م، ص ١٤١-١٤٢)، أو بجهود مواطنين محليين مهتمين بالمحافظة على تراث الوطن وآثاره (انظر مثلاً الغزي، ١٩٩٥م؛ الغزي، ١٩٩٥م أ؛ الحمود، ١٤٢٣هـ، ص ٢٣-٢٥؛ الحمود، ٢٠٠٠م). كما وردت عدة نقوش على شكل معلومات مبعثرة في عدد من الدراسات (انظر مثلاً الثقافة التقليدية (٢)، ٢٠٠٠م، ص

ص ٧٤، ٨٢، ٥١٦-٥١٧: الثقافة التقليدية (١)، ٢٠٠٠م، ص ٤٤١-٤٤٤؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٨-٦٠؛ آثار منطقة، ٢٠٠٣م، ص ١٥٤-١٥٦)، وجميع هذه النصوص التمودية يمكن اعتبارها في الغالب نقوشاً تذكارية، عكست مفاهيم سائدة آنذاك، في مجتمع الرياض القديم، كالصداقة والود والعلاقات الأخوية؛ مثل النقش التمودي رقم ٧ (الحمود، ٩٧-١٩٩٨م، ص ٥٠٠) المقروء هكذا: أَبْ خَلَصْ وَدَّ بَلَّاعْ، أو النقش المقروء: حَوِّذْ يَتَمَنَّى الْخَيْرَ لَسْتَلْ (انظر عند الجاسر، ١٣٩٥هـ، نق ٢). كما أنها جاءت مكتوبة على واجهات الصخور الجبلية، فيما عدا نقشين: الأول عُثِرَ عليه محفوراً على لوح حجري صغير بالثمامة على بعد تسعين كيلاً شمالي غرب الرياض (أبودرك وآخرون، ١٩٨٤م، ص ٩٨)، والثاني حجر صغير عُثِرَ عليه في موقع لبن، عليه علم لشخص يقرأ: سَنَدَ (الحمود، ١٤٢٣هـ، ص ٢٣).

١١/٣: الكتابات النبطية:

وهي الكتابات المنسوبة إلى القبائل النبطية، التي هاجرت كما نعتقد من منطقة شمال القصيم إلى الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية خلال القرن السادس قبل الميلاد (الذبيب، ٢٠٠٢م، ص ٣-١٢)، عندما تمكنوا من استغلال الفراغ السياسي في المنطقة، بعد سقوط الأدوميين نتيجة للغزو الفارسي للشرق القديم. والنقوش النبطية التي عُثِرَ عليها في المنطقة هي ستة نقوش فقط، ثلاثة منها كتبت على واجهة أحد جبال محافظة المجمعة (بار وآخرون، ١٩٧٨م، ص ٥٧؛ طيران، ٢٠٠٦م، ص ٥٨)؛ مع أنني لم أطلع على الصور الفوتوغرافية لهذه النصوص، لتحقق من نوعها بشكل واضح، إلا أنني أجد في الباحث الإنجليزي بيتر بار الخبرة الكافية في تحديد النقوش النبطية ومعرفتها، فهو صاحب خبرة طويلة وعالية في الفخار النبطي. أما النقوش الثلاثة الأخرى فجاءت من موقع قرية الفاو، أحدها يتضمن تأكيداً واضحاً على نبطيته (الذبيب، ٢٠٠٢م، ص ١٠١)، وهو يقرأ كما يلي:

س ع د ل ه ي ب ر ت ي م ش م س ب ن ه ن ف س ي ا ل ك
سَعْدُ اللَّهِ (سَعْدُ الإله) بَن تَيْم شمس بنى تلك (هذه) المقابر

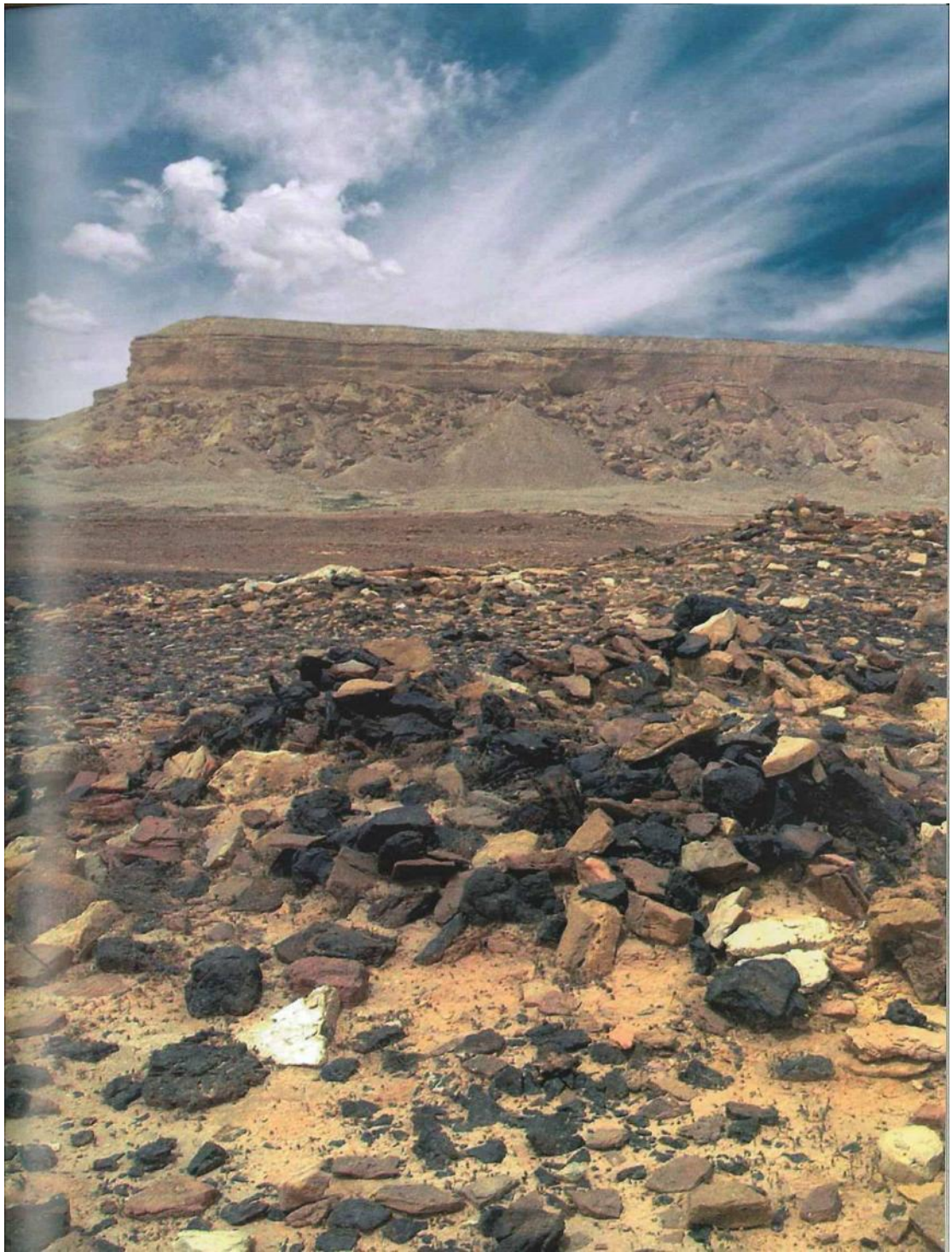
والطريف أن النص يشير إلى الاستقطاب الذي تمتعت به قرية الفاو في القرن الثاني الميلادي؛ وإلى الثراء والغنى الذي كان أهل قرية الفاو يعيشونه، مما دفعهم إلى جلب نبطيٍّ، وهم المعروفين ببناء المقابر، لا ليقوم بالبناء والتشييد فقط، بل ليصمم المدافن في قرية الفاو ويخططها على النمط النبطي الذي كان معروفاً في مدائن صالح خلال الفترة الواقعة فيما بين أواخر القرن الأول قبل الميلاد، والأول الميلادي، والتي جاءت بقرية الفاو محفورة ومطمورة في الأرض^(١).

(١) يشير الدكتور سالم بن أحمد طيران، قسم الآثار والمتاحف، الذي عَمِلَ في حفريات قرية الفاو خلال المواسم الأخيرة في أنه لم يكشف في قرية الفاو حتى الآن سوى عن مقبرة واحدة كانت على النمط النبطي.



المصادر والمراجع





المصادر والمراجع

المراجع العربية

- آثار منطقة .. (٢٠٠٣م)
آثار منطقة الرياض، الرياض: وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية.
- إرمان، أدولف، (د. ت)
ديانة مصر القديمة؛ ترجمة عبد المنعم أبويكر، ومحمد أنور شكرى، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي وأولاده.
- إيدنز، كريستوفر، (١٩٨٢م)
"العصر الحجري الحديث في الربع الخالي العربي ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م"، أطلال ٦، ص ١٠٧-١٢٧.
- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (١٩٨٢م) الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر.
- أحمد، محمود عبد الحميد، (١٩٨٨م)
الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين، والشام إلى مصر، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- إدزارد، د.، (٢٠٠٠م)
قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)؛ ترجمة: محمد وحيد خياطة، بيروت: دار الشرق العربي.
- الأرياني، مطهر علي، (١٩٨٣م)
"إعادة للنظر في نقش عجل بن هفعم في قرية الفاو"، دراسات يمنية، ١٣، ص ١٨٩-٢٠٤.
- إسماعيل، فاروق، (١٩٩٧م)
اللغة الآرامية القديمة، حلب: منشورات جامعة حلب.
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن، (د. ت)
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، (١٩٦٨م)
بلاد العرب: تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
- الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي، (١٩٦٩م)
الأغاني، القاهرة: دار الشعب.
- الأمين، يوسف مختار، (٢٠٠٣م)
"العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية"، أدوماتو ٨، ص ٧-٤٠.
- الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، (١٩٨٣م)
جمهرة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، (١٩٨٢م)
قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض: جامعة الرياض، [جامعة الملك سعود حاليًا]، (١٩٨٤م)

- البلاذري، أحمد بن يحيى .. (١٩٥٩م)
أنساب الأشراف، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (١٩٩١م)
- الثقافة التقليدية (١)، .. (٢٠٠٠م)
الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، الآثار، مج ١، الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق.
- فتوح البلدان، اعتنى بمراجعته رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- بيلي، لويس (١٩٩١م)
رحلة إلى الرياض، ترجمها وحققها وقدم لها عبد الرحمن عبد الله الشيخ، وعويضة الجهني، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات.
- فينافكتورفتا، بيغوليفسكي .. (١٩٨٥م)
العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى السادس الميلادي: ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت: قسم التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- بيك، وليم هـ .. (١٩٨٧م)
فن الرسم عند قدماء المصريين: ترجمة: مختار السويفي، ومراجعة أحمد قدرى، القاهرة: وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية.
- بوتس، دانيال .. (٢٠٠٣م)
الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة: إبراهيم خوري، تعليق وتقيق أحمد عبدالرحمن السقاف، أبوظبي: مجمع الثقافة.
- بيستون، جاك ريمانز؛ محمود الغول؛ والترمولر .. (١٩٨٢م)
المعجم السبئي (بالانجليزية والفرنسية والعربية): لوفان لانف: دار نشر بيترز، بيروت: مكتبة لبنان.

- "الموسم الرابع لحفريات قرية (الفاو): تقرير مختصر"، في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ص ١١-٢٤، (٧٣-١٩٧٤م)
- لمحات عن القبائل العربية البائدة، الرياض: جمعية التاريخ والآثار، جامعة الرياض..... (١٩٧٧م)
- "أضواء جديدة على دولة كندة"، مجلة العرب، ج ١١، ص ٩٨-١٠٩، (١٩٧٩م)
- "أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثاري قرية الفاو ونقوشها"، في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج ١، ص ٣-١٢، (١٤١٩هـ)
- "كتابات من قرية (الفاو)"، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج ٢، السنة الثالثة، ص ٢٧-٥٩.
- باخشوين، فاطمة علي .. (٢٠٠٢م)
الحياة الدينية في معاليك معين وقتبان وحضرموت، الرياض: د. ن.
- بار، بيتر وآخرون .. (١٩٧٨م)
"التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشمالية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م"، أطلال ٢، ص ٣١-٥٩.
- بافقيه، محمد عبدالقادر، ألفريد بيستون، كريستيان رويان، محمود الغول .. (١٩٨٥م)
مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس: المنظمة العربية للثقافة والعلوم.
- باقر، طه .. (١٩٧٣م)
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد: منشورات دار البيان.
- بدنارك، روبرت، مجيد خان .. (٢٠٠١م)
"دراسة تحليلية لبعض الرسوم الصخرية في شمال المملكة العربية السعودية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م"، أطلال ١٧، ص ١٨٧-١٩٧.

- التمامي، منيرة حمد، (١٤١٩هـ) مجامر قرية الفاو، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- الثقافة التقليدية (٢)، (٢٠٠٠م) الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع، مج ٢، الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق.
- الجادر، وليد، (١٩٨٥م) "الأزياء والأثاث" في حضارة العراق، مج ٤، بغداد: دار الحرية للطباعة، ص ٢٢٣-٤٠٤.
- الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية من جزيرة العرب (٢) (١٩٩٣م) "لمحة عن عمران الخرج قديماً"، المجلة العربية، ١٩، ص ٢٠-٢١.
- ابن حبيب، (١٣٦١هـ) المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، بيروت: دار الأفاق الجديدة.
- الجرو، أسمهان، (١٩٩٢م) "الديانة عند قدماء اليمنيين"، دراسات يمنية ٤٨، ص ٣٢٣-٣٧١.
- جرنبي، أ.، (١٩٩٧م) الحثيون؛ ترجمة: محمد عبد القادر محمد، ومراجعة فيصل الوائلي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحميري، وهب بن منبه، (١٣٧٤هـ) التيجان في ملوك حمير، صنعاء: مركز الدراسات اليمنية.
- الجراح، صالح رشيد، (١٩٩٣م) أسماء الأماكن والمواضع في النقوش الصنفوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم النقوش، معهد الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك، إربد-الأردن.
- الحربي، إبراهيم أبو إسحق، (١٣٨٩هـ) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة للنشر والتوزيع.
- أبو الحسن، حسين بن علي، (١٩٩٧م) قراءة لكتابات لحياينة من جبل عكمة بمنطقة العلا، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الحمود، محمد بن سعود، (١٤٢٣هـ) "النقوش الصخرية في الرياض" مجلة مدينة الرياض، أمانة مدينة الرياض ٣٤، ص ٢٣-٢٥، (٢٠٠٠م) "اكتشاف ثلاثة مواقع تحوي كتابات ثمودية ورسومًا قرب الرياض"، جريدة الشرق الأوسط، ع ٧٨٥٢، ص ٢٢، (٩٧-١٩٩٨م) "نقوش ثمودية من جبل الطعينة في شمال مدينة القويعة"، عالم المخطوطات والنوادر، مج ٢، ص ٤٩٢-٥٧، (١٤١٩هـ) من آثار مدينة الرياض وما حولها، الرياض: د. ن. وآخرون، (٢٠٠٠م) "تقرير وصفي للمواقع الأثرية والتاريخية لمدينة الرياض وما حولها"، أطلال ١٥، ص ١٢٥-١٨٥.
- الدباغ، تقي، (١٩٨٨م) "السلاح في عصر ما قبل التاريخ" في حضارة العراق، مج ١، بغداد: دار الحرية للطباعة، ص ٩-٧٦.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (د. ت) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار البيان.

- ابن خميس، عبدالله بن محمد .، (١٣٩٨هـ)
المجاز بين اليمامة والحجاز، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، (١٤٠٧هـ)
تاريخ اليمامة: معاني الديار وما لها من أخبار وآثار، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.

- ديروش، كريستيان .، (١٩٩٠م)
الفن المصري القديم: ترجمة: محمود خليل النحاس، وأحمد محمد رضا، ومراجعة عبد الحميد زايد، القاهرة: د.ن.

- ألدريد، سيريل .، (د.ت).
الفن المصري القديم: ترجمة: أحمد زهير، ومراجعة محمود ماهر طه، القاهرة: وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية.

- أبو درك، حامد .، وعبدالجواد مراد، محمد البراهيم .، (١٩٨٤م)
"الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث"، أطلال ٨، ص ٩٧-١٠٣.

- الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داود
الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة جمال الدين الشيال، القاهرة، سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

- دوما، فرانسوا .، (١٩٩٨م)
حضارة مصر الفرعونية: ترجمة: ماهر حويجاتي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة رقم: ٤٨.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود .، (١٩٨٨م)
- الأخبار الطوال، بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر.

- الذبيبي، سليمان بن عبد الرحمن .، (١٩٨٨م)
نقوش الحجر النبطية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٩٩١م)

"نقوش صفوية جديدة من شمالي المملكة العربية السعودية"، العصور، مج ٦، الجزء الأول، ص ٣٥-٤١، (١٩٩٢م)
"نقوش نبطية جديدة من قارة المزد، ساكاكا - الجوف: المملكة العربية السعودية"، العصور، مج ٧، الجزء الثاني، ص ٢١٧-٢٥٤، (١٩٩٤م)

"دراسة تحليلية جديدة لنقوش نبطية من موقع القلعة بالجوف: المملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (١)، مج ٦، ص ١٥١-١٩٤، (١٤١٣هـ)
"نقوش صفوية جديدة من متحف دار الجوف للعلوم"، الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة عشرة، رجب، شعبان، رمضان. ص ١٣٠-١٦٠، (١٤١٣هـ)

"نقوش نبطية من جبل النيصه بالجوف، المملكة العربية السعودية"، الدارة، العدد الثاني، السنة التاسعة عشرة، المحرم، صفر، ربيع الأول، ص ٧-٢٤، (١٩٩٤م)
دراسة تحليلية للنقوش الأرامية القديمة في تيماء: المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٩٩٥م)
دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة من شمال غرب المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٩٩٦م)

"نقوش صفوية جديدة من متحف قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود (مجموعة رقم ٢)"، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (٢)، مج ٨، العدد الثاني، ص ٣٧٥-٤٠٦، (١٩٩٧م)

"نقوش صفوية جديدة من متحف قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود (٣)"، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (١)، مج ٩، العدد الأول، ص ٢٥٩-٢٨٨، (١٩٩٧م ج)

"نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية"، دراسات، مج ٢٤، العدد الثاني، ص ٣٥٧-٣٦٩، (١٩٩٨م)
نقوش الحجر النبطية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٩٩٨م)

- الراشد، عبدالله محمد .. (١٤٢٠هـ)
الاستيطان في وادي حنيفة من القرن الأول حتى منتصف
القرن التاسع الهجري، دراسة أثرية، الرياض: د. ت.

- رايس، مايكل .. (٢٠٠٢م)
الآثار في الخليج العربي: ٢٢٣-٥٠٠ ق. م، ترجمة صالح
محمد علي، وسامي الشاهد، مراجعة أحمد السقاف، وناصر
العبودي، أبوظبي: المجمع الثقافي.

- الرسيني، إبراهيم، ضيف الله الطلحي، خليفة الخليفة،
إبراهيم السبهان، خالد الحافي .. (٢٠٠١م)
"تقرير عن مسح محافظة المجمعة والمراكز التابعة لها:
الموسم الأول لعام ١٤١٦هـ / ١٤١٧هـ" أطلال، ١٦، ص
١٩٩-٢٥١، إبراهيم السبهان، عبدالله الهدلق، سعود
الشويش، سعد العتيبي، محمد الحمود .. (٢٠٠٢م)
"تقرير عن مسح محافظة المجمعة والفاظ: الموسم الثاني
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م" أطلال، ١٧، ص ١١٩-١٤٣.

- رشيد، فوزي .. (١٩٨٥م)
"الجيش والسلاح"، في حضارة العراق، مج ٢، بغداد: دار
الحرية للطباعة، ص ٣٩-٦٢، (١٩٨٥م)
"الموسيقى" في حضارة العراق، مج ٤، بغداد: دار الحرية
للطباعة، ص ٤٠٥-٤٥٠، (١٩٨٨م)
"الجيش والسلاح في عصر فجر السلالات" في حضارة
العراق، مج ١، بغداد: دار الحرية للطباعة، ص ٧٧-١٠٣.

- الروسان، محمود محمد .. (١٩٨٩م)
"كنة في النقوش العربية القديمة"، كنة ١، ص ١١-١٤.

- زارينس، يوريس .. (١٩٧٩م أ)
"الرجايل: موقع فريد من الألف الرابع ق. م"، أطلال ٣،
ص ٨٥-٨٩، محمد البراهيم، دانييل بوتس، كريستوفر
ايدنز .. (١٩٧٩م)

"نقوش صفوية من موقع أم سحب، المملكة العربية السعودية"،
مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (١)، مج ١٠، العدد الأول،
ص ١٧٢-٢٠١ (١٩٩٩م)

"نقوش عربية شمالية من جبل أم سلمان بمحافظة حائل
بالمملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب
(٢)، مج ١١، العدد الأول، ص ٣٠٥-٣٩٨، (١٩٩٩م أ)
نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة
الملك فهد الوطنية، (١٩٩٩-٢٠٠٠م)

"نقوش عربية من منطقة حسمى بتبوك"، مجلة كلية الآداب،
جامعة الإسكندرية، ص ٤٠٨-٤٤٤، (٢٠٠٠م)

نقوش قارا التمودية بمنطقة الجوف: المملكة العربية
السعودية، الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية،
(٢٠٠٠م أ)

المعجم النبطي، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية،
(٢٠٠٠م ب)

دراسة لنقوش ثمودية من جبة بحائل: المملكة العربية
السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (٢٠٠١م)
"نقوش نبطية من قاع المعتدل"، مجلة جامعة الملك سعود،
م ١٣، الآداب (٢)، ص ٣١١-٣٣١، (٢٠٠٢م)

نقوش جبل أم جذايد النبطية، الرياض: مكتبة الملك فهد
الوطنية، (٢٠٠٤م)

الأوجاريتيون والفينيقيون: مدخل تاريخي، الرياض: بحوث
تاريخية، سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية الحضارية،
الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار السابع عشر، (٢٠٠٥م)
نقوش نبطية في الجوف، العلا، تيماء: المملكة العربية
السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ونصيف
عبدالله .. (١٩٩١م)

"نقوش نبطية من العلا في المملكة العربية السعودية"،
العصور، مج ٦، الجزء الثاني ص ٢٢٣-٢٣٠، ونصيف
عبدالله (١٩٩٨م)

"نقوش عربية شمالية من موقع الهند بمنطقة تبوك،
دراسات، المجلد (٢٥)، العدد (٢)، ص ٣٠١-٣٢٨.

- المنطقة الوسطى، (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، "أطلال، ٣، ص ٩-٤٨، نورمان هويلن، محمد البراهيم، عبدالجواد مراد، مجيد خان، (١٩٨٠م)
- "التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، "أطلال، ٤، ص ٩-٤٨، عبدالعزيز رهيبي، محمود كمال، (١٩٨٢م)
- "تقرير مبدئي عن مسح منطقة الرياض (العارض)، "أطلال، ٦، ص ٢٣-٢٤.
- زيدان، جرجي، (١٩٦٨م)
- تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار المعرفة.
- ساكنز، هاري، (١٩٧٩م)
- عظمة بابل: موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة: ترجمة: عامر سليمان إبراهيم، بغداد، د. ت، (١٩٩٩م)
- قوة آشور: ترجمة: عامر سليمان، بغداد: منشورات المجمع العلمي.
- سالم، السيد عبدالعزيز، (١٩٧١م)
- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، بيروت: دار النهضة العربية.
- السعود، عبدالله سعود، (١٩٩٦م)
- "استئناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية"، أطلال، ١٤، ص ٩٩-١٠٣.
- السعيد، سعيد بن فايز، (٢٠٠٣م)
- العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.
- السعيد، سعيد فايز، (٢٠٠٤م)
- "الجزر التاريخية للهجرات العربية إلى المغرب العربي"، في: كتاب العلاقات بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي، الواقع والمستقبل، الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ص ٨٦-١٠٤.
- السليمان، خالد أحمد، (٢٠٠٠م)
- "قصور طسم وجديس في اليمامة، محاولة للبحث في تحديد مواقعها"، كندة، ١، ص ٤٣-٥٢.
- سليمان، عامر، (١٩٨٨م)
- "الجيش والسلاح في العصر الآشوري" في حضارة العراق، مج ١، بغداد: دار الحرية للطباعة، ص ٢٧٥-٣٣٤.
- سيد، عبدالمعتمد عبدالحليم، (١٩٩٠م)
- "هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل؟"، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٢، ص ٧١-٩٧، (١٩٩٣م)
- "هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند مريغان إلى حملة الفيل؟"، في: البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة: مجموعات أبحاث نشرت في الدوريات العربية والأوربية، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، ص ٣٤٩-٣٧٨.
- الشارخ، عبدالله بن محمد، (٢٠٠٣م)
- "رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالملكة العربية السعودية"، العصور، مج ٣، ج ٢، ص ٧-٢٣، (٢٠٠٤م)
- "دراسة أثرية لموقع الثمامة النتائج الأولية"، أدوماتو، ٩، ص ٧-٣٢.
- الشويش، سعود، محمد السلوك، خالد أسكوبي، عبدالعزيز الحماد، محمد الحمود، محمد الشواطى، صلاح الحلوة، (٢٠٠١م)
- "تقرير عن أعمال مسح منطقة الرياض: الموسم الثاني لعام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م"، أطلال، ١٦، ص ٧٥-٩٨.
- صالح، عبدالعزيز، (١٩٨٨م)
- تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، محاضرات، القاهرة: جامعة القاهرة، والكتاب الجامعي.

- صراي، حمد بن محمد.. (١٩٩٩م)
الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية:
تاريخياً- أثارياً- أدبياً، الرياض: سلسلة بحوث تاريخية،
الجمعية التاريخية السعودية (الإصدار الثالث)، (٢٠٠٣م)
عملات ما قبل الإسلام المكتشفة في شرقي شبه الجزيرة
العربية ودلائلها الشخصية والدينية والسياسية والاقتصادية،
دبي: ندوة الثقافة والعلوم (٢٠٠٥م)
عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع
الميلادي، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- لصنداح، محمد بن سعود، (١٩٩٢م)
تاريخ وأثار منطقة القويمية، الرياض: إصدارات مهرجان
الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) رقم: ٨٨، رئاسة
الحرس الوطني.
- الصويان، سعد بن عبدالله، (١٩٩١م)
"ثقافة العصر الحجري القديم"، العصور، مج ٦، ج ١، ص
٣٤-٧.
- الطبري، محمد بن جرير، (١٩٧٩م)
تاريخ الرسل والملوك، القاهرة: دار المعارف.
- طبران، سالم، (٢٠٠٦م)
"أثار ما قبل الإسلام في منطقة الرياض"، في كتاب منطقة
الرياض، محور الآثار والمواقع التاريخية، الرياض: مكتبة
الملك عبدالعزيز.
- ظاظا، حسن، (١٩٧١م)
الساميون ولغاتهم: تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية
للعرب، الإسكندرية: مكتبة الدراسات اللغوية.
- عبدالباقي، محمد فؤاد، (١٩٨١م)
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د.م: دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع.
- عاقل، نبيه، (١٩٧٥م)
تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، بيروت: دار الفكر.
- عبدالحميد، سعد زغلول، (١٩٧٦م)
تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة: دار النهضة العربية.
- ابن عبد ربه، الأندلسي، (١٩٥٢م)
كتاب العقد الفريد، بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبدالله، يوسف محمد، (١٩٩٠م)
أوراق في تاريخ اليمن وآثاره: بحوث ومقالات، بيروت: دار
الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.
- العبودي، محمد بن ناصر، (١٩٧٩م)
معجم بلاد القصيم، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة
والنشر.
- العبودي، أحمد، (١٤٢٤هـ)
المؤثرات الآثارية للعمارة السكنية التقليدية في جنوب غرب
المملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراة غير منشورة قدمت
لقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- العتيبي، محمد بن سلطان، (١٩٨٨م)
"مفهوم نجد واليمامة عند القدماء والمحدثين والوضع
السياسي في اليمامة منذ القرن ٣-٦هـ"، المنهل، ٤٩، ص
١٤٤-١٥٤، (١٤٢٢هـ)
التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ
القرن السادس ق.م حتى القرن السادس الميلادي، رسالة
دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم
الآثار والمتاحف.
- عسيري، محمد بن علي، (١٤١٩هـ)
"منطقة الرياض خلال عصر ما قبل الإسلام"، في منطقة
الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، مج ٢:
تحرير عبدالله الوليعي، الرياض: إمارة منطقة الرياض، ص

ص ٨٨-١٥١، (١٤١٩هـ)

"منطقة الرياض من خلال أقوال الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين"، في منطقة الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، مج ٢؛ تحرير عبدالله الوليعي، الرياض: إمارة منطقة الرياض، ص ١٥٤-٢٢٨.

- علي، جواد، (١٩٨٠م)

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، بغداد مكتبة النهضة.

- العلي، صالح، (١٩٨١م)

محاضرات في تاريخ العرب: الدول العربية قبل الإسلام، النظم البدوية، حياة الرسول والدعوة الإسلامية في مكة، الموصل: جامعة الموصل.

- علي، العباس سيد أحمد، (٢٠٠٠م)

"نحو مصطلح أثاري موحد: الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الأثاري: حالة ما قبل التاريخ" أدوماتو ٢، ص ٧١-٧٣، (١٤٢١هـ)

- "ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية"، الدارة، العدد الثالث، رجب، السنة السادسة والعشرون، ص ٨٩-١٣١.

- الغزي، عبدالعزيز بن سعود، (١٤١٩هـ)

"الجغرافيا التاريخية البشرية للإنسان في منطقة الرياض إبان العصر الحجري القديم"، في منطقة الرياض، دراسة تاريخية وجغرافية اجتماعية، مج ٢؛ تحرير عبدالله الوليعي، الرياض: إمارة منطقة الرياض، ص ٦-٨٥، (١٩٩٢م)
"شواهد أثرية على استمرار الاستيطان في واحة الخرج، في فترات ما قبل الإسلام"، العصور، مج ٧، ج ٢، ص ١٧١-١٩٣، (١٤١٣هـ)

"أنماط فخارية جديدة من الموقع ٢٢/٢١١: الأقليم الأوسط"، الدارة، العدد الأول، السنة التاسعة عشرة، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة، ص ٢٧-٤١، (١٩٩٥م)

"النقوش القديمة في منطقة الرياض بحاجة إلى دراسة (١)"، جريدة الرياض، عدد: ٩٦٩٦، صفحة آثار، (١٩٩٥م)

"النقوش القديمة في منطقة الرياض بحاجة إلى دراسة (٢)"، جريدة الرياض، عدد: ٩٧٠٣، صفحة آثار (١٩٩٦م)
التحول الاستيطاني في محافظة الخرج في العصور القديمة، الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، (١٩٩٦م أ)
"تقرير عن حفرة أثرية في الموقع ٢٦/٢٠٧ (واحة الخرج/ المنطقة الوسطى)"، أطلال ١٤، ص ٢٧-٤٢، (١٤٢٤هـ)
"الدراسات الأثرية"، في: قصر الملك عبدالعزيز: محافظة وادي الدواسر، الرياض: وزارة المعارف، وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ص ٥-٢٠، (٢٠٠٦م)

"آثار العصور الحجرية"، في كتاب منطقة الرياض، محور الآثار والمواقع التاريخية، موسوعة المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبدالعزيز، ص ٢-٣٣ (٢٠٠٦م أ)

الانتشار الجغرافي لمملكة كندة في ضوء الروايات التاريخية والأدلة الأثرية، الرياض: تحت النشر.

- الفاسي، هتون أجواد، (١٩٩٣م)

الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض: (د. ن).

- أبو الفداء، إسماعيل، (د. ت)

المختصر في أخبار البشر، بيروت: دار المعرفة.

- فرعون، محمود، (١٩٩٦م)

"دور مملكة كندة السياسي في شمال الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين"، دراسات تاريخية، العددان ٥٥-٥٦، ص ١٩-٢٢.

- الفريخ، عبد الرحمن (١٤١٩هـ)

بنو بكر بن وائل منذ ظهور الإسلام حتى بداية العصر الأموي، الرياض: دار ابن حزم.

- الكلبى، أبو منذر هشام بن محمد السائب، (١٩٢٤م)
كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة: دار
القومية للطباعة والنشر، (١٩٨٦م)
جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب،
مكتبة النهضة العربية.

- لايات، دينيه، (١٩٨٨م)
المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، مختارات من النصوص
البابلية: ترجمة: الأب ألبيير أبونا، ووليد الجادر، بغداد:
جامعة بغداد، كلية الآداب.

- لويد، سيثون، (٩٢-١٩٩٣م)
آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو
الفارسي: ترجمة: محمد طلب، دمشق: دار دمشق.

- مانكه، لينز، (١٩٩٣م)
التداوي بالأعشاب في مصر القديمة: ترجمة: أحمد زهير
أمين، ومراجعة: محمود ماهر طه، القاهرة: مكتبة مدبولي.

- محمود، محمد بن محمد، (١٩٧٨م)
"أودية نجد وسدودها"، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض
(الملك سعود حالياً)، مج ٥، ص ٢٣-٥٤.

- محسن، سلطان، (٢٠٠٣-٢٠٠٤م)
عصور ما قبل التاريخ، دمشق: منشورات جامعة دمشق، كلية
الآداب.

- المصري، عبدالله حسن، (١٩٧٧م)
"مقدمة عن آثار الاستيطان البشري بالملكة العربية
السعودية" أطلال ١، ص ٩-٢٠.

- المسعودي، علي بن الحسين، (١٩٨٤م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة: المكتبة التجارية
الكبرى.

- فروخ، عمر، (١٩٨٤م)
تاريخ الجاهلية، بيروت: دار العلم للملايين.

- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهذلي، (١٩٨٨م)
مختصر كتاب البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- فيلهلم، جرنوتز، (٢٠٠٠م)
الحوريون تاريخهم وحضارتهم: ترجمة وتعليق: ضاروق
إسماعيل، حلب: دار جدل.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد عبدالله،
(١٩٨٤م)
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب
العلمية.

- كباوي، عبدالرحمن، مجيد خان حسن خان، عبدالرحمن
علي الزهراني، عبدالرحيم يوسف المبارك، محمد محمد
السمير، ومحمد عبدالله الشواطي، (١٩٩٦م).
"الموسم السادس/ حصر وتسجيل الرسوم والنقوش
الصخرية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، وادي الدواسر من نجران"،
أطلال ١٤، ص ٤٥-٦١..... مجدي خان،
عبدالرحمن، الزهراني، (١٩٨٦هـ)
"تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية من المسح الشامل للنقوش
والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية للعام ١٤٠٥هـ/
١٩٨٥م"، أطلال ١٠، ص ١٠١-١١٤.

- كفاية، زيدان، (١٩٩٠م)
الأردن في العصور الحجرية: عمان: مؤسسة آل
البيت..... (٢٠٠٤م)
المدخل إلى علم الآثار، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات
الجامعية والنشر والتوزيع..... الغزي، عبدالعزيز
(٢٠٠٢م)
"دراسة ميدانية في شعيب الثمامة: منطقة الرياض، المملكة
العربية السعودية"، مجلة كلية الآثار، ١٠، تحت النشر.

- المسعودي، علي بن الحسن ، (١٩٣٨م)
التبعية والإشراف، د. م. ن.

- مقدمة عن آثار ، (١٩٧٥م)
مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، الرياض: وزارة
المعارف، إدارة الآثار والمتاحف.

- ابن منظور، الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
، (١٩٥٥-١٩٥٦م)
لسان العرب، بيروت: دار صادر.

- مهران، محمد بيومي ، (١٩٨٠م)
دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض: جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية.

- مورتكات، أنطوان، (٢٠٠٤م)
الحضارة السومرية والآكادية: ترجمة: محمد وحيد خياطة،
بيروت: دار الشروق العربي.

- الناشف، خالد، (١٩٩٠م)
"هردوت واللات"، العصور، مج ٥، ج ٢، ص ٤٠٩-٤١٦.

- النعيم، نورة عبدالله ، (١٩٩٢م)
الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن
الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، الرياض: دار
الشواف للنشر والتوزيع.

- هاشم، سيد أنس ، (١٩٩٦م)
"دراسة نشوء وتطور المدافن الركامية القديمة في الجزيرة
العربية: المملكة العربية السعودية السعودية"، أطلال ١٤، ص
٩٩-١٠٣.

- الهاشمي، تغريد جعفر، حسن حسين عكلا ، (٢٠٠١م)
الإنسان تجليات الأزمنة تاريخ وحضارة بلاد الرافدين
والجزيرة السورية، دمشق: دار الطليعة الجديدة.

- لهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، (١٩٧٩م)
الإكليل، الكتاب العاشر: تحقيق: محمد بن علي الأكوغ،
دمشق: مكتبة الكتاب العربي، (١٣٩٧هـ)
صفة جزيرة العرب: تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، الرياض:
دار اليمامة للبحث والترجمة.

- هويلن، نورمان، حسن سندي، غانم وحيدة، جمال الدين
صالح علي ، (١٩٨٣م)
"تقرير عن التنقيب في المواقع الأثرية قرب صفاة بالدوادمي
١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، أطلال ٧، ص ٨١-١٠٠، وجمال الدين
سراج علي ، (١٩٨٤م)
"حفريات في المواقع الأثرية قرب صفاة بالدوادمي في
المملكة العربية السعودية"، أطلال ٨، ص ١٨-٢٣، ديبلو.
ب. ديفيز، ديفيد بيز ، (١٩٨٩م)
"الهجرات المبكرة التي تمت في العصر الحديث الأدنى
(البلايستوسيني) داخل المملكة العربية السعودية"، أطلال
١٢، ص ٨١-١٠٠.

- الوشمي، صالح بن سليمان ، (١٤١٢هـ)
ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى
نهاية القرن الثالث الهجري، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك
عبد العزيز العامة.

- ياقوت، الإمام شهاب الدين عبدالله بن عبدالله الحموي
، (١٩٨٦م)
معجم البلدان، بيروت: دار صادر.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح
، (د. ت).
تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر.

- Philby, H., (1950)
"Motor Tracks and Sabaeen Inscriptions in Najd", **The Geographical Journal**, 116, pp. 311- 315.
- Ryckmans, G., (1953)
"Inscriptions Sud- Arabes", **Le Muséon**, 66 , pp. 267- 317, (1957)
"Graffites Sabéens relevés en Arabie Sa'udite", **Rivista degli Studi Orientali**, 32, pp. 557- 566.
- Ryckmans, J., (1953)
"Inscriptions Historiques Sabeennes de l'Arabie Central", **Le Muséon**, 66.
- al- Said, S., (1995)
Die Personennamen in den minaischen Inschriften, Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.
- Al- Saud, A., (1998)
Central Arabia during the Early Hellenistic Period: With Particular Reference to the Area of al- Aflaj in Saudi Arabia. Riyadh: King Fahd National Library.
- alsharekh., (1995)
The Archaeology of Central Saudi Arabia: Investigations of Lithic Artifacts and Stone Structures in Northeast Riyadh, Unpublished Ph. D, thesis, Department of Archaeology, University of Cambridge.
- Sokoloff, M., (1992)
A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic of the Byzantine Period, Barilan University, Press.
- Stiehl, D., (1940)
"Sibilants and Emphatics in South Arabic", **Journal of the American Oriental Society** 60, pp. 517-43.
- Thompson, I., (1994)
Desert Treks from Riyadh, London: Stacey International.
- al - Theeb, S., (1990)
" A new Minaean Inscription from North Arabia", **AAE** 1, pp.20-3, (1993)
Aramaic and Nabataean Inscriptions from North - West Saudi Arabia, Riyadh: King Fahd National Library Publications, (1994)
"Two Dated Nabataean Inscriptions from al-Jawf, " **JSS** 39, pp.33-40, (1996)
"New Safaitic inscriptions from the North of Saudi Arabia," **AAE** 7, pp.32-7, (1997)
"New Nabataean Inscriptions from Qyal, al-Jauf: Saudi Arabia", **Journal of the Faculty of Archaeology**, vol: VII, pp.125-145.
- Winnett, F. Harding, G., (1978)
Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns. Toronto: University of Toronto Press.

- Healey, J., (2000)
The Religion of the Nabataeans: A Conspectus, Leiden: E. J Brill.
- Holladay, W., (1988)
A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament, Based Upon The Lexical Work of L. Koehler, W. Baumgartner, Leiden: E. J. Brill.
- Jamme, A., (1962)
Sabaeen Inscriptions from Mahrum Bilqis, (Marib), Baltimore: Johns Hopkins. (1966)
Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia, Rome: Studi Semitic, 23.
- Jaussen, A., Savignac, R. (1909- 1914)
Mission Archéologique en Arabie, Paris: La Société des Fouilles Archéologiques.
- Kitchen, (1994)
Documentation for Ancient Arabia: Chronological Framework, Historical Sources, Liverpool: University Press
- Kropp, M., (1992)
"The Inscription Ghoncim Afo 27. ABB. 10: A Fortunate Error", **Proceeding of the Seminar for Arabian Studies** 22, pp. 55-67.
- Leslau, W., (1987)
Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic): with an index of the Semitic roots, Wiesbaden: Otto- Harrassowitz.
- Littmann, A., (1943)
Safaitic Inscriptions, Leiden: Publication of Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904- 5.
- Luckenbill, D., (1989)
Ancient Records of Assyria and Babylonia, London: Histories and Mysteries of Man LTD.
- Mac Clure, H., (1971)
The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations, Miami: Field Research Pubication.
- Macdonald, M., (1997)
"Trade Routes and Trade Goods at the Northern End of the (Incense Road), in the First Millennium B. C", **Profumi D'Arabia, Saggi di Storia Antica II**, pp. 333-49.
- Al- Ma'ani, S. A., (1988)
Allat: An Epigraphical Approach, a Study on Allat in the Safaitic Inscriptions, Unpublished M. A. thesis, Yarmouk University, Irbid, Jordan.
- Al- Mazroo, H., Nasif, A., (. 992)
"New Lihyanite Sculptures from al- 'ulā, Saudi Arabia", **Ages**, vol: 7, pp. 1- 24.
- Oakley, P., (1961)
Man the Tool- Maker, Chicago: The University of Chicago Press.
- Olinder, G., (1927)
The Kings of the Family of Akil al- Murar, Leipzig: Lunds Univeritets Arskrift.

المراجع الأجنبية

- Al- Ansary, A., (1996)
"The Horse at Qaryat al- Fau", In: **Furusiyya**,
vol: II, ed: I, D. Alexander, Riyad: King
Abdulaziz Publication Library, pp. 54- 9.
- Branden, Van Der., (1956)
Les Textes Thamoudéens de Philby,
Inscriptions du Nord, Louvain: Bibliothèque
du Muséon.,
- Brauner, R., (1974)
A Comparative Lexicon of Old Aramaic,
Dropsice University, Ph. D thesis.
- Brice, W., (1984)
"The Classical Trade-Route of Arabia from
the Evidence of Ptolemy, Strabo and Pliny",
Studies in the History of Arabia pp. 177-
181.
- Brown, F. S. Driver, C. Briggs., (1906)
**A Hebrew and English Lexicon of the Old
Testament, With an Appendix Containing
the Biblical Aramaic**. Oxford: Clarendon
Press.
- Chevaux, (2002)
Chevaux et cavaliers arabes, Paris: Institut
du monde arabe.
- CIH., (1889- 1929)
Corpus Inscriptionum Cemiticrum, Pars
Quarta. Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas
Continens, Tomus I, II, III, Paris
- Costaz, L., (1963)
**Dictionnaire Syriaque- Français, Syriac-
English Dictionary**, قاموس سرياني، عربي
Beyrouth: Imprimerie Catholique.
- de Perceval., (1847- 8)
**Essai sur l'histoire des Arabes avant
l'Islamisme**, I, Paris.
- Garbini, G., (1979)
"Osservazioni Linguistiche e storiche su
l'iscrizioni di ma^e dikarib Ya^efur (Ry 510)",
Annali dell'Istituto Orientale di Napoli 39,
pp. 69-75.
- Al- Ghazzi A., (1990)
**A Comparative Study of Pottery from a
Site in the al- Kharj, Valley Central Arabia**,
Unpublished Ph. D, thesis, Institute of
Archaeology, University College, University
of London.
- Ghoneim, W., (1980)
"Saudi- Arabien", **AFO** 27, pp. 317-24.
- Harding, G., (1971)
**An Index and Concordance of Pre-Islamic
Arabian Names and Inscriptions**, Toronto:
University of Toronto, Press.
- Hayajneh, H., (1998)
**Die Personennamen in den Qatabanischen
Inscripfen**, Hildesheim: Georg Olms
Verlag.

kitchens, storerooms, and cisterns for drinking water. Domestic utensils found in these archaeological sites are varied and numerous, including knives, hatchets, grinders, fireplaces, pestles, mortars, spoons, beakers, bowls, cooking pots, needles, strainers.

Temples and burial chambers have offered the most significant evidence of architectural activity. A numerous number of temples have been unearthed, most importantly, the *Hor* and *Sen Shams* temples at *Qariyat al-Fau*. The style of Stone Age tombs range from tumuli burial chambers, like those at *Sados*, *Zulfi*, and *Houtat Beni Tameem*, to tapered stone burials such as those found at *Al-Kharj* and *Aftaj*. Tombs of the early historical period in the region, as at *Qariyat al-Fau* and *Iyoum Al-Aftaj*, usually contain elaborate underground chambers and it has been possible to classify these under the categories of tombs of royalty, or of the nobility, or of the common people.

Living in a self-sufficient society, the early inhabitants of the region developed various crafts and industries in stone, metal, wood, leather, textiles, ceramics and terracotta. Among the most important of these was the manufacture of weapons, both for combat against enemies and for hunting. Among examples unearthed are arrowheads, axes, spears, swords, clubs, shields and helmets.

Early man in the region was first a pastoralist, then a farmer and a trader. As a pastoralist he came into contact with such domesticated and wild animals as pigs, cats, snakes, ostriches, ibexes, cows, calves, horses, camels, sheep, goats, dogs, lizards ...etc. Such animals have been identified in archaeological reports as a result of the analysis of animal bones, and carvings and representations on rock surfaces. The practice of farming in Riyadh area is well attested in archaeological records from the study of ancient cultivated areas, irrigation systems, and wells. As early man in the region began to actively interact with developments in his contemporary cultural setting, he became literate and began writing in Nabataean, South Arabian and Thamudic scripts.

The Neolithic period was followed by the rise of the ancient kingdoms of Arabia, characterized by such large settlements such as that at *Al-Bana* (207–30), which witnessed, as archaeological evidence has indicated, a continuous occupation over more than a millennium and where buildings of mud brick with ceilings supported by wood have been found. Examples of other sites in the region dating from this period are *Hizm Aqeelah*, which extended one kilometre in length and half a kilometre in width, *Iyoun al-Aflaj*, situated eighteen kilometres to the west of Laila, and *Qariyat al-Fau*, the capital of the Kinda Kingdom from the fourth century B.C. to the beginning of the fourth century A.D., another urban site comprising temples, markets, street layouts, cemeteries, caravanserais, rest-houses, and housing for every level of Kinda society.

The early Arabian kingdoms that flourished in the region were *Tasm*, *Jadis*, *Kinda*, *Maed*. Of these *Kinda* was probably the most outstanding and the names of thirteen Kindite kings are known. Eight of these ruled during the first and second Kinda periods and the remaining five ruled during the third period and these kings kept a firm control over the religious, the political, and the military elements within their domains. They also dominated the greater part of the Arabia peninsular as a result of the diplomatic and economic relations they that established with the contemporary neighbouring powers of the Himyar Kingdom to the south and the Byzantine Empire to the north.

Recent archaeological fieldwork has revealed much evidence of human activity in the region from the beginning of the early Stone Age to the fourth century A.D. This includes remains of buildings, rock inscriptions, various industries, and vestiges of farming and economic activity. During the early Stone Age, man inhabited such caves as those found at *Houraimalah*, *Sulayil* and the two caves of *Beir Hima* and *Houtat Beni Tameem*, as well as temporary settlements clustered around other water sources. During the historical period he built permanent housing and, quite apart from the sophisticated palaces of royalty and the nobility, most houses usually comprised two storeys, with bedrooms, sitting rooms, bathrooms,

Riyadh, Early Political and Cultural History

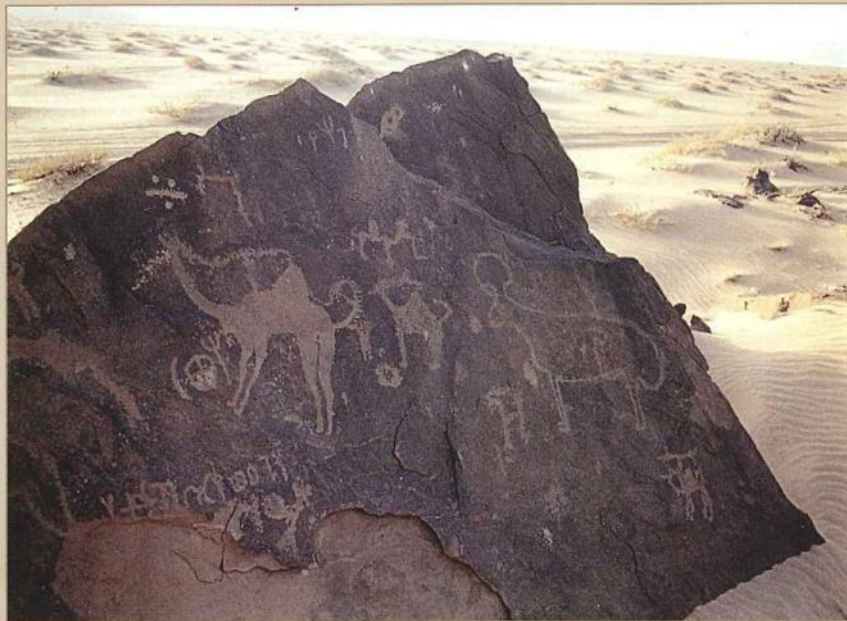
The region of Riyadh lies in the middle of the Arabian peninsula. In Arab literary sources its name has been associated with the regions of Najd and Yamamah. Because of its strategic location and the variety of its natural resources it has always occupied an important administrative position in relation to the surrounding regions of the peninsula. Many scholars writing on early human migration have also regarded this early settlement area as being the origin of many tribes and people who developed a desert culture, such as, among others, the Akadians, the Assyrians, the Aramaeans, and the Nabataeans. Thus, Najd, given its natural resources, its environment and its topography, harboured a high density population whence its inhabitants were often forced to migrate northwards to Hail or to Al-Jauf and from there further to the north east or north west.

The earliest evidence of settled human habitation in the region can be dated back to more than 500,000 years ago, during the later Palaeolithic era when man was a food gatherer and a hunter. The earliest archaeological site in the region, at Dawadami (site no. 206 – 76), dates from that period. Excavations, carried out at this site during several seasons in 1979 and in 1982–1983, unearthed 22,512 stone tools, revealing that was is the largest *Acheulian* site in the Middle East. During the Neolithic period there is evidence of a climate change that resulted in the development of irrigated farming and an expansion of the population. Recent archaeological fieldwork has considerably increased our knowledge of the many sites in the region that date from this period, and examples of such Neolithic sites can be found in *Al-Sulaiyl* governorate (nos: 211–40 & nos: 212–44) and at the *Dhula* settlement, which is an example of one of the most important tumuli burial areas in the region.





SUMMARY





RIYADH REGION

Early Political and Cultural History

Solaiman A. Al-Theeb



Riyadh Municipality